ضلالات فتى حول

كبرى اليقينيات

«وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ»

من أعمال سنوات الشباب

إبراهيم بشير الغويل

ضلالات فتى حول كبرى اليقينيات

رسالتان

١ـ رسالة إلى الرفيق خروتشوف

٢ـ رسالة إلى الرئيس جمال عبد الناصر

من: إبراهيم بشير الغويل

جميع حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى
1427 هـ - 2007م

للطباعة والنشر والتوزيع

دمشق - سوريا
ص.ب: 13414
هاتف: 30 24 224 11 963+
فاكس: 36 10 245 11 963+

بيروت - لبنان
ص.ب: 14/6364
خليوي: 833 814 3 961+
فاكس: 171 377 1 961+

www.kotaiba.com
E-mail : dar@kotaiba.com

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين

هذا الكتاب . . بدأ بـ «ضلالات» فتى اهتز لديه وجه «الإعجاز» البياني للقرآن . . **فاهتزت لديه «دلائل النبوة»؟!**

← **فاهتزت لديه «كبرى اليقينيات»** في الوجود؟!

ثم هو «ذكر» وشكر لفضل الله . . الذي تفضل وتكرم على هذا الفتى ← فهدى ﴿وَوَجَدَكَ ضَآلّا فَهَدَىٰ﴾. (سورة الضحى/ الآية : 7).

. . . ← **ولدرجة أن صار، بفضل من الله ومِنّة، داعية بما هُدِيَ إليه . .** يتصدّى :

1- لمواجهة الفكر المادي في أقصى ضلالاته . . [رسالة إلى الرفيق خروتشوف].

2- ويدعو عظيم القادة العرب أن يكون المشروع العربي . . مشروعاً عربياً إسلامياً قرآنياً . . معاصراً ومستقبلياً . . . [رسالة إلى الرئيس جمال عبد الناصر].

والحمد لله أن تفضّل عليّ أن أكون، أو هكذا أرجو وأدعو الله أن أكون، من أحسن الناس قولاً . . ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾. (سورة فصلت/ الآية : 33)

فحمداً لله لمطلق ذاته . . **وحمداً لله** لسابق ولسابغ نعمه . . **وحمداً لله** لرحمانيته في الخلق ورحمته بتعليم آدم الأسماء وتكريم أبنائه؛ وتعليمهم بتنزيل الرسالات وإرسال الرسل . . حمداً مستمراً، وبين الرجاء والخوف، إلى يوم الوقوف بين يديه ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ . . .

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ۝ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴾ .

الجمعة العاشر من شوال/ 1415 هـ ومن إكمال الدين واختتام النبوة بوفاة محمد ﷺ

11/ 11/ 1373 من وفاة الرسول ﷺ

(2005 م من ميلاد السيد المسيح عليه السلام)

الحامد لله . . الشاكر العارف الراجي رحمتَه

والعبد الفقير إلى عونه وهدايته . . .

(إبراهيم بشير الغويل)

كلمة تحيّة وتقدير

[بقلم الأستاذ الكبير العلاّمة د . ناصر الدين الأسد]

كان هذا الكتاب مفاجأة أدهشتني لسببين :

- فهو أولاً كتابة طالب على مقاعد الدراسة تطاولت همّته في تلك السنّ المبكرة إلى مخاطبة رئيسيْ دولتين ، إحداهما كبرى الدول في المعسكر الاشتراكي وهي ثانية أقوى دول العالم حينئذ ، والأخرى كبرى الدول العربية ، كانت كذلك ومازالت . وهو لم يخاطبهما من موضع الضعف أو الدونية ، وإنما من موضع المساواة والندّيّة . ولم يطلب منهما توضيحاً أو إجابة عن أمور كان يجهلها ، وإنما أخذ يناقشهما مناقشة الخبير العالم في أمور تحتاج إلى معرفة ودراية بعلوم الإنسان والطبيعة والحياة ، واطّلاع واسع على قواعد الاقتصاد ، وتمرّس بالحوار السياسي ، وبالنظرية المادية وما ترسيه من قواعد وآلات للإنتاج ، إلى آخر ما تشتمل عليه هذه النظرية من حتميات .

وبعد أن يطمئن إلى أنه استوفى الموضوع من جوانبه المتعددة وأنه وضّح رأيه كاملاً في مفردات النظرية المادية ، أو في أكثرها ، نراه ينتقل انتقالاً بارعاً إلى الحديث عن العقيدة التي تناقض تلك النظرية وتخالفها وهي الإسلام ، فيعرضها بهدوء وموضوعية ، ويفصّل الكلام في بطلان الشبهات التي دارت حولها .

ثم يختم رسالته هذه الأولى إلى نيكيتا خروتشوف بقوله : إنه ينتظر أن يصله ردّه «فهو دون شك سيكون ذا فائدة قصوى» ولكنه يتركنا دون إجابتنا عن هذا الردّ هل وصله أو اكتفى المرسَل إليه بتسلم الرسالة !!

أما رسالته الثانية فوجهها إلى الرئيس جمال عبد الناصر، ذكر في مطلعها أنه اجتمع به ضمن وفد الشباب الليبي. وشرح الأسباب التي دعت إلى مكاتبته، وهي ثلاثة: الأول مستمد من حديث الرئيس لهم وحثّه على أن يسهموا بقدر ما يستطيعون في القيام بمسؤوليتهم التاريخية، وقال: «ثم إنه يا سيدي قد سعينا إليكم يومها ونحن نعتزم أن نستفسر ونستوضح عن بعض المشكلات والمسائل.. معبرين عن خواطرنا إزاءها ومنتظرين منكم الإرشاد والتوجيه، إلا أنه نظراً لمشاغلكم لم نستطع أن نحصل من وقتكم على ما يتيح لنا ذلك. وهذا سبب ثان لضرورة هذه المكاتبة. وثالث يا سيدي هو أن كاتب هذه السطور ينهي هذه الأيام دراسته.. وبالتالي ستنتهي إقامته بمصر العزيزة، وهو بعد ذلك سيأخذ طريقه في معترك الحياة، وهو يريد أن يعرض بعض خواطره في تلك المشكلات والمسائل حتى يستفيد في طريقه فيسهم بحق في بناء أمته، ولا يهدمها من حيث لا يحتسب».

ثم لا بدّ لقارىء الكتاب من أن يقف طويلاً وقفات متأنية عند السيرة الذاتية للمؤلف قرب نهاية الكتاب ليستبين ملامح هذه الشخصية المجاهدة المؤمنة، ثم لابد من استكمال صورة المشروع العربي الإسلامي التقدمي للمؤلف الذي شرح تفصيلاته تحت عنوان «الرسالة الخاتمة، احتواء الماضي واستشراف المستقبل» واستوفى هذا الشرح في «خاتمة» الكتاب بعنوان «في ما تقدمه رؤيانا من تصحيحات في رؤية التاريخ».

وبعد،

فقد كان كل ما تقدّم حديثاً عن السبب الأول الذي كان به هذا الكتاب مفاجأة أدهشتني، أما السبب الثاني فمردّه إلى أني رأيت اسمي مذكوراً في ثنايا «تصدير» الكتاب بما يسّره لي عزّ وجلّ لأكون وسيلته سبحانه للخروج بالمؤلف وهو في صباه مما وقع في نفسه من شبهات؛ وكان المؤلف مستطيعاً أن يتجاوز ذِكْرَ ما ذكَر

ولكن وفاءه وصدقه أبيا عليه إلا أن يذكر القصة كاملة. فالحمد لله على ما هدى ثمَّ الشكر للمؤلف على ما ذكر وسجّل، وحسبه مني أن ما في نفسي له ولكتابه أكبر مما ذكرتُ في هذه الكلمة التي قصدت بها أن تكون تحية له وتقديراً لمواقفه وجهاده، زاده الله من فضله وتوفيقه، ونفع به وأمتع.

د. ناصر الدين الأسد

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين

تقديم « التقديم »؟!

لقد أردتُ أن أقدّم لـ «التقديم»؟!.. لأنني رأيت أن أنشر الرسالة التي أرْفَق بها الأخ الفاضل والشيخ العالم الأستاذ الكبير فوزي فاضل الزفزاف «التقديم» لهذا الكتاب، وما ذلك إلا لأن رسالة الترفيق في ذاتها، وما أثارت فيَّ من خواطر جديرة بأن تنشر...

وهذه الرسالة وما أرفق بها من «تقديم»، استَدعت لديّ خواطر رأيت أن أضعها بين يدي الأخ القارىء الكريم، وهي - بأسلوب وجيز.. نرجو أن يكون وافياً.. واضحاً... - تتلخص فيما يلي:

1- فالأخ الشيخ الجليل والأستاذ الكبير يبدأ بدعاء «أن تكون على أحسن ما يرجوه المسلم لأخيه المسلم...» هكذا استدعت هذه الجملة إلى ذهني أن جوهر الدين هو «أن تحب لأخيك ما تحب لنفسك»[1]، مع ما يعنيه الحب من احترام

---

(1) 1- الإسلام: لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه (حديث شريف).

2- المسيحية: كل ما تريدون أن يفعل الناس بكم افعلوا هكذا أنتم أيضاً بهم. لأن هذا هو الناموس والأنبياء (متى 7: 12، نسخة الملك جيمس).

3- اليهودية: لا تعذب غيرك بكل ما تراه أنت كريه. هذا هو القانون كله وما سوى ذلك فهو محض تعليق (التلمود، السبت 31أ).

4- البوذية: لا تضارّ غيرك بما من شأنه أن يضرك لو تعرضت له (أودانا - فارغا، 18، 5).

5- البراهمانية (هندوسي أرثوذكسي): إن الواجب يتلخص فيما يلي: لا تفعل لغيرك فعلاً من شأنه أن يكون ضاراً لو لحق بك. (مهابهاراتا، 1517، 5).

6- الكونفوشية: الحكمة الذهبية قوامها ما يلي: لا تفعل لغيرك مالا تريد أن يفعلوه لك (أنالكتس 23، 15).

7- التاويه: احرص على أن يكسب جارك ما تكسبه ولا يفقد إلا ما تفقده (تاي شانغ كان ينغ بين).

8- الزرادشتيه: الطبيعة وحدها هي الخيّرة لأنها تمتنع عن أن تفعل بالآخرين مالا يكون فيه خير بالنسبة لها أيضاً (دادستان - إي - دينيك 5، 94).

وتفهم واهتمام ومسؤولية . . . **وبهذه الأركان يكون** الحب بناءً يُبنَى على أركان أربعة . . وليس حفرة «يقع» فيها الواحد منّا؟! . . . **وبهذه الأركان يكون الحب** . . بدءاً من حب النفس مفهوماً . . فأنت تحب نفسك، وتحب الآخرين، **باحترامك** لنفسك وللآخرين . . وبالاحترام **تتفهّم نفسك** والآخر . . **فتهتم** . . **وتكون مسؤولاً** . . .

2- ثم يقول الشيخ الجليل والأستاذ الكبير في رسالته: إنه قرأ الكتاب فجذبه إليه «وفرض» عليه أن يعيد قراءته . . . وقد استدعت هذه الجملة إلى الذهن القول الرائع للإمام الشافعي «**إن العقل مضطر لقبول الحق**» . . . وهذه المقولة توضح أن الأشاعرة كانوا على حق حين قالوا: إن العقل لا يُنشيء ما هو حسن وما هو قبيح [الأمر الذي جاءت الدراسات النفسية والاجتماعية بتأييده . . إذ صار من الثابت أن الإنسان يتأثّر بالظروف التاريخية والاجتماعية من حوله . . كما يتأثّر بالظروف النفسية . . . الخ فهو نسبيّ!] إلا انه (أي العقل) إذا ما عرض عليه ما هو حسن أدرك حسنه . . وإذا ما عرض عليه ما هو قبيح أدرك قبحه![1] .

3- أما قوله بعد ذلك: إنه يرجو أن يكون عند حسن ظني عند اختياره لهذا الفضل . . . فالأمر هنا يحتاج إلى توضيح . . إذ إنني اخترته مشترطاً أن يقوم بـ «دراسة نقدية» . . . متعهداً له أنني سأنشر «الدراسة النقدية» مهما كانت شدتها . . ولا أقول قسوتها . . فقد عرفت شيخنا الجليل وأستاذنا الفاضل «ليناً في غير ضعف . . وشديداً في غير عنف» . . .

---

(1) على أنني وقفت على مقولة لأحد أعمدة النظام الإعلامي الحديث والمعاصر، وتوقفت عندها، وهي توضح سياسة «التدفق الإعلامي من جانب واحد One side flow of information» . . ومفادها «أعْطِ العقل معلومات صحيحة تضمن أنه يصحّح نفسه حتى لو أخطأ أول مرة . . أعْطِه معلومات غير صحيحة . . أو خاطئة . . أو ناقصة أو مشوّهة أو مزيفة . . . ؟ فأنت لا تدمّر قدرته على اتخاذ القرار الصحيح فحسب . . بل أنت تدمّر عقله نفسه؟!» .

– وكلمة أخيرة؛ إنني نشرت التقديم كما جاءني دون إضافة أو حذف أو تعديل. . . شاكراً لشيخنا الجليل وأستاذنا الفاضل حسن ظنه. . آملاً أن ألقى الله. . داعية لهذا الدين. . **اقتناعاً** بأننا جميعاً كل الناس **في حاجة إليه**. . إلى **درجة الضرورة**. . . **وأنه الدين الصالح** لمعالجة كل مشكلاتنا. . وبكل واقعية وعقلانية وعلمية وعملية. . . ولا إله إلاّ الله. . عليها نحيا. . وعلى هداها نجتهد. . وفي سبيلها نجهد ونجاهد. . وعليها نلقى الله. . بفضل الله وعونه. . .

طرابلس في: غرة ذي الحجة / 1415 هـ ومن إكمال الدين واختتام النبوة بوفاة محمد ﷺ
[1426 من تكوين دولة المدينة]
31/ 12/ 1373 من وفاة الرسول ﷺ
(2005 م من ميلاد السيد المسيح عليه السلام)

الفقير إلى الله
إبراهيم بشير الغويل

تقديم

الأخ الأستاذ إبراهيم بشير الغويل عرفته المؤتمرات العلمية والشعبية داخل ليبيا وخارجها متحدثاً لبقاً، يؤثر في مستمعيه ويستحوذ على قلوبهم، ويقنعهم بما يقول، بما يملك من ترتيب فكر، وبلاغة أسلوب، ودقة عبارة، وثقافة واسعة، وذاكرة حافظة، وحجة قوية . . .

كما عرفه القضاء المحلي والعالمي محامياً بارعاً، ذا قدرة فائقة على إقامة الدليل الجازم، والبرهان القاطع، والحجة الدامغة على صدق دعواه، وسلامة أدلته . . .

كما عرفه المجتمع الليبي - قبل ذلك - شاباً ذكياً طموحاً، يكبر سِنَّه في فكره، ويتخطى عُمْرَه في دائرة معارفه، مجاهداً مناضلاً في سبيل استقلال بلده وتحرير أمته من الاستعمار العسكري، ومن التخلف العلمي والثقافي، ومن الجمود الفكري، ومن الانغلاق الحضاري . . .

نشأ في أسرة ليبية لها مكانتها الاجتماعية، وثقافتها العلمية، وتواصلها مع فكر وآراء وتطلعات زعماء المصلحين والمجددين في الأمة الإسلامية في القرنين التاسع عشر والعشرين، تحب مصر وتعشق شعبها . . .

كما عرفتُه أخاً وفياً، وصديقاً مخلصاً، وخليلاً محباً، صاحب ابتسامة بشوشة، وقلب منشرح، ومنزل عامر، وبيت لا يغلق بابه . . .

كما عرفه الإسلام مسلماً غيوراً على دينه، مجاهداً في سبيل إعلاء رايته، مدافعاً عن قضاياه، مؤرخاً محللاً لما جرى ويجري على ساحة أمته، ذا نظرة

بعيدة ثاقبة في توقع الأحداث، مفحماً في الرد على أكاذيب وافتراءات أعداء الإسلام . . .

والكتاب الذي بين أيدينا ثمرة من ثمرات أشجار بستان إنتاجه العلمي في الرد على الملحدين الذين لا يؤمنون بالدين، ولا يعتقدون بوجود رب العالمين، خالق الكون بمن فيه وما فيه، (أصحاب مقولة: الدين أفيون الشعوب).

والأستاذ إبراهيم في منهج إثبات وجود الله، وإقامة الأدلة والبراهين على الإيمان بالدين، استخدم الأسلوب العلمي الذي يؤمن به الملحدون ولا ينكرونه، للوصول في النهاية إلى استنطاقهم بالإيمان بالله، والاعتقاد بالدين.

ونحن نعرف أن حكام بعض الدول العربية في الخمسينات وما بعدها سمحوا للفكر الماركسي الإلحادي أن يكون له وجود في دولهم، لاسيما بعد صفقة بيع الأسلحة التشيكية لمصر عام 1954م ـ التي كسرت احتكار الغرب بيع السلاح لمنطقة الشرق الأوسط ـ، الأمر الذي ترتب عليه أن انتهز الشيوعيون العرب الفرصة فبدؤوا في التهكم على الدين، والهجوم على الإسلام . . . وبدؤوا محاولاتهم نشرَ الإلحاد بين المسلمين . . .

وغاب عن هؤلاء الملحدين أن الله ﷻ يهيئ للدين الإسلامي جنوداً يظهرون، عندما يدب اليأس في قلوب المسلمين، فيصولون في الميدان، يقذفون بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق، وتكون كلمة الله هي العليا وكلمة الذين كفروا هي السفلى . . . ومن هؤلاء الجنود الأخ الأستاذ إبراهيم بشير الغويل . . .

وليس من باب المصادفة أن يتأثر الطالب إبراهيم بشير الغويل ـ الفتى الصغير 13ـ14 سنة بكتاب: (في الشعر الجاهلي لطه حسين) فيحدث فيه (بعد قراءته) هزّة ـ كما يُعبّر هو عن نفسه ـ تصل به إلى أن يفتقد أحد طرفي المعادلة في إعجاز القرآن الكريم . . . لأنه إذا كان الشعر العربي منحولاً . . وكان مستوى البيان العربي هو

مستوى البيان القرآني. فما الدليل على إعجاز القرآن؟ وما الدليل على أن محمداً رسول الله؟ بل وما الدليل على وجود الله؟...

ويُعبر هو عن ذلك بقوله: ولا أستطيع أن أصَوِّر الحالة النفسية لفتانا وقد وجد «كبرى اليقينيّات» و«دلائل النبوة» تهتز في نفسه باهتزاز «إعجاز القرآن» الذي هو معجزة النبوة... والنبوة هي الدالة على الله؟.. وأفضل أن أترك لك ـ أيها القارئ ـ أن تطلق العنان لتصوراتك، بل وخيالك، لحال هذا الفتى وهو يمر بهذه «الضلالة» التي لولا فضل الله ونعمته لما اهتدى - بعدها - سبيلاً... ولكن فضل الله الذي جعلني، ويجعلني دوماً، أعرف أن أي شيء أوتيته لم يكن على علم عندي... بل هو فضل الله أولاً وأخيراً... فضل الله الذي هداني أن أتوجه بحيرتي و«ضلالتي» و«تساؤلاتي» لا لأستاذ العربية، ولا لأستاذ الدين، بل لأستاذ اللغة الإنجليزية؟.

كما أنه ليس من قبيل المصادفة أن يهيئ الله لهذا الفتى ـ الذي يمر بهذه الضلالة ـ منقذاً مرشداً غير متخصص في اللغة العربية والعلوم الدينية... هو الأستاذ ناصر الدين الأسد ـ مدرس اللغة الإنجليزية[1] ـ الذي كان مشغولاً في ذات الوقت ـ بإعداد رسالة الدكتوراه عن (مصادر الشعر الجاهلي) رداً على كتاب: (في الشعر الجاهلي لطه حسين)[2]!!!

إنه ليس من قبيل المصادفة هذا أو ذاك، وإنما كان ذلك تقديراً إلهياً، أراده الله لتكوين مسلم يمرّ بضلالة، تحدث فيه هزّة، تجعله يعيش مرحلة شك في كبرى يقينيات دينه... فيهيئ الله له مرشداً ـ على مستوى التقدير الإلهي ـ يبدد تلك الضلالة عن طريق العلم والإقناع العقلي والمنطقي، فيمحو ذلك الشك، ويزرع في

---

(1) والأصح.. هكذا كنت أتصور.. (المؤلف).

(2) والأصح.. والذي اتضح فيما بعد أنه «كان مشغولاً...».. ولم يكن من علم عندي بهذا حين توجهت إليه بضلالاتي وتساؤلاتي... (المؤلف).

قلبه اليقين الثابت . . ليكون - في التقدير الإلهي بعد ذلك - جندياً من جنود الله المدافعين عن دينه . . . هذا الجندي هو : الأستاذ إبراهيم بشير الغويل .

لقد كتب الأستاذ إبراهيم بشير الغويل كتابه القيّم (ضلالات فتى حول كبرى اليقينيات) ليواجه به الفكر المادي الملحد ويعريّه ، فيكشفه في أقصى ضلالاته ، ويمزّق المستور عن زيفه وافتراءاته . . . وذلك من أجل تأسيس فكر إيماني صادق ، معاصر ومستقبلي ، مؤسس على ما يقدمه القرآن الكريم من هدي إلهي يهدي إلى التي هي أقوم ، يعالج كل جوانب النفس ، وجوانب المجتمع ، وأمراض الإنسان ، بل وكل مجالات الحياة . . . ويقدم الحلول لكل مشكلات العصر . . .

كتبه في صيغة رسالتين:

1 . الرسالة الأولى موجهة إلى الرفيق نيكيتا خروتشوف كتبها عام 1959م .

2 . الرسالة الثانية موجهة إلى الرئيس جمال عبد الناصر كتبها عام 1959م .

وكان لكل من الرسالتين مناسبة لكتابتها ، ذكرها المؤلف في مقدمة الكتاب ، لن أفيض في شرحهما ، فهما بين يدي القارئ ، وسيهتدي بنفسه إلى ما فيهما من : شرح . . . وتحليل . . . ونقد . . . وتقرير . . . وتحقيق غاية . . .

لقد وفق الأستاذ إبراهيم بشير الغويل غاية التوفيق - بفضل من الله - في إقامة الأدلة والبراهين على بطلان الفكر المادي الملحد . . . وانتهى - طبقاً لما ذكره في الكتاب - إلى التسليم بأن :

الله الحي القائم بذاته ، الدائم الوجود ، المخالف للحوادث ، قد خلق هذا الكون ، وأراد (أي خطط) وقدّر (أي نفذ) أمور هذه الحياة الدنيا في شكل «أقدار» و«أقضية» وذلك بقصد يشاؤه على ضوء علمه وحكمته . . .

وأوجد هذا الإنسان المستخلف المكرم بالعقل . . . والذي يستطيع أن يختار، وقد خلقه من ذكر وأنثى، وجعله شعوباً وقبائل ليتعارف . . . وأرسل له الرسل بالكتب التي تحوي تنظيم الحياة . . . فإن اتبع فقد هُدِيَ . . . وإلا إلى ضلال وسيحاسب . . . ثم إن هذا كله يتلاقى مع كون الله هو المثل الأعلى . . .

فنحن أمام :

1. إيمان بالله .
2. تكريم الإنسان وحريته . . . وهو مستخلف .
3. الإنسانية . . . والعالمية، لكي يتعايش الناس .

وذلك بدلاً مما يسود الآن :

1. الإلحاد .
2. طغيان الجماعية والنسبية البشرية .
3. التعصب والحزازات .

كما وفق الأستاذ إبراهيم بشير الغويل في تحليل واقع الأمة العربية والإسلامية . . . وعرض الأخطاء التي وقعت فيها في علاج قضاياها ومشكلاتها السياسية والاقتصادية والاجتماعية . . . وعجز حكامها عن اتخاذ القرار المناسب في الوقت المناسب . . . وضرب أمثلة لبيان ذلك، منها قضية فلسطين كموضوع صالح للإبانة عن التهريج السياسي غير المبني على فكر . . .

إن رغبتي في أن يغوص القارئ في أعماق الكتاب ليكتشف بنفسه واقع حال أمته . . . ويعمل مشاركاً مع المخلصين في صلاح حالها . . . تجعلني اكتفي بهذه الإشارات . . .

إنني أناشد شباب الأمة الإسلامية والعربية أن يقرؤوا هذا الكتاب :

1. لتثبيت الإيمان عندهم بيقينيات دينهم.
2. لتوسيع دائرة معارفهم بما يدور على الساحة الدولية من فكر ضال ضد عقيدتهم. . . ومؤامرات خبيثة ضد إسلامهم. . .
3. لتقوية الحصانة لديهم ضد الفكر المتطرف، والغزو الإلحادي الجارف الذي يهاجم الإسلام بشراسة هذه الأيام، مستخدماً التطور السريع الذي حدث في وسائل الاتصال والإعلام. . . وفي القنوات الفضائية التي اقتحمت الإنسان في عقر داره. . . والذي رصدت له الصهيونية العالمية، ومراكز التبشير الدولية، الأموال الطائلة، والإمكانات الهائلة، وجندت له كثيراً من الناس الذين باعوا أنفسهم للشيطان. . .
4. للعمل الجاد على أداء الأمانة التي كلفوا حملها. . .
5. للنجاة من العقاب يوم الحساب في يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون. . .

إن الكتاب يحتاج إلى قراءة متأنية . . . يلازمها تركيز دقيق. . . لفهم جمله وعباراته. . . والوصول إلى الغايات المستهدفة منه. . . لأن المؤلف اختار الطريق الصعب في نسج كتابه (الأسلوب العلمي) الذي يخاطب العقل. . . وهو نسيج غير مألوف لدى كثير من قراء اليوم. . .

إنني أحيي أخي الأستاذ إبراهيم بشير الغويل على تأليفه هذا الكتاب الذي:

1. يكشف زيفاً. . .
2. يصحح فكراً. . .
3. يهدي ضالاً. . .
4. يسجل تاريخاً. . .

5. يقر حقيقة . . .

6. يوجّه أمة . . .

كما أحيي فيه تواضعه الجم، واعترافه بفضل الله عليه، وأدعو بالرحمة لوالديه اللذين أنجباه، وأحسنا تربيته وتوجيهه، وأدعو بالخير للأستاذ الدكتور ناصر الدين الأسد الذي أرشد حائراً، وهدى ضالاً . . . فانقلب بنعمة من الله وفضل داعية لدينه . . . مصلحاً لمجتمعه . . . واعظاً لأمته . . .

القاهرة في : 18 من ذي القعدة 1426 هـ

20 من ديسمبر 2005م

فوزي فاضل الزفزاف

عضو مجمع البحوث الإسلامية

رئيس اللجنة الدائمة للأزهر للحوار بين الأديان السماوية

وكيل الأزهر الأسبق

عضو الجمعية العمومية للمجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين

هذا الكتاب.. له قصة؟!

بفضل من الله، ولا أقول ﴿إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ . . .﴾. . بل هو فضل من الله ومنّة، نشأت في جو أسري مليء بالمحبة. . وقد كنت أوسط الأولاد في الأسرة. . وكنت أحمل اسم جدي. . والد والدتي - الذي ولدت في بداية السنة التالية لوفاته. . فسمتني أمي باسمه - فأحبتني. . **أما والدي فكان رجلاً وطنياً مثقفاً ثقافة إصلاحية وحداثية. . فهو من المتابعين لأفكار الشيخ محمد عبده - باعتباره ممثل الحركة الإصلاحية/** جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده - **وفي نفس الوقت من المتابعين للحركة الحداثية التي يمثلها آنئذ أحمد لطفي السيد وطه حسين والعقاد** والمازني. . . وعلى كل فقد كانت جلساتنا الأسرية المسائية (سهراتنا الأسرية الليلية)، التي صارت تنعقد في الأربعينات، **تدور حول هذه الأجواء. . وباقي الأجواء المصرية**[1]، ومصر هي «أم الكنانة» عند الوالد وجيله، وكل ما يجري فيها يستحق الاهتمام. . **حتى الأجواء الفنية** من جورج أبيض ويوسف وهبي. . . ومنيرة المهدية وأم كلثوم وسيد درويش ومحمد عبد الوهاب. . . الخ.

ووهبني ربي - تفضلاً منه ومنّة - درجة من الذكاء جعلتني أول زملائي في المدرسة الابتدائية، ثم الثانوية، مما زاد من «مكانتي» في بيتنا. . وفي المدرسة. .

---

(١) طبعاً. هذا في ما يتعلق بالأجواء غير الليلية. . أما في ما يتعلق بهذه الأجواء الليلية. . . فيمكن الاطّلاعُ على ما أرفق - في آخر هذا «الكتيب» - من سيرة ذاتية (C.V) تحت رقم (١) بيانات شخصية اجتماعية وملامح تاريخ سياسي.

وفي الحي . . وبين زملائي . . وفي نظر أساتذتي جميعاً . . . إذ كانت أولويتي مطلقة؟! . . ليس في مجال الرياضيات فحسب . . ولا في العلوم فحسب . . بل في كل المجالات الأخرى من جغرافيا وتاريخ ودين **ولغات بالجمع** . . أي اللغة العربية . . واللغة الإنجليزية . . **والفرنسية** . وعند هذه النقطة (اللغة الفرنسية . . وأستاذها) أتوقف . . فقد اهتم بي أستاذ الفرنسية مزيد اهتمام، وهو من أصول لبنانية ومن المتعمقين في اللسان العربي بالإضافة إلى الفرنسية وقد كان من إخواننا المسيحيين . . وقد تولاّني باهتمامه لا لتعليمي الفرنسية فحسب . . بل لتثقيفي بصفة عامة . . وبدأ يزوّدني بكتب أساسية من مثل «في الشعر الجاهلي» لطه حسين طبعة 1926م! وقد أحدثت قراءتي لهذا الكتاب أثرها الفوري لدى فتىً (13/ 14 سنة) يتمتع بدرجة عالية من الذكاء وبعقلية رياضية **وجدتني أفتقد أحد طرفي المعادلة**؟! التي كان يقدمها لنا أستاذ اللغة العربية وأستاذ الدين حينما يتحدثان عن وجه «الإعجاز» القرآني . . مقارنين - **بين** «الشعر الجاهلي» ومستواه - **وبين** القرآن الذي جاء بلسان عربي مبين «معجز»؟! . . . وقد أحدث هذا هزة أي هزة في نفس فتى ذي عقلية رياضية . . فشعر أنه لم يعد هناك من «إعجاز»[1] . . إذا كان القرآن هو مستوى البيان العربي . . وكان الشعر الجاهلي شعراً منحولاً في ما بعد؟! لإثبات «إعجاز» قرآني بدون وجود حقيقي لطرف المعادلة الآخر؟! . . . لقد كانت المعادلة: القرآن «**معجز**» **في مواجهة** شعر جاهلي (باعتباره هو مستوى البيان العربي) . .

فإذا صار القرآن هو مستوى البيان العربي . . فلا طرف آخر يثبت أن القرآن «معجز» في مواجهته؟!

ولا أستطيع أن أصور الحالة النفسية لفتانا وقد وجد «كبرى اليقينيات» و«**دلائل النبوة**» **تهتز في نفسه باهتزاز «إعجاز» القرآن** . . الذي هو «معجزة»

---

(1) لقد وضعنا كلمة «إعجاز» . . . بين الإشارة الدالة على أننا ننقل هذه المفردة نقلاً عما هو سائد؟! ذلك أن هذه المفردة من مفردات القرآن الكريم إنما تدل على المعاجزة من الضعيف للقوي . . ولا تدل على أن القويّ «يعاجز» الضعيف؟! ولكنها على كل حال . . وإن كانت لا توافق فإنها لا تفارق؟! . .

النبوة . . والنبوة هي الدالة على الله؟! . . . . وأفضّل أن أترك لك أن تطلق العنان لتصوراتك، بل وخيالك، لحال هذا الفتى وهو يمر بهذه «الضلالة» التي لولا فضل الله ونعمته لما اهتدى - بعدها - سبيلاً . . ولكن فضل الله الذي جعلني، ويجعلني دوماً، أعرف **أن أي شيء أوتيته لم يكن على علم عندي . . بل هو فضل الله أولاً وآخراً** . . . فضل الله الذي هداني أن أتوجه بحيرتي و«ضلالتي» و«تساؤلاتي» لا لأستاذ العربية، ولا لأستاذ الدين، بل لأستاذ اللغة الإنجليزية؟! . . . إن لم يكن هذا بفضل من الله . . فهل هذا التّوجّه بالحيرة و«الضلالة» و«التساؤلات»، إلى أستاذ اللغة الإنجليزية، توجّه منطقي لفتى يعتز بذكائه وتفوقه الرياضي المنطقي؟!

ولتعرف أين يكمن فضل الله هنا في هذا التّوجّه . . فإنني أذكر لك أن أستاذ اللغة الإنجليزية بالمدرسة الثانوية الوحيدة بطرابلس وما حولها (إلى بنغازي وما حولها . . حيث توجد الثانوية الأخرى)؟! كان هو الأستاذ ناصر الدين الأسد ولم يكن آنئذ الأستاذ الكبير الدكتور ناصر الدين الأسد . بل الأستاذ ناصر الدين الذي يتغرب لكي يعمل بما معه من لغة إنجليزية ولا أريد أن أقول إنها «مصادفة» . . بل أقول شاء الله بفضله أن يكون بطرابلس . . شاء الله بفضله أنه كان يعمل وعلى غير علم مني بأنه كان يعمل على إعداد رسالته لـ «الدكتوراه» عن «مصادر الشعر الجاهلي» . . رداً على كتاب «في الشعر الجاهلي» لطه حسين . . . فحمداً لله على صنائعه . . . وشكراً لله على نعمائه . . وعلى فضله الذي أجراه على يد هذا الأستاذ الكبير . . والذي عاملني على مستوى من الاحترام ولم ينهرني على تساؤلي الضال بل أقول: والذي جاء بصيغة وقحة؟! : «إنهم يعلمونني أن القرآن قد جاء وحياً يوحى على النبي بتوضيح «إعجاز» القرآن مقارناً بالشعر الجاهلي . . فإذا كان هذا الشعر منحولاً . . وكان مستوى البيان العربي هو مستوى البيان القرآني فما الدليل على «إعجازه»؟ وما الدليل على أن محمداً رسول؟! . . بل، وما الدليل على وجود الله؟! . . . «وما أن سمع هذا الأستاذ الفاضل هذه «الضلالات» وهذه

«التساؤلات» حتى أدرك أنها مترتبة على قراءة كتاب «في الشعر الجاهلي» لطه حسين. . فسألني وقد هب واقفاً منزعجاً. . وأزعجني بانفعاله بداية. . إلا أنه لم يلبث أن طمأنني حينما سألني: «من هذا ابن. . . الذي أقْرَأكَ كتاب «في الشعر الجاهلي. ؟!». . فبقدر ما أزعجني انفعاله بداية. . إلا أن إدراكه أنني قرأت هذا الكتاب. . أشعرني أنني جئت بسؤالي لمن يعرف وزاد طمأنينتي حينما قال لي: «تفضل اجلس» وكان أمامه كرسي آخر غير الذي كان يجلس عليه. . ثم قال: «هل تستطيع أن تكون في مستوى تساؤلاتك؟!». . فازددت مزيد طمأنينة. . وعلمت أن هناك إجابة على هذه التساؤلات حتى وإنْ تطلبت مجهوداً. . . وأجبت باعتداد «ولمَ لا! » فقال: «إذن عليك أن تتوجه للمكتبة الوحيدة التي في مدينتكم «مكتبة الأوقاف» وتبحث عن «المعلقات» وتنقلها واحدة واحدة. . وبخط يدك. . وعلى أن تستخرج المفردات الصعبة لكل معلقة أولا بأول وتبحث في المعاجم عن معانيها وتكتبها. . . وما إن تنته من كتابة معلقة واستخراج مفرداتها. . حتى تعرضها عليّ. . . ونتناقش. . .» فشعرت باعتزاز وبداية طمأنينة. . أما الاعتزاز فهو بهذه الثقة من أستاذي الذي وثق أنني أستطيع أن أتوصل إلى إجابات بمجهودي الخاص[1]. أما بداية الطمأنينة فهي أنني شعرت بأن هناك إجابات. . وأنَّ أستاذي يوجّهني نحوها. . . والقصة بعد ذلك طويلة **ولكنني أختصرها هنا. . على أنك سترى امتداداتها في الرسالة الأولى الموجهة إلى الرفيق خروشوف فهي تكشف أن هذا الفتى سار بعد ذلك في مسارات ومسارات حتى يواجه «ضلالاته» وتساؤلاته. . . ولكن النتيجة الأولية لهذه المسيرة التي وضع قدمي على بدايتها أستاذي الأستاذ الكبير الدكتور ناصر الدين الأسد** هو ما أوردته عند حديثي عن أوجه «إعجاز» القرآن. . والتي كان أولها مستوى الأمة التي نزل

(1) وبالمناسبة، في مقابلة أخيراً مع أستاذي الكبير. . وقد ذكرته، ذاكراً فضل الله الذي أجراه على يديه، قال لي: «إن ما كلفتك به وأنت في تلك السن، وفي تلك السنة الدراسية، لا أستطيع اليوم أن أكلف به طلبة الدراسات العليا عندي». . .

عليها هذا القرآن . . ومستوى البيان الذي وصلته والذي جاء القرآن الكريم متحدياً له . . . .

وقد قلت : إن هناك من هو من أمثال من يقول :

« . . . . شغلني أيضاً هذا «الشعر الجاهلي» وشغلني أصحابه . . فأدّاني طول الاختبار والامتحان والمدارسة إلى هذا المذهب الذي ذهبت إليه . . حتى صار عندي دليلاً كافياً على صحته وثبوته ، فأصحابه الذين ذهبوا ودرجوا ، وتبددت في الثرى أعيانهم ، رأيتهم في هذا الشعر أحياء ، يغدون ويروحون ، رأيت شابهم ينزو به جهله ، وشيخهم تدلف به حكمته ، ورأيت راضيهم يستنير وجهه حتى يشرق ، وغاضبهم تَربَدّ سحنته حتى تظلم ، ورأيت الرجل وصديقه ، والرجل وصاحبته ، والرجل الطريد ليس معه أحد ، ورأيت الفارس على جواده ، والعادي على رجليه ، ورأيت الجماعات في مبداهم ومحضرهم ، فسمعت غزل عاشقيهم ودلال فتياتهم ، ولاحت لي نيرانهم وهم يصطلون ، وسمعت أنين باكيهم وهم على الفراقِ مزمعون ، كل ذلك رأيته وسمعته من خلال ألفاظ هذا الشعر ، حتى سمعت في لفظ الشعر همس الهامس ، وبُحّة المستكين ، وزفرة الواجد ، وصرخة الفزع ، وحتى مثلوا بشعرهم نصب عيني . . . كأنني لم أفقدهم طرفة عين ، ولم أفقد منازلهم ومعاهدهم ، ولم تغب عني مذاهبهم في الأرض ، وحتى كاشفوني فلم يخفوا عني شيئاً ممّا عاينوا وأبصروا ، ولا ممّا أحسوا ووجدوا ، ولا ممّا سمعوا وأدركوا ، ولا ممّا قاسوا وعانوا ، ولا خفي عني شيء مما يكون به الحي حياً في هذهِ الأرض التي بقيت في التاريخ معروفة باسم «جزيرة العرب» . . . » .

– ومن المفهوم أن من يصح ويثبت عنده الشعر الجاهلي بهذه الدرجة . . . فإنه يصح ويثبت لديه أن هذا اللسان العربي المبين قادر أن يتحمل القدر الهائل من المفارقة بين كلامين : كلام هو الغاية في البيان في ما تطيقه القدرة الإنسانية ، وكلام يقطع هذه القوى ببيان ظاهر المباينة له من كل الوجوه . . .

- وهو كلام الحقيقة المطلقة كما جاء في كتاب الحق المطلق: القرآن.

ولقد كان من مشيئة الله وحكمته أن قضى وقدّر للعرب أن يصلوا بلسانهم إلى كلام هو الغاية في ما تطيق القوى. . بما أوتوا من لطف تذوق البيان. . ومن العلم بأسراره ووجوهه. . . حتى إنَّ البيان كان في نفوسهم أجلّ من أن يخونوا الأمانة فيه - ولقد بلغوا في «الإعراب» عن أنفسهم المبينة عنهم، مبلغاً لا يُدَانَى. . حتى سُمُّوا عرباً. . . **ثم جاءهم القرآن بكلام يقطع القوى ببيان ظاهر المباينة من كل الوجوه لما بلغوا** . . . وهو كلام الله جاء به القرآن.

- ولا بد من دراسة لهذا اللسان الذي هو استثناء وحيد بين الألسن واللغات، ولكنني، كما سيلاحظ القارىء في الرسالتين المرفقتين قد **ذهبت في ما بعد بعيداً في بحثي عن أوجه «الإعجاز»**. . والتي صرت أشعر **أن أهمها ما يقدمه هذا الكتاب (القرآن)** من هدي. . يهدي إلى التي هي أقوم. . وهي معالجات يقدمها «الدين القيم» الذي يقوم بكل جوانب النفس وجوانب المجتمع. . . الخ.

- ومن هنا. . فإننا نرى **أن وجه «الإعجاز» المعاصر هو ما يقدمه القرآن من حلول للمشكل الاقتصادي والسياسي .. وما يرسيه من ركن اجتماعي يتأسس على «التسوية»** التي يجب **أن تتزكى وتُنَمَّى** - ضمن «وقايات» - ليكون **الفلاح**. . الذي هو بقاء لا فناء. . وغنى لا فقر. . وعز لا ذل. . وعلم لا جهل. . **أما «الدس»** والقمع فيؤدي إلى «الفجور» والخيبة . . . **كما يتأسس هذا الدين على الفطرة المؤكدة بالأعراف. . . ويستوعبها «الدين القيم»**. . .

- فهذا «الكتاب»، وخاصة في قسمه الأول، هو مناقشة لـ «الفكر المادي». . . من أجل تأسيس لفكر ديني معاصر ومستقبلي. . . - وهو بهذا قول أيضاً في «دلائل النبوة» من خلال القول في أوجه «إعجاز» للقرآن غير وجه «الإعجاز» البياني. . .

- فهذا «الكتاب» يقدم، في هذه الحالة بقسميه، **بمنهج علمي** [بمفهوم أن العلم هو: **صلة عقلية، رابطة لتفكر** - وفرك! أو تحليل - **لواقع، متيقن منها**. .

ويمكن إقامة الدليل عليها . . .] مدى حاجة الإنسانية ، ولدرجة الضرورة ، للدين . . وذلك أنه الأصلح لمعالجة مشكلاتها . . والأكثر إرضاء وتكويناً لقناعات تقوم على التعقل والتفكر في الواقع من أجل علم وعمل . . . الخ .

والخلاصة : أن الرسالتين المنشورتين هنا إنما تناقشان بمنهج علمي الإسلام من حيث إقناعيته . . ومن حيث صلاحيته . . وبما يجيب أيضاً على الإسلام من حيث ضرورته للواقع الإنساني المعاصر . . .

هذا ، وقبل أن أختم هذا الحديث عن «هذا الكتاب . . .» وقصته . . لا بد أن أذكر أن هاتين الرسالتين – اللتين يحتويهما هذا الكتاب – من الواضح أنهما كتبتا في 1959م لمناسبتين مختلفتين . . كانت إحداهما عندما حدث الاختلاف بين عبد الناصر وخروتشوف . . وأصدر شيوعيو العراق «الكراسة الرمادية» التي تهجمت على الإسلام . . . والأخرى حينما كنت أنهي مرحلة قلت ، وأقول عنها دوماً ، «وفي مصر . . بدأت حياة صاحبنا مرحلة جديدة مما تتيحه مصر الخمسينات برجالها ومنتدياتها وآفاقها . . . الخ» .

. . . على أن أهم ما يجب أن أقول ، والحقّ أقول ، هو أن هذا الكتاب بقوله في «الإعجاز» القرآني من حيث ما يقدم من هدي هو الأكثر منطقية . . والأصلح لمعالجات مشكلات العصر . . وبالتالي فهو ضروري للناس كافة في هذا العصر . . وكل العصور – إنما قصد أن يؤكد للناس أن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم . . وأنه يحمل «الذِّكْر» الذي يُذَكِّر بـ «الأمانة» التي حملها الإنسان . . الذي خلق في أحسن تقويم . . ولئن ارتد أسفل سافلين أحياناً بفعل إظلام غشيهم : أغشاهم فهم لا يبصرون . . كأنما أغشيت وجوهم قطعاً من الليل مظلماً . . . – ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وأبصارهم غشاوة . . . فكان الإنسان ظلوماً جهولاً . . وجهلوا وتجاوزوا ما يهيئهم للقيام بالأمانة ، وما خلقوا إلا ليتهيؤوا – ويُعَبِّدوا – ، وما يهيئهم ويُعَبِّدُهم للقيام بأمانة الاستخلاف إلا الإيمان بأنْ «لا إله إلا الله» . . إلا أنهم

يجهلون فقالوا: «اجعل لنا إلهاً.. كما لهم آلهة..»! وهم يجهلون فيأتون من الشهوات ما يتجاوزون به الفطرة... وكانت كلمة «لا إله إلا الله» تأتي لتعيدهم إلى ما يهيئهم أو يُعبّدهم لأمانة الاستخلاف، ويعالج التجاوزات، ويأمرهم بالعرف المتوافق مع الفطرة، وحتام (حتى إذا ما) استوفت المسيرة الإنسانية «جهالاتها» وتجاوزاتها جاءتها الرسالة الخاتمة... محتوية الماضي.. ومستشرفة المستقبل[1].

... وكانت «الشريعة» فيها هي النبع الدافق المنطلق من طهارة الفطرة التي فطر الله الناس عليها «لا تبديل لخلق الله»... - ولا بد أن ينظر إلى ما شرع الله من الدين على أنه انطلاق من «مَشْرَعَة» يتدفق ماؤها عداً... أي إنَّ الانطلاق كان تياراً يطوي كل «تأسُّنٍ» وتخلف.. ويسير في مسارات واسعة وعريضة لا تحدها إلا حدود «عند النهايات».. مُكَوِّنة «وقايات» تمنع الخروج عن «نهايات» المسار؟!.. وتعينُ على التوجه نحو الوجهة...

ولابد أن يستبين الناس: طهارة النبع... وسعة الرحمة في المسار... واستقطاب الوجهة لكل كمال وتمام النعمة...

وطهارة النبع هي من طهارة الفطرة التي فطر الله الناس عليها ﴿لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ﴾.. ومن الحفاظ عليها متدفقة لا انقطاع لها.. بل و«تزكيتها» وتنميتها في مسارها المضبوط الذي لا حدود له إلا ما حده الله من حدود.. يكون من يتجاوزها قد جاوز النهايات؟!.. فابتعد عن النُّهَى.. وانخلع عن «النُّهْية» (وهي النهاية المتكورة في آخر الوتد تمنع الحبال أن تنخلع فتنهدم الخيمة..) فلم يعد معتصماً بحبل الله.. الذي أمرنا أن نعتصم به جميعاً...

فالتزكية أو التنمية.. والوقايات أو التقوى هي أساس كل فلاح... أما الدس أو القمع والإخفاء.. فهو يؤدي إلى الفجور.. وإلى الخيبة...

---

(1) ولمزيد تجلية مفهوم الرسالة الخاتمة.. باعتبارها احتواءً للماضي.. واستشرافاً للمستقبل... فقد ألحقنا مقالاً ساهمنا به في المؤتمر السابع للدعوة الإسلامية العالمية «الرسالة الخاتمة.. احتواء للماضي.. واستشراف المستقبل».

يضاف إلى هذه الإشادة بطهارة النبع . . وطهارة الفطرة الإشادة بأن المعرفة الإنسانية – هي من المعروف . . وتكون أعراف المسيرة [ويلاحظ أن مادة المعرفة والعرف، كما هي مادة المعالم والعلم، تتشابه في معناها مع النبأ والإنباء؟! . . التي هي الارتفاع أو الأرض المرتفعة . . كما أنَّ أصل كلمة (المعرفة) مأخوذة من (العرف) و(الأعراف) أي قمم المرتفعات، كذلك تتشابه مع كلمة المعالم والأعلام . . أي الجبال والشواخص الظاهرة . . وكأنها في أصول اللسان العربي الراشد تتفق هذه الكلمات في دلالاتها على كل ما يكون وضوحه في الإدراك (يقيناً) ملء الحواس والوجدان والعقل كرؤية الجبال الراسخة والقمم الشامخة دون ظن أو شك أو وهم . . .] ومعالم المسيرة الإنسانية السليمة هي ما كان منها نتاج فطرة سليمة وجاءت متوافقة مع ما شرع من الدين – الدين القيم . . دين الفطرة التي فطر الله الناس عليها . . . ويستحيل أن يتنكر دين الفطرة لها . . ويستحيل ألا يكون قيّماً بكل جوانبها أو ألا يكون آخذاً بما عرفت من معروف ومنكراً لما أنكرت من منكر . . .

وإذا كان هذا ما يتصل بطهارة النبع وضبط المسار – فإن الحديث عن الوجهة ودورها في تنشيط الإرادة وحفزها للسير في المسار العظيم والمسارعة إلى الخيرات . . . إن هذا هو الذي استدعى، ويستدعى، حديثنا عن (المثل الأعلى) وقد يستدعى أيضاً حديثنا عن (الأنموذج) . . عن الأسوة أمام السائرين ومدى التهيئة للاستجابة . . .

ومن المعروف أن الاستجابة للمثل الأعلى، وخاصة إذا كان مثلاً أعلى مطلقاً وموضوعياً، فإن وجود (الأنموذج) أو الأسوة التي تجسده، كذلك التهيئة التي تهيئ النفس أو (تعبدها) لما يساعد على الاستجابة . . .

ولعله ليس من قبيل المصادفة تعلق الناس مع الدين القيم بالأسوة و(الأنموذج)، كذلك تعلقهم بشعائر العبادات – وإن كان فيها من التجسيد . . إلا أنه تجسيد بأعلى درجات التجريد؟! . . . وما (الكعبة) إلا تجسيد في أعلى درجات التجريد (التكعيبية)؟! . . .

ومن هنا كان من أهم مقدسات المسلم: القرآن والرسول ﷺ والكعبة.. والقرآن كاف للذين يكفيهم الفكر؟! والرسول ﷺ أسوة لمن يتعلقون بالشخص، وهو قرآن يمشي على الأرض؟! أما الكعبة فهي أخذ بيد من يبحث عن تجسيد إلى أعلى درجات التجريد (التكعيب)؟!...

وعلى كل، فالعبادة - بتعظيم الله - تهيئ الإنسان للتأسي بالرسول ﷺ والإقتداء بإبراهيم ﷺ وسائر الأنبياء والمرسلين، والاستجابة لما يحييها...

❖ والحياة على أنواع ثلاثة:

- الحياة النامية عند بدء التكون..
- وحياة بنفخ الروح فيه عند إنشائه خلقاً أُخر عند أربعة أشهر وعشر[1]؟!
- وحياة الاستجابة لروح من الله.. عند الاستجابة للمثل الأعلى (الله) والتأسي بالأنموذج (الرسول)... - الاستجابة لله والرسول...

ولابد أن ينظر إلى ما شرع الله من الدين على أنه نظرية في المعرفة وفي الأخلاق وفي فلسفة التاريخ.. وهي نظرية تواجه رؤية الغرب.. القائمة على نظرية باطلة بشأن المعرفة، وأخرى مثلها بشأن الأخلاق، ونظرية في فلسفة للتاريخ مستحيلة..

---

(1) وهذه مناسبة كي نوضح فضل الله علينا بأن علمنا ﴿ وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ سورة الإسراء، الآية: 85.. ﴿ وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا ﴾ سورة طه، الآية: 114.. بأن نقرأ هذا القرآن الذي يهدي للتي هي أقوم، قراءة المُذَكّرين ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴾ سورة القمر، الآية 17- وبقراءة المذكرين توقفنا منذ ما يزيد على نصف قرن عند «أربعة أشهر وعشر» وتساءلنا: ولماذا بهذا التدقيق؟ وازداد إلحاحنا في السؤال عندما وقفنا عند حديث لرسول الله يوضح أن الجنين يكون في رحم أمه نطفة أمشاجاً [ويجب التوقف أيضاً عندما يقول الله تعالى «نطفة أمشاج» والفارق بينها وبين قوله عز من قائل «نطفة من مني يمنى»؟] اثنتان وأربعون يوماً.. ثم يكون «علقة» مثلها.. ثم «مضغة» مخلقة وغير مخلقة.. ثم تُكْسَى العظام لحماً.. ثم ينشأ خلقاً آخر.. فتبارك الله أحسن الخالقين.. وهذا مجموعه (126) = أربعة أشهر وعشر = 18 أسبوعاً - هل توقف علماؤنا عندما يحدث في نهاية الـ (18) أسبوعاً؟! بل هل توقف علماؤنا عند ما يحدث في نهاية (42) يوماً الأولى؟!

ففي رؤية الغرب التي أنكرت على الناس الإيمان تم إنكار مقدرة الناس على أن يعرفوا أي حقائق مطلقة .. ومن ثمَّ اختاروا أن تعين مدى الحقائق الكلية في حدود ما يستطيع الإنسان، وطبيعته الواهنة دون عون الله، أن يكتشفه بنفسه، ونجم عن ذلك نظرية في الأخلاق تترك قوانين الإنسان الخلقية دون أي مقياس خارجي يمكن أن تقاس به؟! فالشذوذ الفردي والعواطف المتقلبة والاتجاهات الطاغية . . . رفعت إلى منزلة قاض يصدر حكمه في قضايا هو فيها فريق؟! وما زُعِمَ أنه إنسانيةٌ تتركز حول الإنسان لا يعدو كونه إحياء لنظرية قديمة عفا عليها الزمن هي نظرية السوفسطائي تاغوراس القائلة بأن الإنسان هو مقياس كل شيء! ولكنه إنسان نسبي يهيم في كل واد ويقول ما لا يفعل ويفعل وفقاً لهواه فيتخذه إلهاً . . ويتأله على عباد الله . . فاتحاً الطريق إلى أنظمة القهر والاستغلال والعنصرية والحروب . . . ونتائج ذلك تشمل جميع ألوان النكبات في العصر الحديث؛ فالمذهب القائل بأن الإنسان مقياس لكل شيء ينشأ عنه، على سبيل المثال، أن الاختلافات الخلقية إنما هي قضية ذوق؟! وهو اعتقاد أصبح وبائياً في المجتمع الحديث، ويستتبع هذا أن السلطة الاجتماعية إنما تقوم على القوة لا على شيء أخر؟! وهو الاعتقاد الذي أخذه الفاشيون والشيوعيون عن (الليبراليين) المتسامحين . . . ! وجردوه من حواشيه . . . ! ثم إذا لم يكن للكون تصميم خلقي أسمى من (الأهواء) البشرية فإنه ينتج عن ذلك أن الإنسان وحده عن طريق ذاته فقط يُعَبِّد طريق خلاصه . . .! وبذلك تسلم الثقافة الليبرالية نفسها لنوع من المذاهب العقلية مغرقة في الشطط . . إنها لا تحسب حساباً للقوى التي تفوق الغرائز الموروثة وتأثيرات البيئة والتي تستطيع هي وحدها أن تسمو بالناس فوق ذواتهم . .! إنها (أي الليبرالية) لا تستطيع أن تيسر للناس عوناً مصدره قوى أكبر من قوتهم . . . ولا تنبئهم كيف يمكن لما فوق الغرائز الموروثة وتأثيرات البيئة أن ينسكب في ذواتهم فيوحي إليهم ويشع النور في حياتهم. وعلى هذا النحو تترك الناس عاجزين عن

مكافحة القوة غير المتعلقة في نفوسهم. . .! ذلك أن العقل البشري دون مثل أعلى يهديه ضعيف غير داف، ودوماً تتغلب عليه النوازع غير العاقلة، وما لم يتح للناس نور ودفء أقوى من العقل يصارعون بهما قوة ما هي دون العقل. . . فإن العقل نفسه مقضي عليه بالخذلان. . . وباختصار. . فإن الاعتماد العقلي البسيط على قوى العقل البشري لتكييف المصير والمستقبل البشري فيه شيء من الخذلان الذاتي، والمذهب العقلي لا يتمكن حتى من إنقاذ حياة العقل؟!.

وأخيراً فإن فلسفة التاريخ التي تتركز حول الإنسان قد جرّدت التاريخ البشري بكامل أحداثه ومجالاته من كل معنى، ذلك إن لم يكن ثمة وجهة نظر تقول بالأبد خارج التاريخ نفسه تمكّننا من الحكم ككلّ. . . فإن أجزاء التاريخ كلّها تصبح مجرّدةً من الغاية والمعنى. . ولا يبقى في التاريخ كلّه أي معنى من المعاني. . . إن المنطق الناجم عن هذا الاعتقاد هو الذي دفع بالإنسان الحديث (ضمن أزمة الإنسان الحديث) إلى مذهب العدمية القانطة الثائرة الهدامة، وجعل من المتعذر عليه الارتباط اقتناعاً بأي مشروع أو قضية اجتماعية. . . فالتمجيد القلق التعس للأشياء الدنيوية تمجيداً بلغ حد التّأليه يقض مضاجع العالم الحديث ويذله، واتخاذ القادة أرباباً، والحب التافه للمخترعات الآلية. . وهستيريا العنصرية والعقائد الشديدة التعصب ومذاهب العنف. . . هذا كله هو صنع فلسفة للتاريخ لا تؤمن بوجود الحقائق الأزلية. وإن العرب وهذه مسؤوليتهم بما لديهم من ذكر كان الرسول ﷺ شهيداً عليهم حتى أبلغه إليهم ليكونوا شهداء على الناس هم ومَنْ حولهم من قوميات العالم الإسلامي. . لقادرون اليوم أن يقدموا لأنفسهم، وللعالم الثالث عالم المستضعفين وإلى الإنسانية كافة، الاختيار الخير. . .

ويبدو أنه من المقرر دوماً لهذه المنطقة أن يتقرر فيها مصير الإنسانية فالآثار الأولى في التاريخ قد ظهرت هنا، ولقد عبرت الإنسانية المرحلة من العصر الفردوسي إلى العصر الاقتصادي هنا، وكان هذا إبان الثورة الزراعية؛ تلك

الثورة التي أتاحت للإنسانية حل الاستجابة في طريق السعي إلى مصيرها منذ سبعة آلاف سنة تقريباً، وكان إعلان استقلال الإنسانية بما تعقل وانقطاع رسالات السماء هنا . . .

ويبدو اليوم، أن العرب، ومَنْ حولهم مِنَ المسلمين، في مرحلة مخيفة من مراحل السديم المتخلق . . . ! حيث إنه إن لم تدخل العناصر كلها في البناء طبقاً لنظام جماهيري تحكمه شريعة إنسانية فمن الجائز أن تؤدي مرحلة التخلق إلى فوضى شاملة تغرق فيها جميع القيم التي عاشتها شعوب هذه المنطقة وجاءت بها رسالات السماء، ومن الجائز «والقرآن دائماً على أُهْبة الاستعداد لتكرار معجزته» «إن شاء الله» أن يكون للرجل الفطري من بلادنا في القرن الواحد والعشرين رسالته، وهي أن يعين الإنسانية على الانتقال إلى مرحلة الحضارة الإنسانية الشاملة لكل بني آدم دون امتيازات، وبكل التمايزات . . الخ.

هذه الحضارة التي أسهمت العبقرية الغربية في وضع الإنسانية على أعتابها بوصولها إلى عصر التكنولوجيا وتقدمها في مجالات تكنولوجيا الحرب وتكنولوجيا الصناعات والغذاء وتكنولوجيا المواصلات والاتصالات مما يجعل الإنسانية ترفض الحروب والنظام الاستغلالي ونظام التفرقة العنصرية ونظام التبعية الفكرية بتدفق إعلامي من جانب واحد . . . الخ.

إذن، فنحن المؤهلون، ونحن الذين نمثل أمل الإنسانية، لتقديم الاختيار الخير اختيار السلام والكفاية والعدل والتعايش ورسالة الحق . .

وقد كان هذا قدرنا دوماً، وهو الاقتضاء الحتمي اليوم . . .

ولعله من الغريب أن نقول: إن الرجل «المتحضر» تزيد لديه الأغلفة أو القشور التي تحول بينه وبين معرفة الاختيار الخير، والإنجيل لم يدع شيئاً غريباً حين وجه إلى الفريسيين، الذين طبعتهم على الحرمان ثقافتهم وخرافتهم، هذه الآية المشهورة التي قال فيها: «طوبى لبسطاء العقول فإن لهم ملكوت السموات . . .».

وإن الوسط المثقف أقل الأوساط انطباعاً بالتبدلات الكبرى المفاجئة . . وإن الخط الذي ترسمه عبقرية ما في التاريخ قد ينقلب إلى حفرة من الرمال تغوص فيها . . . أما الرجل الفطري البسيط العقل فهو أحياناً أقدر على اجتياز منعطفات التاريخ . . .

إن الإنسان العربي اليوم ومن حوله قوميات العالم الإسلامي والرجل الفطري في كل من إفريقية وآسيا . . . وهو ينطلق ليجتاز بالإنسانية هذه التبدُّلات الكبرى والحاسمة . . إنما ينطلق بعمق حضاري مجهز بإمكانات الانطلاق الحضاري العالمية جميعها . . . خصوصية الموقع وخصوصية التكوين الحضاري والثروات . . . . الخ .

قدّر الله لهذه الأمة أن تكون (وسطاً) في التكوين الجغرافي بين أهم ثلاث قارات – لدرجة أن أسماها العقل الاستراتيجي لنابليون بالقارة الوسيطة – ، وقدر الله لهذه الأمة أن تكون وسطاً بين فترة للتاريخ محددة بأقوامها وبداية تاريخ ما بعد اختتام النبوة والرسالة . . . وهو نفسه تاريخ القومية بآفاق عالمية . . .

وفي تكوين الأمة الوسط التي استوت على سطح الحضارات التقليدية وحولتها ودمجتها في اللسان العربي (وهو لسان القرآن وجعلت منها مجالاً للاتصال العالمي والحضاري والثقافي وبأبعاد جغرافية – سياسية) في هذا نجحت المهمة الأولى لرسول ﷺ وفي مدى ربع قرن من التحول بالقرآن قد حمل العربي من أقصى منطلقه الفردي! ومحدوديته زماناً ومكاناً . . . إلى جماعية تأليفية وبامتداد وآفاق ، وقد استوعب حوض الحضارات (أي تقريباً الحضارات التقليدية) باللسان العربي وقدم القرآنَ أمامها فكراً إلهياً بديلاً يدعو إلى السلام في الأرض . . . وقد أعطى الإنسان العربي لهذه الحضارات بالمدى الذي استوعب به هو المنهج الذي يحمله على أكتافه! ولكن لم يكن استيعابه هو ، ولا استيعاب تلك الحضارات منه ، ليخرج عن إمكانات العربي الذاتية وظرفه التاريخي ؟!

ولما كان خروج العربي حاملاً القرآن إلى حوض الحضارات لم يكن خروجاً.. بل كان (إخراجاً)؛ فلم يكن خروجه خروجاً ذاتياً.. بل كان محمولاً بقدرة إلهية تفوق قدراته الذاتية كما كان يحمل كتاباً يفوق وعيَه الذاتيَّ، فعلاقة العربي بالقرآن ومنهجيته هي علاقة (التبني) وليست علاقة (التوليد) كما أن علاقته بالخروج هي علاقة (دفع غيبي) وليس (استعلاء) ذاتياً!

لذلك احتاج الإنسان العربي، ومَنْ حوله منَ قوميات وشعوب العالم الإسلامي، أن يولد ولادة حضارية جديدة من خلال بناء حضارة عالمية جديدة... بمعنى أن نكون شهداء على الناس بعد أن جعلنا الله أمة وسطاً...

- فنحن ننطلق من هذه القارة الوسيطة المجهزة بكل الإمكانات لنكون شهداء على الناس، وأول شروط الشاهد أن يحضر... فلابد من (حضورنا) في عالم اليوم... وسنحضر بمشيئة الله لنحمل رسالة الحق ونشهد بالحق... ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ﴾ سورة فصلت، الآية 53...

- فبالحق.. والالتزام الخلقي.. ونور الهداية.. والدين الذي يهدي للتي هي أقوم.. ويحتاجه «بنو آدم» احتياج ضرورة.. وهو الأصلح لمعالجة مشكلاتهم.. والأكثر إقناعاً «والعقل مضطر إلى الحق»...

... بكل ذلك، وبمشيئة الله.. وإذنه، سنقوم بدورنا.. ونحمل رسالتنا.. رسالة الخير للإنسانية كافة...

رسالة إلى الرفيق

خروتشوف

القاهرة 1959م

رسالة إلى الرفيق خروتشوف
القاهرة 1959 م

1- الرئيس جمال عبد الناصر	للاطلاع
2- الأستاذ مالك بن نبي	للإهداء
3- الرفيق نيكيتا خروتشوف	للمناقشة
4- الرئيس إيزنهاور	للاطلاع
5- الباندیت نهرو	للاطلاع
6- الرفيق ليوتشاوتشي	للاطلاع
7- الرئيس سوكارنو	للاطلاع
8- الرئيس نكروما	للاطلاع
9- الرئيس تيتو	للاطلاع
10- السيد برتراند رسل	للاطلاع
11- السيد توينبي	للاطلاع
12- السيد سارتر	للاطلاع
13- السيد أبو الأعلى المودودي	للاطلاع
14- قداسة البابا	للاطلاع
15- المؤتمر الإسلامي	للاطلاع
16- فضيلة شيخ الأزهر	للاطلاع

ملاحظة :

هذا وقد أرسل كاتب هذه الرسالة نسخة إلى الرئيس أحمد سيكوتوري، فيما بعد.

الإهداء

إلى أستاذي مالك بن نبي. . عالم الحياة الاجتماعي الذي كرّس حياته لخلق نهضة في الشرق، وحاولنا - نحن تلاميذه - أن نتبع خطاه. . . .

السيد الفاضل الرفيق نيكيتا خروتشوف المحترم

السلام عليكم،

وبعد؛ فإننا نحن البشر، الذين نعيش هذا العالم المعاصر بين الخوف والرجاء، نجد أنفسنا تحت تأثير «فاصل التوتر» مدفوعين إلى محاولة عمل ما. . ولكن أمثال كاتب هذه السطور - ممن لم يتموا سني دراستهم بعد - يجدون أنفسهم لا يملكون إلا أن يعالجوا القضايا بعقولهم وقلوبهم، إلا أنه - يا سيدي - قد يتجاوز «فاصل التوتر» حده، وذلك ما يحدث حين تلامس القضايا ما في العقول والقلوب. . ويبدو أنه حدث شيء من هذا أخيراً فأشعرنا - نحن شباب هذه المنطقة - أنه لزام علينا أن «نحضر» وبطريقتنا الخاصة وهي - كما ترون - غير طريقة رجل الدولة المسؤول، ولعل هذا نفسه يوضح أننا نخاطب منكم رجل الفكرة لا رئيس الدولة، وهذا نفسه ما يجعل هذا الطالب البسيط يُخَيَّل له أنكم تتساءلون عن تصوّره - وتصوّر أمثاله - لفكرتكم، وعساكم أن تجدوا في هذه الصفحات بعض المعلومات عن هذا الجانب أيضاً. . .

و«الحدث» الذي يبدو أنه دعاني لهذه المناقشة هو ما نشرته الجرائد عندنا من أنكم - أي في الاتحاد السوفييتي - تنوون مناقشة الأديان، وقد لا يكون هذا «حدثاً» بل «اطّراداً». . اطّراداً لنظريتكم أو اطّراداً للمواقف الأخيرة إزاء العالم الإسلامي. ولعلي حين أتحدث عن العالم الإسلامي أكون متحدثاً عن حقيقة واقعة، ويبدو لي أنها كذلك، وحتى عندكم، فمثلاً. . قد عينتم الرفيق محي الدينوف مختصاً بشؤونه! بالإضافة إلى أننا **اليوم في العالم في عهد المخططات السياسية الجغرافية**، والتي قد **تكون مرحلة تمهيدية**. . إلى **المخطط العالمي**، وهي تصطبغ - ولابد أن تصطبغ - بالصراع الأيديولوجي. . . وإن كان قومنا يخرجون من هذا التخطيط وهذا الصراع. . مما يجعلهم منطقة فراغ!!!. . ولكن - مما لاشك فيه - أنه

مازال في هذه المنطقة بقايا!! أيديولوجيا!! ويبدو أنكم تشاركوننا الاعتقاد بأن نفخ «الرماد» قد يؤجج ما تحت الرماد. . ولعل هذا ما دعاكم للبحث هل هناك من نار!!!

على العموم - يا سيدي - فإن مهمتي هي مشاركتكم هذا البحث. . فعسانا - أيضاً - أن نجد نوراً!!!

الإسلام هل هو أيديولوجيا؟ وهل الماركسية تتعارض معه؟. .

وإذا كانت كذلك. . فهل لابد من القضاء عليه؟. . وهل تستطيع ذلك؟. . وهل من المصلحة أن تفعل؟ وهل. . وهل. . . أعتقد أن مثل هذه التساؤلات ضرورية، وأعتقد أن الإجابة عليها بهدوء هو الذي يتفق مع الباحثين عن الحقيقة. . الذين يفهمون الماركسية منهجاً علمياً (لا مذهبية) يبتغي مصلحة الإنسان ورقيه. . .

سيدي المحترم،

إنني بتجاربي المتواضعة، والدراساتُ العلميةُ التجريبيةُ تؤيد ذلك أيضاً، أعتقد أن توحيد **«الإطار» الذي نضع فيه قضية ما هو المهم، وكذلك محاولة الاطّلاع على الجوانب المختلفة للقضية** حتى لا تتكرر قصة العميان والفيل.

ولكنني لا أخفيكم الحقيقة أنه بقدر ما في استطاعتي أن أحاول تحقيق الغرض الثاني - وهو الاطّلاع على الجوانب المختلفة للقضية - وذلك لأنني - واعتقد أنكم كذلك - لست مدافعاً ولا مهاجماً. . بل باحثاً، فانه من الصعب تحقيق وحدة «الإطار» الفكري، وذلك أن **«الإطار» الفكري السليم، الذي يرى الأمور كما** هي، لا يتكون إلا إذا وجدت النظرية المتناسقة الشاملة عن الكون والحياة والإنسان وتاريخه ومصيره. . . الخ. وهذه النظرية ما تعتقدون أنكم تملكونها وما يعتقد المسلمون - وأهل الدين - أنهم يملكونها!. . . على العموم - يا سيدي - نستطيع أن

نناقش كلتا النظريتين . . مبدياً رأيي الشخصي منتظراً أن أُلِمّ بالموضوع من بقية جوانبه – إن أهملت شيئاً . . وهو ما حاولت ألاّ يَقع – في رسالتكم القادمة . . .

سيدي المحترم ،

تعتقدون أن أصل الكون هذا «المادة» وبتطوراتها وجدت الحياة . . ثم الإنسان ، وقد نظمت أمور الحياة (كذا) في «ضرورات» و«شبه – ضرورات» وجاع الإنسان واحتاج فاخترع . . وتطور بتطور مخترعاته وصراعه ، وهكذا إلى أن كانت الرأسمالية – والتي قام ماركس بتحليلها – وستكون الشيوعية ، ثم قد تعود المادة دورتها!!!

ويعتقد الآخرون أن أصل الكون هذا «الله» ، وهو الذي أراد وقدّر الأمور . .

فأوجد الحياة ، والإنسان الذي أعطاه حريته ، وبعث له بالرسل يوضحون له سبل الحياة السليمة . . فإذا تركها ضل وسيعاقب والعكس بالعكس . . الخ .

ويا سيدي المحترم ،

العقل يجد نفسه أمام نظريتين متناسقتين وشاملتين – والتناسق والشمول من صفات الفكر البشري – فيرتاح لهما ، إلا أنه يحب أن يقتنع . . وبطلب الدليل . وهو يسألكم التدليل في حدود العلم والعقل البشري على إمكان وجود الكون من مادة وتطور الحياة والإنسان منها؟ وهو يسائلكم التدليل على أن المعرفة البشرية من الممكن أن تنشأ من الحاجة و . . و . . . ؟ الخ وهو يسائلكم التدليل على حجة تنظيمكم . . لاسيما الاقتصادي؟ الخ . . . وهو يسائل الآخرين أن يدلّلوا على وجود تلك الحتمية الغيبية – الله – والتي تتدخّل لتحلّ كلّ الاستفهامات التي يمكن أن توجّه – والتي سأوجّهها – في قضية الخلق وتطور الحياة والإنسان ، وهم سيقدمون له أناساً يقولون : إنهم اتصلوا وسيسائلهم الدليل؟

فهل نستطيع الآن - يا سيدي المحترم - أن نسائلكم وأن نسائل الآخرين، والذي أستطيعه - يا سيدي - أن أوضح ماذا أجاب الآخرون ومدى اقتناعهم . . وكذلك أترك لكم مهمة الإجابة والاقتناع!

يا سيدي المحترم،

من حيث المبدأ . . : المادة هي العلة الأولى لذاتها، وهي أيضاً نقطة البدء في ظواهر الطبيعة، وبديهي أنه لا يحق لنا أن نعد المادة شيئاً عرضياً (حادثاً) إذْ إنَّها حينئذ ستكون منبثقة من بعض الأشياء، أي عن سبب خالد مستقل، وهذا يتنافى مع الفرض، وإذاً وبكل بساطة هي موجودة، وهي أيضاً غير مخلوقة . وهكذا نتفق على أصل المادة مبدئياً، ونهتم فقط بتطورها في حالاتها المتعاقبة . . بادئين من نقطة التسليم هذه فيمكن القول بأن الخاصة الوحيدة للمادة في مبدأ الأمر كانت «كَمّاً معيناً» أو كتلة.

وبناء عليه يجب أن نعتبر جميع الخواص الأخرى نتائج لهذه الخاصية الوحيدة، ولها وحدها، ويجب على الأخص «أن نعتبر هذه المادة من حيث الأصل في حالة بساطة وتجانس تام لأن كل تنوع في ذاتها يستتبع تدخل عوامل متنوعة بالضرورة مما يتنافى مع المؤثر الوحيد، وهو خاصة (الكم) . هذا الشرط يستتبع حالة مبدئية لا يمكننا فيها أن نتصور المادة منظمة بأية طريقة وإلا فإن التركيب الذري - الذي كشف العلم تنظيمه وتركيبه - يوحي بتدخل جزيئات نووية متنوعة منذ البدء، مما يتنافى أيضاً مع شروط البساطة «والتجانس». وبالتالي فإن المادة بالضرورة من حيث أصلها في حالة تحلل كلي . . وهي - كهربياً - متعادلة أي لا توصف بأنها سالبة أو موجبة، فهي - مثلاً - «كمية» من «النيترونات» لا توجد بينها في ذاتها سوى علاقة تجاذب، فتنظيمها الذري في المستقبل سيكون مرحلة لتطوّرها، وتطوّرُها هو الذي

يؤدي إلى ظهور الجزيئات النووية . . (البروتون - والإلكترون . و . . و . . . الخ) . . والقوى الكهربائية الاستاتيكية المقابلة . . .

ومن غير أن نشرع في الحكم على هذا التنوع الجزئي، فإن هناك سؤالاً يفرض نفسه عن إمكان تكوين الذرة الأولى، وهو تكوين يمكن إدراكه بصعوبة، وهو أيضاً غريب في نظر قانون كولب الذي يحكم «الظاهرة ضرورة».

وفي الحق إنه لمن الصعب أن نتصور كيف تكونت النواة الأولى من أجزاء من نفس النوع، وتسمى بنفس الاسم، وتتنافر بفعل قانون الكهرباء الاستاتيكية الأساسي.

ومع ذلك فإننا سنسلم بإمكان ذلك، ولكن . . هل تبدأ دورة الاندماج بين الجزيئات بالنسبة للنواة الأولى في وقت واحد للعناصر الاثنين والتسعين (94 الآن، 8 أخرى في المعمل) التي رتبها «مند ليف» أو أن يحدث بالتتابع من عنصر لآخر؟ فإن كان هناك ما يسمى «بالاقتران الزمني» فإن عنصراً واحداً فقط يمكن أن يوجد طبيعياً بواسطة تدخل مؤثر واحد، أي حالة المادة في بساطتها وخلوها من التكهرب، ولكن ستبقى إحدى وتسعون حالة شاذة عن القاعدة لا يمكن أن يوجدها نفس المؤثر في نفس الوقت.

وعلى العكس من ذلك إذا كان هناك تتابع في خلق المادة لعناصر الطبيعة، فمن الواجب تفسير تكون هذه العناصر على أنه مجموعة من واحد وتسعين تحولاً عنصرياً - ابتداءً من عنصر واحد أولى، وليكن (الأيدروجين) . . .

وهنا يمكن أن تحتل الظاهرة مكانها . . سواء أكان ذلك بواسطة سلسلة وحيدة، بحيث تخلق المادة الأولى العنصر الأول، ثم تتوالد العناصر الباقية منه في سلسلة واحدة، أم كان بسلاسل متعددة: تخلق المادة الأولى العنصر الأول (الايدروجين) ومن هذا العنصر تتوالد عائلة من الأجسام البسيطة ولتكن أربعة

مثلاً، يتسلسل من كل منهما مجموعة من العناصر الباقية والكل ناتج عن عنصر أول. . .

ففي الحالة الاولى، تتطلب السلسلة الوحيدة واحداً وتسعين تحويلاً عنصرياً محدداً، بما أن كل عنصر يتشكل في الوقت الذي تبقى فيه العناصر التي سبقته، وهي على ذلك تتعرض لواحد وتسعين حالة من التعادل الطبيعي الكيماوي المختلف، الذي يتضمنه تدخل عامل مختلف أيضاً عن قانون الاندماج الأولي. ولكنا افترضنا أصلاً أن هذا القانون وحيد، وأنه مستقل عن الزمان، وعن سائر العوامل الحرارية الديناميكية، فعندنا إذن سلسلة مكونةٌ من واحد وتسعين تحولاً عنصرياً تتولد من العنصر الأولى، وهذه السلسلة لم تحظ بتفسير طبقاً لقانون واحد. وعلى هذا ففي كلتا الحالتين لا يجد جدول «مند ليف» تفسيراً كافياً في نظر المبدأ الذي نسلم به، وهذا يثبت ضعف المذهب المادي.

فإذا نحن تتبعنا تطور هذه المادة المنظمة غير العضوية، في المرحلة التالية لخلق المادة الأولى لها، فسنصل حينئذ إلى تحول عضوي حيوي، فكمية من المادة المنظمة غير الحية تصبح مادة عضوية حية (البروتوبلازم) وعندما تتطور هذه المادة بدورها خلال «سلسلة حيوانية» معينة لتصبح بناء على قوة عضوية جديدة مادة مفكرة، هي الإنسان. ولم نرد أن نناقش فرضية دارون هذه، ومن الممكن مراجعة العلامة الكونت دي نوي في كتابه عن مصير البشرية وقد يُكتفى بما أوضح العالم دارون نفسه!

. . . ونلاحظ أننا تقصدنا عدم مناقشة فرضية المصادفة، لأنها مرفوضة علمياً. . وحسب قوانين المصادفة نفسها ومن الممكن أن يراجع . . . . . أو . . . . . الخ.

فعندنا معادلة معينة هي :

مؤثرات حرارية ديناميكية + عوامل كيميائية ← مادة حية ← إنسان . . .

وهذه المعادلة صحيحة طوال العهد الجيولوجي المطابق للعوامل أو المؤثرات الحرارية الديناميكية التي تبدو في الجزء الأولى من معادلتنا (مؤثرات حرارية ديناميكية + عوامل كيماوية).

فإذا نحن سلمنا جدلاً بمدة هذا العهد ، وكذلك بمدة الدورة الحيوانية التي تنتقل بالخلية الحية من حالة عدم التشكل «للبروتوبلازم» إلى الحالة المنظمة المفكرة للإنسان ، فإن هناك بالضرورة عدداً من الأجيال مطابقاً بالنسبة لما أعقبه بمدة طويلة معادلة لطول العصر الجيولوجي الذي تصح فيه شروط المعادلة .

وفي نهاية ذلك السبق يكون الجيل الأول قد وعى حقيقة دنياه والظواهر التي مرت عليه . . ويجب على وجه الخصوص أن يكون الجيل السابق قد سجل في ذاكرته ظاهرة الأجيال التي تليه ، ولكن الجيل الإنساني الحالي لم يسجل في مفكرته حدثا كهذا ، ولا نجد لديه إلا أثراً يتعلق بالجيل الأدنى الحاضر . فمن الضروري إذن أن نقرر أن المعادلة البيولوجية المشار إليها لم تحدث سوى مرة واحدة ومن أجل جيل وحيد فريد ، وبعبارة أخرى هنالك حتمية بيولوجية لا تستطيع العوامل المادية وحدها أن تبرهن عليها .

وهذا يلفت انتباهنا إلى نقص المذهب المادي ، وهو نقص يثبت ضعف مبدئه الأساسي ، وهذا النقص سيزيد في نظرنا إذا ما اعتبرنا أن المعادلة المذكورة لا تعطينا تفسيراً لظاهرة التوالد الحيواني .

وهناك في الواقع مشكلة جديدة تخص وحدة النوع التي لا يمكن أن ترى في الفرد ، وإنما في «الزوج» الذكر والأنثى ، ولذلك فإن النظرية المادية لا تقدم أي تسويغ لهذا الازدواج الذي يعد شرطاً لوظيفة التوالد الحيواني . .

فإذا كان هناك حدث (بيولوجي) عرضي فيما يخص الرجل فإن المشكلة تظل تواجهنا رغم ذلك فيما يتعلق بالمرأة، إلا إذا كان حدثاً مزدوجاً في الأصل نتج عنه الزوج المتوالد الضروري لتناسل النوع الإنساني.

وإذا نحن قررنا - رغم كل شيء - هذا الحدث المزدوج كمادة، فسيكون من الصعب أن نقرر كيف كانت نتيجته متسقة تماماً مع هدف وظيفة التناسل الواحدة المشتركة بين الذكر والأنثى!.

وعلى كل فإن حتمية المادة يمكن أن تصح إذا كانت تتفق في صورة «خنوثة» زوجية لنوعين متماثلين مستقلين: نوع الرجل ونوع المرأة. وبهذا يوجد أيضاً بقية نقص تثير عدم التوافق في المبدأ...

ومن وجهة النظر الآلية، من الثابت أن المادة تخضع لمبدأ «القصور الذاتي» خضوعاً تاماً، فالمادة الحية على هذا تعد استثناء من القاعدة: فإن الحيوان مزود بميزة تعديل وضعه بنفسه، وهنا يظهر أيضاً ضعف المذهب المادي.

وهنالك ظواهر أخرى لا تقل عن السابقة في إثارة الاهتمام بغرائب المذهب المادي، ومن ذلك ظهور بقع في بشرة الزنوج، فهل يمكن أن يُعْزَى هذا إلى تأقلم عضوي في بيئات لعامل الشمس فيها تأثير كبير؟ ومع ذلك ففي نفس المستوى نجد البشرة البيضاء والصفراء والنحاسية، فهل يمكن أن يعزى هذا إلى الغابة العذراء؟ وفي هذه الحالة يجب أن تلون بشرة الإنسان في البرازيل مثلاً!

وأخيراً ففي علم الفلك نصادف أيضاً غرائب غامضة في المذهب المادي، فقد كشفت ألوان تحليل الطيف سنة 1939م لعالم الطبيعة «هابل» اتجاه حركة النجوم السديمية الخارجة عن سمائنا بالنسبة لعالمنا، فإنها تبتعد عن كوكبنا، فيما عدا ستاً منها تقترب على عكس سالفتها.

وهكذا تحتمل المادة في مجموعها - بالنسبة لنا - تفسيرين متعارضين فإذا وضح أحدهما في ضوء قانون أساسي معين فإن معنى الآخر يظل معلقاً. وكل هذا الشذوذ الذي يتنافى مع الحتمية المادية المحضة - أساساً - يحتم إعادة النظر في بناء المذهب كله.. فإن المبدأ الأساسي نفسه يبدو عاجزاً عن تزويدنا بنظرية منسقة عن الخلق، وعن تطور المادة - سواء في موقفها من الحياة والإنسان أو الفلك الخ..

ومع كل ذلك فمنذ الاستكشافات الأخيرة لعلم الفلك.. ومازلنا نتوقع كثيراً من حركات غزو الفضاء! فطن العلم لنطاقه المنتهي الحدود، وفيما وراء السديميات السحيقة في البعد ،وراء ملايين السنين الضوئية وربما مليارات! تمتد الهاوية التي لا قرار لها للانهائية التي يستحيل الوصول إليها أو حتى إدراكها بالنسبة للفكر العلمي إذ لا يجد هذا التفكير موضوعه الخاص وهو: الكم، والعلاقة، والحالة.

فأي كم؟ وأي علاقة؟ وأي حالة؟...

كلّ هذه الأسئلة لا معنى لها خارج حدود المادة، والعلم نفسه لا معنى له وراء السديميات الأخيرة التي تقف على الحدود بين عالم الظواهر واللانهائية اللامادية!!!

ولا نريد أن ندفع بالبحث في المذهب المادي بأبعاده الأمامية الممكنة.. فنتساءل عن تفسيره لمصير العالم، وهو ما لا سبيل أمامه فيه إلا أن يقول بالسَّلْسَة الدورية (ما يشبه التناسخ)!!!

وهو ما قد ينقضُه فرض «دوبليه»، وهو ما قد ينقُضه السير من الحرارة إلى البرودة، ومن الخفة إلى الثقل الخ..

وهكذا - يا سيدي - يقولون «.. إن آلهة العلم قد انهارت على نحو يدعو إلى الرثاء، لتفسح مجالاً للعلم وحده، ذلك الخادم المتواضع للتقدم الإنساني».

يا سيدي المحترم . .

قد نعلم أنه قد لا يكون من ذنب على ماركس في ذلك، فإنه قد كان لا يعلم ما سيستجد ، بالإضافة إلى أنه حين تبنّى الأجزاء السالفة من تفسير لأصل الكون والحياة والإنسان ومصيره . . إنما كان يتبنى أجزاء غيره . . وإن كان هذا لا يعفيكم أنتم من المسؤولية . . وضرورة المناقشة . . .

ولكن ماركس مسؤول عن الجزء الذي أضافه والذي أخرج به النظرية المادية من متحارجة شديدة - كما يرى ويعتقد! - إن المتحارجة التي كانت قد وقفت فيها النظرية المادية هي ضرورة تفسير التطور الجديد . . التطور الإنساني وآليته - أو المعرفة - وهنا جاء ماركس ليقدم . . آلات الإنتاج والاقتصاد كبناء أساسي - أو القوة المنتجة وعلاقتها بالإنتاج - وما عداه كبناءات فوقية ! . . .

وهو قد أعطى آلات الإنتاج الأسبقية ، وأحكم تطورها بقانون معين . . كشف لنا عنه - أو هكذا ! قال ! . . .

وقبل أن نناقش هذا القانون ومدى حتميته . . نجد أن هناك ثلاثة أسئلة تفرض نفسها علينا :

1) ما الذي أدى إلى اختراع أول آلة ؟
2) وهل يستطيع الإنسان أن يجمع الملاحظات من حواليه قبل أن يكون له إطار . . ولو أولي ؟ !
3) ثم إن كان القانون صحيحاً . . فهو لم يبين لماذا كانت هذه الحتمية بل قد اكتفى بشرحها - فلماذا ؟ !

وقد يعتقد أنه من البساطة [على ضوء النظرية المادية . . إن استطاعت أن تسد نقط الضعف الخاصة بها فيما يتعلق بأصل الكون والحياة والإنسان الخ !] .

أن تجيب على السؤال الأول بالقول: «.. إن الحاجة أم الاختراع!».. ولكن الأمثال حين تشيع بين العامة، وحين يستدلون بها، قد يغتفر لهم ذلك، أما أن تسري بين العلماء دون سابق تمحيص فلست أدري كيف يستساغ ذلك؟

وإذا كانت الحاجة هي أم الاختراع.. فما الذي يعطل إنساناً ما في منطقة ما عن الإبداع والاختراع؟

ما الذي منع جداتنا - مثلاً - أن يخترعن يد مكنسة.. وقد كانت حاجتهن لذلك واضحة شديدة.. للانحناءة التي تتطلبها عملية الكنس منهن - ما الذي منعهن؟

إنك - يا سيدي - قد لا تذكر ذلك، أما نحن فقد رأينا جداتنا وأمهاتنا وهن يعانين من ذلك ويشعرن بحاجتهن ولم يخترعن يد مكنسة!!!

.. بل لقد رأيناهن، وهن يلعنها أو يضربنها - تماماً كما يفعل الإنسان العاطفي حين تواجهه القطة الأم بأكل صغارها!

إنه لا يراعي أسلوب العلم وبالتالي أسلوب الاختراع، وذلك **بالنظر للواقع وتحديد مشكلاته ثم التفكير الهادىء غير المتأثر بالعواطف لاستخراج القوانين.**

يا سيدي - إننا نعرف أن ذلك ليس لصيقاً بنا وذلك لأمر بسيط... وهو أننا نعلم أن أوروبا نفسها كانت عاجزة.. ثم إننا نقدّر أنكم لا تؤمنون بمثل هذه النظريات التي تقوم على التفوق العنصري والذي لم يقم عليه دليل، بل إننا نستطيع أن نقيم على عكسه الدليل، [ونستطيع أن نضع تفسير هذه العقدة فيما يلي:

1- عند الاتصال الأول بين أوروبا وبين الإسلام استعملت الصليبية الأسلوب الميكيافيلي في الدعاية - وهو ما يستعمل حالياً في بلادنا ضد الاستعمار - ضد الإسلام..

2- عند الاتصال الثاني . . لاحظ الأوربيون انحطاط إنسان هذه المنطقة، لأنه كان في فترة تحلل حضاري وهكذا شعروا انهم أرقى منه . .

3- وحين رجعوا للتاريخ وجدوا تلك الشتائم وهنا ظنوا أنه منحط دائماً . .

4- فسروا القضية تفسيراً عنصرياً !].

إننا - يا سيدي - أمام **ظاهرة متنقلة وهي التي تخول الإنسان القدرة على الاختراع**، أو **بذل الجهد** وذلك **إذا ما وجدت . . . حتى إذا ما غابت غاب معها الاختراع وبذل الجهد**، ونحن - يا سيدي - نعرف الكائن الإنساني متى أصبح كالأميبا . . حتى إنني لأتصور مصير تفاحة نيوتن في بطن أحد أبناء قومي - وقد لا يبذل جهداً لتنظيفها ! ! ولكنني أذكركم بأن هذا الكائن هو الذي اخترع الساعة التي هزت شارلمان ! وهو الذي بذل الجهد العملاق في نقل التراث اليوناني و . . الخ . . .

وعند التحليل - يا سيدي - **نجد أن الإنسان في بيئة معينة** نستطيع أن نحلل عناصرها . . إلى أخلاقية وذوق جمالي ومنطقية عملي والعلم، هذا الإنسان في هذه البيئة **هو الذي يخترع وهو الذي يفكر** الخ . . .

ثم إذا كان للإنسان أحد موقفين من الحياة . . وهو **أن يلاحظ** الجدلية التي ذكرنا (واقع - فكر - علم - عمل - نجاح) . . أو **لا يلاحظها** . . فيكون عاطفياً، فإننا **أمام وحدة إنسانية** - وهو ما تعاضده الأبحاث البيولوجية والفسيولوجية والسيكيولوجية . . .

فالسؤال : ما الذي يصوغ الإنسان هكذا؟... وهكذا مازلنا في مواجهة السؤال الأول !

ثم ما رأيكم **في السؤال الثاني** وقد يجعله عدم الإجابة عن السؤال الأول أصعب . . ولكن حتى لو تغاضينا عن ذلك فإنه صعب في حد ذاته إذا لاحظنا ضرورة

«الإطار» لكي نستطيع أن نسجل أية ملاحظة (ونستطيع أن نلفت الأنظار إلى أسبقية السمع على البصر. . عند الطفل!).

ثم ما رأيكم في السؤال الثالث؟

ومن قبل ومن بعد فلنسأل :

هل حقيقة هناك حتمية في المادة؟ ثم هل هذه الحتمية ستؤدي فعلاً إلى الشيوعية. . أو بالأدق هل هناك من تحليلات ماركس نفسه ما يدل على أن الرأسمالية تسير حتماً إلى الشيوعية. . ؟!. . .

يا سيدي المحترم ،

ولسنا هنا بصدد مناقشة مدى صحة الحتمية في وجود المراحل السابقة. . من شيوعية أولى (وهي فرضية. . لم يقم عليها دليل قاطع) ورق وإقطاع وإنما يكفينا **مناقشة مدى الحتمية التي تحملها «القوة المنتجة المعاصرة»** - وهي، على ما يبدو في أحد أقوال إنجلز، التي استمد منها القانون!

تقولون إن «القوة المنتجة» تطورت بحيث إنَّ «علاقات الإنتاج» الرأسمالية قد صارت متخلفة عنها. . وقد كانت صالحة لها من قبل!

ويؤسفني - يا سيدي - أن أقول إنه في آلات الإنتاج ما قد يصدق الجزء الأول، ولكن ليس فيه ما قد يعزز، ولو قليلاً، الجزء الثاني، فالنظام الرأسمالي قد استحال في ظل **التطور الإنتاجي المعاصر ولكنه لم يكن يوماً ما صالحاً**. . .

يا سيدي - وهذا، على ما سنرى، ما قد يتخذه الآخرون دليلاً على أن تلك الحتمية الغيبية سترجع الناس مرغمين إلى تنظيمها!.

يا سيدي - إن علاقات الإنتاج الرأسمالية على ما أوضح ماركس تحوي ظلماً للعامل، وذلك بسرقة قدر من ساعات عمله. . وإضافتها للآخرين. . .

ولكن هل كان لزاماً يوماً؟ . . هل كانت هناك في آلات الإنتاج أي حتمية تحتم هذا؟

. . هل كان ذلك صالحاً يوماً ما؟! الخ . . .

إنني لا أعتقد، كما لا أعتقد أن مثل هذا الظلم يستدعي إلغاء الملكية، فإذا كانت آلات الإنتاج تسبب ظلماً، وإذا كان هذا الظلم ليس لصيقاً بها، فلماذا لا نلغي الظلم . . ونبقي على الملكية حافزاً على العمل؟!!

ما الذي يمنع - يا سيدي - أن يكون تنظيمنا الاقتصادي على الوجه التالي:

1- العمل هو المقيم الأساسي.

2- الملكية حافز للعمل . . ونتيجة له.

3- الملكية ليس لها مقابل . . سوى مقابل استهلاكها في أي عملية إنتاجية، بمعنى أن الملكية لا تزيد وحدها - وهذا يستدعي عدم كراء الأرض . . على ألا يترتب على ذلك تعطيل!

4- ضريبة على النقود . . حتى يمنع تفضيل السيولة، ونتيح الفرص للحصول على التمويل اللازم، ونشجّع الإنتاج المستمر بل **ويتقدم الطلب على الإنتاج.**
(وبالمناسبة لا نترك سوق الذهب حرة حتى لا تتخذ عوضاً عن النقود).

5- الإنفاق المستمر . . والقضاء على نظام الدورات الاقتصادية.

يا سيدي المحترم،

ما الذي يمنع من ذلك؟ . . أليس ما سبق هو العدل المستمر في أي زمان ومكان . . وأليس غيره هو الظلم؟ . . وأليس هذا دليلاً على وحدة كفاح البشر . .

. . فهناك صفان: صف المكافحين وصف المستغلين - وأيهما نختار؟

ونحن إذن يا سيدي - لسنا إذن بصدد صراع ينقلب فيه مكافح اليوم إلى مستغل الغد، بل نحن بصدد صف المكافحين وصف المستغلين وهكذا . . .

يا سيدي المحترم،

كان من تنظيمي الأولي للموضوع أن **أقف بحدود المناقشة مع نظريتكم إلى هنا، لأخلص لعرض رأي الآخرين.** . وفيه ما قد يكون تتمة نقاش . . لاسيما وأن رأيكم الأخير! في الأسرة قد لا يختلف كثيراً، وكذلك في الدولة عند لينين - مع فوارق قد تكون جسيمة في بعض المواضيع!

أما نظريتكم الأخلاقية والجمالية فلا أستطيع أن أحددها ذلك التحديد الدقيق، أما عن الناحية الروحية فلا أعتقد أنكم تحرصون على أن يكون لكم رأي فيها؟!

❖ ❖ ❖

يا سيدي المحترم،

يقول الآخرون:

«من الضروري هنا أن **نفرض مبدأ متميزاً عن المادة؟** . . فالله خالق ومدبر الكون، وسبب أول ينبثق عنه كل موجود.

وهذا هو مبدأ المذهب الجديد وسيتولى هذا المبدأ بيان أصل المادة، وقد وجدناه غامضا موغلا في الإبهام في المذهب السابق، فهي - هنا . . في هذا المذهب - **مخلوقة بواسطة حتمية مستقلة عن جميع خواصها.**

وهذه الحتمية الغيبية (الميتافيزيقية) تسعفنا حين تعجز القوانين الطبيعية عن إعطائنا تفسيراً واضحاً للظواهر. وبذلك ينتج عنها مذهب كامل متناسقٌ متجانس لا نقص فيه ولا تعارض. . مما لزم المذهب المادي.

وفي الوقت الذي يعبر فيه المذهب الغيبي عن المطالب الفلسفية للعقل الذي يرمي إلى ربط الأشياء والظواهر ربطاً منطقياً في تأليف منسق . . نجده ينصب علاوة على ذلك جسراً يتجاوز حدود المادة إلى مثل أعلى للكمال الروحي . . إلى الهدف الذي لم تكف الحضارة عن الاتجاه نحوه، **فخلق المادة هنا ينتج من الأمر القاهر لإرادة عليا تقول لكل شيء ، حسب سفر التكوين، «كن».**

وتطور المادة سيكون طبقاً لأوامر إرادة عليا توزع التوازن والاتساق اللذين قد يلاحظ علم البشر قوانينها الثابتة .

ولكن بعض مراحل هذا التطور قد تخفى عن الملاحظات المألوفة لرجال العلم . . دون أن ينطوي المذهب من أجل هذا على نقص ما ، ففي هذه الحالة الاستثنائية **نستعين بالحتمية الغيبية التي لا تعارض بينها وبين طبيعة المبدأ . . .**

فحيثما يوجد نقص في المذهب السابق . . يوجد هنا تدخل سبب خاص ، خالق ، عالم بخلقه ، «ومريد» . . .

ويا سيدي . . لا يكتفي هذا المذهب بحل مسائل الخلق الأولى بتلك الفرضية ، بل يعرفنا - عن طريق الإشارات - بمسائل هذا الخلق . . . فهناك الحديث عن أن أصل الكون هو «الرتق» أو السديم ، ثم الكلام عن تكون الأرض والسماء ثم بدء الحركة والانتقاص من طرفي الأرض مع انبعاجها عند الجوانب أو «دحيها» ، ثم الحديث عن أن أصل كل شيء هو الماء الذي قد يكون تطور إلى «البروتوبلازم» ثم تطور الحياة . . . فمنها ما يمشي على بطنه - الزواحف - ومنها ما يمشي على اثنين - الطير - ومنها ما يمشي على أربع - الثدييات الخ . . . ثم خلق الإنسان من طين - أو الماء + التراب - مع إيضاح أنه بعد ذلك أصبح صلصالاً - أي طين + حرارة - ثم تبيان أن الإنسان يتغذى بالعناصر الـ16 التي تدخل في التراب ! . . وإيضاح أن هناك «نطفة»

من مني يُمْنَى!.. ثم كان علقة - في فتحة الرحم - ثم مضغة مخلقة وغير مخلقة.. ثم عظاماً فكسونا العظام لحماً... وذلك في ظلمات ثلاث!...

وهناك يا سيدي - الحديث عن كيفية تماسك هذا الكون.. بغير عمد!... مع إشارة إلى أن مواقع النجوم - أي المسافة بينهما - شيء عظيم!!

ثم الحديث عن حركة الأرض والقمر والشمس نفسها.. الخ بل هناك الإشارة إلى أن الكون نفسه يتوسع ﴿... وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾ سورة الذاريات، الآية: 47... الخ.

❖ ❖ ❖

يا سيدي المحترم،

هذه قضية خلق الكون والحياة والإنسان... والمصير الخ.. ولننتقل الآن للحديث عن المعرفة.. ومنها إلى الأنظمة الخ..

يا سيدي المحترم،

آدم هنا قد عُلِّم الأسماء كلها.. أي أُعْطِيَ «الإطار» الثقافي الذي استطاع أن يبدع على أساسه!

والبشر حين يجهلون ذلك ينحطون.. وانحطاطهم يكون أشبه بمرض الحرمان - كمصطلح طبي - أي لا يستطيعون أن يحددوا ما ينقصهم، فلا بد لهم، والحال كذلك، **من مذكرات من السماء... ومن هنا كانت الكتب السماوية...**

وهنا نتوقف - معكم - **لنسأل هؤلاء عن دليل على أن هناك رسالات وكتباً سماوية؟**.

.. لعل ذلك نفسه سيفيدنا في معرفة مدى صحة الفرضية المتصلة بتلك الحتمية الغيبية!

وسيتقدم لنا - يا سيدي - صف طويل من أناس قد تحدوا أقوامهم بأمور ليست في استطاعتهم ولكنها في حدود عقلهم، وإن كانت «المعجزات» المادية التي تحدى بها أوائلهم لها فعاليتها في الجيل الذي رآها.. أو سمعها.. أو سمعها ممن سمعها، أما بعد ذلك فلا - ولعل هذه الإشارة واضحة في قول محمد. «خير القرون (أي الأجيال) قرني والذي يليه» - وهي ظاهرة نفسية معروفة -.

إلا وأننا الآن ولسنا أحد الأجيال السابقة.. نتساءل عن الدليل؟ وهنا لا نجد أثراً باقياً إلا كتبهم، ولا أريد أن أتخذ موضع المناقشة غير القرآن، لأنه الكتاب الذي لم تثر حوله الشبهات!.. ولأنه قد لا يمكن مما تجد فيه من فقرات أن يكون بعضها لفكرٍ عظيم وأُخرى لفكرٍ سقيم.

.. ثم إن صاحبه لم يأت «بمعجزة» غيره - ولعل هذا يبدو غريباً - في تناسقه مع طبيعة هذا الكتاب كآخر ما قدم أولئك الرجال، وفي تناسقه مع إعداده لصالحيته الأبدية .. التي يبدو أن مستر ماركس كان يريد أن يشاركه فيها، وعجزت به نسبيته البشرية !!!

وهناك ما هو أغرب في توافق هذا مع بعض آياته ﴿... وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾. (سورة الحجر/ الآية: 9).

وإذا ما انتهينا من قضية هذا الإجماع المنعقد على تواتر هذا الكتاب (القرآن) وكيف أنه دوّن بأدق طريقة علمية حتى ليقول أحد المفكرين عقب دراسته لتاريخ هذا القرآن «... والطريقة التي نفِّذتْ بها في ذاتها حدث في تاريخ الصناعة العقلية الإنسانية، فللمرة الأولى تتجلى صفات الطريقة المنهجية في عمل عقلي، كما تتجلى الدقة التي هي الآن وقف على التفكير العلمي».

1- هذا القرآن يقدم لنا «إعجازه» الأول فيما يتصل بمستوى الأمة التي نزل عليها قديماً في بلاغته. ولكننا قد نحتاج لتعلم اللغة العربية القديمة ونعيشها حتى نحكم.. وهو أمر ليس بالسهل...

– هذا إذا ما تجاهلنا فرضية مرجليوت في الشك بالشعر الجاهلي، وبالمناسبة فانه أكد بقوة على صحة تواتر القرآن!!!

. . ونحن نعرف أننا قد نجد من أمثال من يقول:

«. . . شغلني أيضاً هذا «الشعر الجاهلي» وشغلني أصحابه، فأدّاني طول الاختبار والامتحان والمدارسة إلى هذا المذهب الذي ذهبتُ إليه، حتى صار عندي دليلاً كافياً على صحته وثبوته، فأصحابه الذين ذهبوا ودرجوا، وتبددت في الثرى أعيانهم، رأيتهم في هذا الشعر أحياء، يغدون ويروحون، رأيت شبابهم ينزو به جهله، وشيخهم تدلف به حكمته، ورأيت راضيهم يستنير وجهه حتى يشرق، وغاضبهم تربدُّ سحنته حتى تظلم، ورأيت الرجل وصديقه، والرجل وصاحبته، والرجل الطريد ليس معه أحد، ورأيت الفارس وجواده، والعادي على رجليه، ورأيت الجماعات في مبداهم ومحضرهم، فسمعت غزل عاشقيهم ودلال فتياتهم، ولاحت لي نيرانهم وهم يصطلون، وسمعت أنين باكيهم وهم على الفراق مزمعون، كل ذلك رأيته وسمعته من خلال ألفاظ هذا الشعر، حتى سمعت في لفظ الشعر همس الهامس، وبحة المستكين، وزفرة الواجد، وصرخة الفزع، وحتى مثلوا بشعرهم نصب عيني كأني لم أفقدهم طرفة عين، ولم أفقد منازلهم ومعاهدهم، ولم تغب عني مذاهبهم في الأرض، وحتى كاشفوني فلم يخفوا عني شيئاً مما عاينوا وأبصروا، ولا مما أحسوا ووجدوا، ولا مما سمعوا وأدركوا، ولا مما قاسوا وعانوا، ولا خفي عني شيء مما يكون به الحي حياً في هذه الأرض التي بقيت في التاريخ معروفة باسم. . جزيرة العرب. .».

ولا شك أن أمثال هؤلاء يستطيعون أن يردوا فرضية مرجليوت ويقارنوا بلاغة القرآن ويستثمروها، ولكن الناس الذين يطوون الزمان قلة . . والحمد لله على ذلك!!

2- وقد يستطيع البعض أن يلفت أنظارنا إلى جانب آخر في أسلوب القرآن . . وان كان عاماً، وهو ما يبدو فيه من جمع بين الفكر والعاطفة، والإجمال والتفصيل، والتعدد مع الوحدة الخ . . . وعلماء اللغة هم الذين يجرون هذه المقارنة!

3- وقد يكون للأسلوب من حيث موقفه من الزمن أهميته؟ فالتحدث عن المستقبل وكأنه شيء مضى، أو التحدث عن الماضي كأنه قادم الخ . . أمر يلفت أنظارنا . . سيما إذا وضعنا فرضية آنشتين موضعها، والخاصة بصاحب البعد الرابع؟!

4- وقد يلفتون أنظارنا إلى هذه الموسيقية التي هي أشبه بموسيقى الكونترابنط / الهرموني وأذكركم بأن هذه الموسيقى لم تعرف إلا في منتصف القرن الثالث عشر . . وهي مشكلة في تاريخ الموسيقى، ولا تنسوا أنها سنوات تأثير العرب على إيطاليا . . حيث كان أول من ألفها!!!

5- وقد يلفتون أنظارنا إلى كيفية الترتيب في مبداها ومنتهاها، كيف أنه حين تنزل الآية يؤمر بوضعها في موضعها . . والأخرى في مكان أخر . . ثم يكون التناسق بدون أي مراجعة للتنقيح مثلاً!!!

6- وقد قام المفكر مالك بن نبي بدراسة قيمة عن الإنسان المحمدي في القرآن . . . وانتهى إلى أمور غريبة جداً!!

7- وبنفس المقياس وهو: «الحقيقة القرآنية» من جانب، و «المفهومة المحمدية» من جانب آخر . . . نستطيع أن ندرس دراسات تاريخية وأثرية لقصص القرآن، ومقارنة بسيطة بين قصة يوسف في التوراة مثلاً والقرآن . . ثم النظر إلى الدراسات - الأثرية . . والتاريخية تقرر مدى «إعجاز» القرآن ومدى تحريف الكتب الأخرى!

. . وكذلك قصة موسى حين همَّ بمساعدة أحد أتباعه، وكيف روت هذا الموقفَ نفسيةُ اليهود في التوراة لعرفنا التحريف!

8- ثم الدراسات التي تنحو نحو استخراج القوانين العلمية من القرآن. . وقد سبق الإشارة إلى بعضها، ونزيد هنا أن عدة المتوفى عنها زوجها أربعة اشهر وعشرة أيام - فلماذا عشرة؟ . . .

. . . ويأتي العلم ليدلل على الحكمة . ؟ . فالنبض يبدأ في الأسبوع (18)!!! الخ . .

9- ودليلنا التاسع الآن، سيوضح لنا مدى «إعجاز» هذا القرآن بدقة أكثر . . أو لعلها أقرب لعقولنا . . وهو دليل في نفس اللحظة على **أن القرآن سيخلق نهضة شاملة في الجوانب اللغوية والحفرية والأثرية والتاريخية ثم العلمية والنفسية** - هذا مع ملاحظة حثه الواضح على ذلك - **ثم هو سيخلق مجتمعاً منظماً ودراسات اقتصادية واجتماعية وقانونية الخ**. . .

← وجانب الأنظمة هو الذي يهمنا هنا وفي هذه الفقرة . . لكي ندلل على أنها أدق الأنظمة للبشر في كل مكان وزمان وبالتالي . . فإن محمداً قد خرج عن النسبية وهو ما لم يستطعه أحد حتى ماركس!!!

. . . ولنبدأ بدراسة النظرية الاقتصادية، لاسيما وأن الاقتصاد له ضجة كبرى في عالمنا المعاصر، فهناك صراع شيوعي ورأسمالي!

النظرية الاقتصادية في القرآن:

1- العمل . . والعمل الصالح . .

2- الملكية كجزاء . . وكحافز على العمل، وكنتيجة له!

3- تحريم الربا . . أي تحريم أي زيادة على رأس المال دون عمل!

4- الزكاة.

5- الإنفاق المستمر.

1- ونحن لا نعتقد أننا سنجد مصاعب كثيرة حول العمل، فهو مبرر حتى من الناحية الحيوية البيولوجية، وشعور الإنسان بأنه عنصر فعال في مجتمعه لا يمكن أن تهمله أي دراسة سيكولوجية، ولذلك نحارب البطالة.. ولقد كنا نستطيع أن نناقش - قبل هذا - المصاعب التي يثيرها عنصر الطبيعة إلا أننا لا نرى ضرورة لمثل هذه المناقشة.. وبعد هذه الانتصارات العلمية، ومن حيث ما ينتظر من التقدم الذري والدراسات التعميرية في الصحراء (مالتسيف مثلاً).. بالإضافة إلى أننا إن قضينا على الأنظمة الفاسدة التي تعطل نصف البشر.. وتسخر آخرين لاقتصاديات الحرب والفناء، ثم آخرين للتفاهات!!

ولنعد للعمل لنشارك السيد (كروبوتكين) أمله في أن يصبح العمل رغبة، أو لنشارك السيد (ماركس) أمله في الإنسان الجديد.. الذي يحب أن يعمل!

وإذا ما انتقلنا خطوة إلى الأمام في تحديد العمل بالصالح.. فإننا نعتقد أنه لم توضع أمامنا أي عقدة، فالصالح مازال متروكاً لكي يحدد!!!

2-وإذا كان من مناقشة فإنها حول نقطة «الملكية» وهو «مفصل» هام أو مفترق طرق عنده تتوزع الأنظمة:

هل لابد من باعث على العمل؟.. وهل يكون العمل هو الباعث ذاته - على رأي كروبوتكين، وأملنا؟... أم التربية الجماعية؟.. أم الصالح الفردي؟

إننا نعتقد أن تسهيل العمل وجعله أشبه بهواية.. سيكون له أثره الفعال. وكذلك التربية الهادفة الخالقة للإيثار وحب الجموع.. ومع كل ذلك لابد من حافز شخصي.. لاسيما ما الذي يمنع من إعطاء فرصة لكي يحوز الإنسان ما بذل فيه اجتهاداً ومجهوداً، ونستطيع أن نمنع الاستغلال بكل معانيه؟ فإذا قيدنا الملكية بكونها مقابلا للعمل، تحتم علينا في نفس اللحظة التي يبدو فيها

أننا فارقنا المذاهب الاشتراكية أن نفارق الرأسمالية! وقد يبدو هذا القول غريباً، ولكنه في منتهى الوضوح.. عند التعمق.

3- فالملكية التي تباح كحافز على العمل، يجب ألا تُعْطِي فرصة للتعطل.. وهو ما يحدث لو أعطيناها حق النماء لنفسها وهو ما يحقق الظلم الذي انتبهت إليه العبقرية الماركسية.. فإن نمت الملكية وحدَها فإنها تكون قد أُخذت من عمل غيرها.. وبالتالي جوزي إنسان نصف جزاء أو يزيد، وجوزي الآخر مرتين!

.. وهنا لابد وان نسائل أصحاب دعوى زيادة الملكية وحدَها عن حجة واحدة لأخذهم الزيادة. نخمن نعلم أنهم سيصيحون: «إنه عملنا السابق».. وهنا تأتي الإجابة من عندهم، عمل سابق = ملكية/ فما تريدون؟!!! وقد يقولون: إننا نشارك في عملية الإنتاج.. وهنا نقولُ «لكم القدر الذي ساهم به رأس المال» (مقابل استهلاك رأس المال.. فقط) لأنه يجب أن نحتفظ لهم بملكيتهم السابقة ما دامت في صالح المجتمع، فماذا تريدون!!!

وقد يقال إن مثل هذه الملكية لا قيمة لها، ولكن للأسف يبدو أن الدراسات النفسية تؤكد أن لها قيمة.. فهي «تميّز».. بل إن دراسات اللورد كنز نفسه تثبت أن الإنسان يدخر لكي يكوّن رأس مال لا من أجل سعر الفائدة.

[ولم نناقش حجج المرابين الأخرى..

1- من القول بالمخاطرة.. فهذا يتطلب ضمانات قانونية أما سعر الفائدة - أو الربح - فلا يحد من المخاطرة!!!

2- أما الانتظار، فلا تنتظر يا سيدي وقم بواجبك، أما السلبية فلا محل لها في مجتمع يريد أن يبني!!!

3- أما الحرمان . . والقول من يعطيك من الحاضر لأجل المستقبل؟فإننا نتساءل . . ومن يعطيك من الحاضر للماضي، إن المدين حين يرد؟ فإنه يرد الماضي . . وبزيادة!!!

[وبالمناسبة فقد حرم الإسلام كراء الأرض تطبيقاً لهذه النظرية!]].

4- وقد يدور بخلد بعضهم انه من الأفضل أن يحتفظ بها سائلة . . ونحن نخشى هذه السيولة؛ لأنها تعطى لتلك المعادلة (ن – س – ن + . . أي نقود – سلعة – نقود زيادة) أن تحل محل المعادلة الصادقة (س – ن – س . . أي سلعة – نقود – سلعة). والأولى هي التي تتطور حتى تصبح: (ن- س- ن +)، ثم (ن – ن +). . بينما الأخرى وهى مرحلة تطور عملية لتاريخ البشر (أي: س – ن – س تطور لـ س – س) والقرآن حينما حرم الربا قال:

﴿ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْ . . .﴾ سورة البقرة، الآية: 275.

أي إنَّ الأصل أن الإنسان ينتج ثم يبيع، ولذلك لم يعبر بالشراء! ثم أوضح أن الربا هو أية زيادة عن رأس المال، وأبان عن الحكمة في تحريم زيادة رأس المال وحده. . **إذن ذلك ظلم**. . ولن نحار كما حار الأستاذ (كنز). . فنعترف بسعر الفائدة التي نشعر بخطورتها . . .

بل إن الزكاة – كضريبة على النقود – تسعفنا هنا. ونستطيع أن نطبقها بالصورة التالية:

يناير	3	5	7	9	11	أحد وجهي الدينار.
فبراير	4	6	8	10	12	مثلاً!

وفى بداية كل شهر توضع الدمغة المقررة!!!

. . **وبذلك تعود النقود إلى أصل وظيفتها كواسطة تعامل**، إذ يحاول كل واحد ألا يقتنيها في ذاتها!. . ثم إنها **تعود لأصل نشأتها كوكيلة عن**

السلعة، والوكيل ليس له أكثر من موكله. . . **وكل السلع تنقص - بل وإنها سنة الكون . .**

. . فما بال هؤلاء الناس يؤلهون النقود؟!

ثم إننا نهدف لتحقيق أمر عملي **وهو عدم الاختناق، فالنقود دائرة**. . تذكر أنها كدائرة الخيط إن قبضت على جزء ضايقت منها. .

ويجب أن لا يترك هذا - إن كان ضرورياً - في يد فرد.

5- **ومن هنا سيتحقق الإنفاق** - في شكل استهلاك أو استثمار (وهنا يتدخل التخطيط. . عن طريق الضرائب التصاعدية غير المباشرة أو عن طريق البطاقات أو ترك الفرصة لارتفاع الثمن عن طريق تلاقى منحيي الطلب والعرض. . الخ. .).

- وما يفيض. . فإقراض للآخرين. . ولكي يتخلص من الضريبة، والمؤسسة الاقتصادية - وهي السلطة الرابعة في الإسلام! - التي تفتح أبوابها. . وتعفى من الضريبة (وهنا نتذكر السياسة المالية) وتتجمع الأموال لكي تقرض بدون سعر الفائدة فتشجع الإنتاج (ونذكر بجدية الإنتاج). . وتحل أزمة التمويل (البلاد المختلفة) الخ. . .

ثم إن الضريبة على النقود ستجعل الطلب يعتمد مقدماً. . ثم يزيد للاحتياط وعلى ذلك **سيكون الطلب الفعلي مزداداً بصفة مستمرة. . وهكذا لا دورات!!!**

يا سيدي المحترم،

أليس عجيباً أن تحل مشاكل كل البلاد النامية والمتخلفة في وقت واحد وهي مشاكل معاصرة وبنظام مضى عليه 14 قرناً!!!

أين النسبية يا سيدي . . وكيف خرج عنها محمد . . الخ وإذا نحن أهملنا مناقشة الأغراض التي يتوخاها اقتصاد معين . . فبقصد حتى نناقشها في موضوع التطور الإنساني . . وهدف الإنسان؟

- إلا أننا نلاحظ أنه يبدو - ضمنياً - مدى تحقيق نظامنا للزيادة المستمرة . . مع العدالة والالتفات للحاجة [(المساكين) أي العجزة وذوى الدخل المحدود (الفقراء) الذين هم على استعداد للعمل ولا عمل لهم (اليتامى) . . لمن يد يـر لـهم أعمالـهم أو مساعدات، (الرق) لتحرير الأرقاء . . والشعوب المختلفة مثلاً، (ابن السبيل) . . أي السياحة، (والعاملون عليها) . . أي الموظفون، (والغارمون) أي لتشجيع النماء الاقتصادي، (وفى سبيل الله) . . أي الدعاية والنشر . . . الخ . . .].

هذا . . والهدف الأساسي هو الإبداع وتشجيع العبقريات . .

والآن يا سيدي - لنولّ وجهنا شطر التنظيم الاجتماعي لنواح أخرى كالجنس مثلاً . . وهو له أثره المتبادل - على حسب نظرتنا - على العامل الاقتصادي فهو يتأثر به . . ويؤثر عليه، فالراحة النفسية . . والناشئة عن حل التوتر! له أثره على الإنتاج، وكذلك حل المشكلة الاقتصادية يساعد على حل المشكلة الجنسية . . .

والآن كيف نظم الجنس؟

1- هناك غريزة أو بالأدق - فقد نكون غير متفقين على الغرائز - حاجة بيولوجية، وهناك باعث أو مثير خارجي، وهناك الانفعال . .

2- نعترف بالغرائز - أو الحاجات . . . زين للناس حب الشهوات من النساء . . . الخ، ونضعها في مكانها الواضح من الشعور! ونعترف بالباعث أيضاً ونُقَوّيه! . . .

3- ونلتفت للانفعال لكي ننظمه، ونربطه بما يتناسب مع جوانب أخرى في النفوس وفى المجتمع!

4- نوضح أن الوحدة الإنسانية هي الذكر والأنثى[1] . . وليس أيهما!

5-الاختلاف البيولوجي له أثره السيكولوجي وبالتالي له أثاره الاجتماعية التنظيمية!

1- ولاشك أنه قد لا يثار أمامنا أية اعتراضات فيما يتعلق بوجود الحاجات ومثيراتها- والانفعالات التي تتوسطه!

2- كما أننا نعتقد أن نقطة الاعتراف بالحاجات البشرية هي موضع اتفاق . . إلا مع الزهاد - وهم مظهر منحرف لأهل دين معين؟ . . . وان كنا لا ننقص من قابليات أي إنسان فهو حر!!

. . ونقطتنا هذه تستدعي الوضوح من أيام الطفولة نفسها الخ . .

وقد نقف قليلاً فيما يتعلق بالباعث . . . ومدى تقويته - في الأديان = بالحجاب؟

ونلاحظ أن الكثيرين من الأساتذة قد بدؤوا يشعرون بذلك (آندريه موروا مثلاً) وأبان آخرون خطورة العري والصورة العارية (الدكتور سوروكن مثلاً) . . ونستطيع أن نعطى من الواقع والأدلة ما يعزز هذا الرأي، وقد كان لي صديق عزيز، وكانت لداداته في الخصام أحياناً تحمله على أن يملأ جريدته بالصور العارية تحت اسم الفن! وكان يعتقد أن الجنس كل مشاكل البشر، وأن العري هو القضية الكبرى! وسافر الأخ الكريم إلى فرنسا، وجاء لكي يؤكد أن العري قد يؤدي إلى الفساد . . وهو قد رأى كيف يجتمع العراة فيترك الرجل المرأة ليأتي الرجل!!! وتشهد بريطانيا أزمة وقوف الشباب أمام «فترينات الأزياء» لمشاهدة الملابس الداخلية للنساء . . ولعلها للرجال أيضاً!!!

كما تشهد أمريكا نوعاً من الخطف والعنف! الخ . .

---

(1) والقرآن الكريم يستعمل مفردة «زوج»، و«الزوج» هو الفرد الذي له قرين يكتمل به . . . ← وكل من المرأة والرجل «زوج»، وهما معاً زوجان . . . ← ← وهما معاً يكونان «الوحدة الإنسانية» . . فيشتركان في كل ما هو إنساني . . .

ثم إنه من الناحية الجمالية – وسنترك التفصيل – نلحظ أن الجمال إن كان قد أخذ باعتباره المرحلة الفاصلة بين الغريزة والإشباع . . . قد يكون أدخل في التسامي أو التنفيس الغريزي! وما نعتقد أن هذا هو الفن والجمال الخالد، وبالمناسبة فقد قرأت دراسة لكاتب سوفييتي يبدو أنَّه يتفق معنا في وجهة نظرنا في تقييم الفن والجمال باعتباره أمراً موضوعياً . . يتصل بالفكر . . ثم ما الذي يمتع الكثيرين بالجمال، وهم قد تزوجوا مبكراً، بينما يعرض الكثيرون من المراهقين عن الفن؟

. . . . ولهذا يبدو أن الكثيرين – وعلى رأسهم السيد ديورانت – في حاجة لمراجعة مفهومهم هذا، أما كون مجتمع متخلف أو غير متطور لا يتذوق الفن والجمال فأدعى أن يلفتنا إلى ربط القضية بالفكر . . بانتظام المسارب الإلكترونية للمخ!

ومادمنا بصدد الحديث عن الجمال . . فإننا نستطيع أن نجد مبرراً فيه للستر – لا للعري! – إذْ إنَّ الأنوثة – لا الجنس – قد ينفع كموضوع جمالي . . وهو ما يتوازى مع الستر . لاسيما وإننا إن ربطنا الناحية الجمالية بانتظام مسارب المخ الإلكترونية! فإننا سنتلاقى بأطراف الأخلاق، وعلى رأسه الحياء!

3–أما تنظيم الانفعال فإننا لن نخشى منه مادام يتم في حدود الوعي – لا في اللا شعور! – وبالاقتناع . . ومن ذلك يكتسب الضبط – وهو غير الكبت!– وقد يتساوق هذا مع القوى الضابطة في الأعصاب نفسها! . . وحتى فرويد هالته تلك اللذة التي يجدها الإنسان في الضبط!!!

. . وهذا الضبط يجب أن يتم بحيث يتناسق مع جوانب أخرى في النفس البشرية – وقد قدم الأستاذ (هادفلد) دراسة قيمة عن هذا الموضوع . . وانتهى إلى ضرورة أن يكون مثلاً أعلى موضوعياً، وهو غير اللذة أو الزهد أو الخ، بل كل متكامل . . .

أما تناسق الضبط مع الجوانب الاجتماعية فذلك ما يتصل بالفقرة الآتية . . والتي تليها . . .

4- أما بخصوص الوحدة الإنسانية وتكوينها . . فإنها بطبيعة الأمور قائمة، وحتى كتنظيم نفسي، للاطمئنان على من يشجعه ثم عدم الوحدة ثم العناية بالأطفال، وذلك سيراً مع نظرتنا في **أنَّ ما نستطيع أن نكله للعمل الفردي . . واعتماداً على أسس في النفس البشرية . . نفعل، وغير ذلك نتولاه نحن . . كمسؤولين عن المجتمع** (. . الإمام ولي من لا ولي له !)، وهي تفرضها أية دراسة تطورية . . .

وإذا ما اتفقنا على ضرورة الأسرة وبقاء الأبناء باعتبارهم بهجة [ولا ننسى أن هذا يتوافق مع حق الملكية، والتوريث . . والذي يبدو أن القانون السوفييتي قد استلفه من الإسلام، مع عدم الإشارة !] فإننا نجد العفة[1] [وهي كمصطلح هنا . . لا كقيمة أخلاقية] كضرورة . . ثم إن الزواج يجب أن يكون مبكراً حتى من الناحية الفسيولوجية، فحوض الفتاة يكتمل في سن 17 سنة تقريباً !

وهنا ولابد أن نتحدث عن **كيفية الاختيار** - وقد اهتم بها الإسلام - وهي لاشك مسألة مشاركة ! . . . ولا نعتقد - وهو ما يراه الإسلام - أنه ينفع فيها النزوات الطارئة بل الفكر والتخير المتعمد والواقعية الخ . . .

حتى إذا ما تم وعقد العقد - وهو في الإسلام عقد بسيط رضائي لا شكلية فيه - أصبحت زوجة . . وفي الإمكان تأخير الزفاف ! وإذا ما افترقا من قبل أن يتماسا

---

(1) والقرآن الكريم يستعمل مفردة «الإحصان»، وهي أدق، وهي تدل على أن المرأة كأنها حصن منيع بأعلى الجبل . . . ← وعلى الرجل أن يرتفع إليها في «حصنها» . . ويحصنها . . ولا يسقطها إلى السفوح ؟! ويهددها . . وعليه ألا يقتحم عليها حصنها ويلجئها إلى خارج حصنها و «يزنفها» أو يزانيها . . . ← فهذا هو الزنا ؟! / ونرجو الانتباه إلى أن الإحصان = المناعة !! . . . ← وحيث لا إحصان . . فلا مناعة . . بل «نقص مناعة» ؟!

فنصف المهر - وسنوضح حكمة المهر . . فيما بعد - كتعويض . . إلا أن يعفون، وإذا ما تم الزفاف استقرت الأسرة . . .

وهنا لابد وان نلتفت لمشكلة تنظيم الشركة الجديدة، وقد نظمها الإسلام في ميدان الواجبات والحقوق . . كأدق ما يكون النظام، والنقطة التي قد تثير بعض الالتباسات هي رئاسة الزوج[1] - وأدق ما تتمثل في موضوع الطلاق . . الذي سنشرحه - وان كانت الدراسات النفسية والتي تدخل في اعتبارها النقطة الخامسة . . والتي سنشرحها . . تعرف غلبة العاطفة على المرأة (وقد يكون من الفيض الزائد في غريزة - الأمومة . . ونحن نعترف بهذه الغريزة لعدم إمكانية قبول التفسير الفرويدي، الذي تهدمه نظرة بسيطة للعلاقة بين أي حيوان وأمه - الحصان مثلاً!) ولذلك يغلب عليها التلوين (ولعل هذا يفسر عمل شهادة المرأتين برجل!). ويصعب علينا أن نضع أمور إدارة المنزل بيدها، ولاسيما الطلاق - هذا بالإضافة لما للحيض والنفاس من أثر عليها . . وبالتالي على حالتها النفسية (ثم الفيلولين وغيره من الإفرازات وآثارها) والعقلية تبعاً لذلك . . .

وهنا تتلاقى بعض تلابيب الموضوع، فالرجل الذي يغلب عليه الفكر والذي دفع المهر! هو الذي تعطى له الرئاسة . . وبالأخص في موضوع الطلاق، وذلك يجعله أكثر حذراً من غيره.

. . . وهنا لابد أن نستطرد - وذلك قبل الإبانة عن تنظيم الطلاق الإسلامي بدقة - لما قد يتوهمه البعض من صلاحية وضع الطلاق في يد طرف آخر . . . القاضي مثلاً!

ولنسأل، هل ستجعلون مجرد الكراهية غير المعللة من بين الأسباب؟

---

(1) القرآن الكريم يستعمل مفردة «القوّام»، وهي من القيام «الكثير» المتعدد← . . . والرجال «قوامون» كثيرو القيام ومتعددوه . . احتراماً وخدمة ودفاعاً . . .

. . فإن كانت، فيصبح هذا إجراء شكلياً، استعاض عليه الإسلام بضرورة شهادة شاهدين – وغالباً ما يكونان من أصدقاء الأسرة، وهما أعرف . . . وأستر!

وإذا لم تجعلوها . . أفتكرهون الناس على العيش المشترك معاً وهم متكارهون . . والكراهية قد تأتي لأمور بسيطة! ثم ألا يكون ذلك فرصة لتجميع التهم . . بل اختراعها! وكيف ترجع من وقفت تكيل التهم مع من وقف يكيل التهم ليعيشا معاً؟؟ . .

وإذا ما شعرنا بحرج الموقف، فإننا لاشك متسائلون: وكيف نترك الأمور في يد الرجل؟!

ولكن عند التمحيص، ومراعاة أنه هو الذي ينفق ويشتري الجهاز ويتحمل النفقات والرضاعة والحضانة . . . الخ ثم غلبة النزعة العقلية – بالإضافة إلى منعه من الطلاق في أثناء الحيض أو الطهر الذي لامسها فيه، وإعطائهما فرصة المراجعة . . مع إبقائهما معاً، واتخاذ المصالحين من الأهل والأقارب . . وتوقيع الطلاق بشهادة اثنين الخ، وهكذا في الثلاث مرات؟

أظن أنه بعد كل هذا لا مجال إلا للتهذيب والذوق والأخلاق . .

ولا نريد أن نناقش موضوع زواج بعض الأقارب . . فنعتقد أنه طبياً وسيكولوجيا منتهى منه، وذلك لخطر الأمراض المتوارثة، ولخطر ضعف الرغبة الجنسية . . وذلك للاختلاط!!!

ولكننا نعتقد أنه من المهم أن نشير إشارة إلى «التعدد» . . ونبدأ بإيضاح أنه موجود في اليهودية والمسيحية وذلك على رأي من يجمع التوراة إلى الإنجيل على رأي من لم يأخذ بما جاء في المؤتمرات (مؤتمر نيقيا وغيره) . . الخ . . .

. . ولنناقش الأمور من حيث واقعيتها، فنحن بإزاء مسببات عامة . . كالمسببات الديموجرافية، ومسببات خاصة . . كالأمراض و . . . الخ . . بل والحب

أول نظرة!!!. . . فمن أحب أفنمنعه من التعدد؟! إنه سيطلق إذن أو. . . ! ولا يمكن أن نقيد التعدد. . ونجعله في يد القاضي، وذلك لأنَّ القاضي لا يستطيع أن يقرر مدى القدرة. . فهذا مثلاً سيترك بعض المصاريف في الدخان والكماليات الخ. . حتى ينال من يحب ولا يتنازل عن أم أولاده!، ثم إن التعدد لا يقوم إلا لضرورة. . فهذه التي ترضى أن تتزوج من شخص متزوج ما الذي دفعها إلى ذلك؟!. . . أليست الأسئلة التقليدية الثلاثة:

هل أنت متزوج؟ هل أنت مطلق؟ هل توفيتْ زوجتك؟ الخ. .

وقد كان بودنا ألا نتابع المناقشات التفصيلية التي لا تتصل كثيراً إلا ببعض البلاد ولكننا نتابعها. . بما فيها من تناسق فكري مع بقية التنظيم. . .

بيت الطاعة . . والضجة التي حوله، وان دلت على شيء. . فإنها تدل على عدم استشعار الناقد للمسؤولية وتدل - وهذه نقطة سنثيرها فيما بعد - **أيضاً أن عوامل رقي الإنسان ليست الأنظمة، فأحسن الأنظمة تفسد بفساد الإنسان!**

على العموم، **بيت الطاعة شيء يتسق مع الحرية للطرفين، ولكن الحرية لا تعني ظلم الآخرين وإلا أصبحت حرية الرأسمالية!**. . .

فالذي يدفع مهراً وينفق الخ. . لا يكون للطرف الآخر أن ينفصل عنه هكذا (دون أسباب. . ودون تعويض) وإلا لأصبحت تجارة تتنافس عليها الرأسمالية!.

وإن كنا نلاحظ أنه **في حالة وجود مسببات يطلق القاضي** - إسلامياً - أما فيما **عدا ذلك فلتدفع عوضاً**. . لا يتجاوز المهر! وإلا فإنها تدعى لبيت الطاعة. . لإيقافها عن التلاعب والمتاجرة. . نعم قد يكون هناك تلاعب في تقدير بيت الطاعة. . ولكن هذه أزمة ضمير، وضمير القضاء!!!

5- **وإذا ما انتهينا من النقطة الرابعة**. . والخاصة بالوحدة الإنسانية وتنظيماتها، نلتفت إلى **فواصل النقاش حول النقطة الخامسة**. . **والخاصة بالاختلاف البيولوجي**

وآثاره السيكولوجية، وأثر كل ذلك على تنظيمنا الاجتماعي. . ونعتقد أن شهادة الأستاذ الكسيس كاريل - وغيره كثير - لها اعتبارها، وقد أوضح في دراسته القيمة «الإنسان ذلك المجهول» أن أية دراسة هستولوجية توضح مدى عمق الاختلاف البيولوجي، ولاشك أن الجانب الفسيولوجي له آثاره النفسية. . ثم إن البداهة العقلية تقول: إن تحقيق غرض واحد بآلتين ذات غرض واحد ليدل على البلاهة! وعليه فان للذكر مهمته وللأنثى مهمة أخرى، والمهمة التي تتساوى معها هي ما يتساوى مع حنان الأمومة من عناية بحياة الطفل وبيئته الأولى (المنزل) الخ. . . وقد ساعدتنا دراسات. . وبالتالي العمال. . والإنتاج. . والمجتمع!، ونذكر بما أشرنا إليه من آثار الإفرازات (الفيلوليين مثلاً) والحيض والنفاس الخ. .

. . . إن مغالبة منطق الحياة لا يؤدي إلا إلى إعاقتها - هذا إن أدّى إلى شيء!!!

يا سيدي المحترم،

لعلكم لاحظتم أننا ما أن وضعنا أنفسنا أمام مناقشة الأنظمة حتى وجدنا أننا أمام تلك الملاحظة التي تقول: إنه ليست الأنظمة وحدها السبيل لصلاح الإنسان. . وإن كانت تساعد على ذلك! إن فلسفة الأنظمة. . روحها، هي التي تخلقها وتعطيها الحيوية.

ولئن كان انتكاس الأنظمة قد يؤدى بمرور الزمن إلى غياب روحها. . فلسفتها، فإن التمسك بالأنظمة لا يحول دون غياب روحها - وإلا فما كان بنو إسرائيل في حاجة لأنظمة! ولعل هذا ما يفسر غلبة الروح على المسيحية وهو ما يلقي الأضواء على سر تحريفها أو تعديلها عند الأوروبي. . حفيد الروماني! وهي كحقنة الأنسولين لمريض السكر نافعة! وعلى العموم. . فإننا لا نشك أبداً في أنها تحوي الأنظمة الأساسية التي جاء بها كل دين = على الأقل في أصلها.

6- الحق إن فلسفة النظام . . وروحه ، هي جوهر الإصلاح لأنها هي التي تضع الذات في حالة انتظام . . . وهي التي تحدث التوازي والاستقامة في المسارب الإلكترونية للمخ ! . . **إن نظرة للكون والحياة والإنسان متناسقة - مع شمولها - هي التي تصحح المخ وتقيه من الخرافات والفوضى والارتباك ! !**

. . . إن حب الخير والأخلاق والجمال والمنطقية في الأعمال وصحة النظرة أو العلم ، إنما تنتج عن نفس منتظمة . . ومخ قد صممت مسالكه !

وما الحضارة إلا ارتباط الإنسان بترابه وزمنه ، وما الإنسان الذي يرتبط . . سوى ذلك الإنسان الذي له خلق وذوق جمالي ومنطق عملي وعلم - **وما الأشياء إلا نتائج ! !**

وإلا فماذا كانت تكسب ألمانيا من هذه الأخيرة ؟ !ماذا أجدى قومنا استيرادهم للأشياء ؟ !

إن تعليم إنسان كيف يربط ربطة العنق ليذكرنا بالذكاء . . الذي يشاركنا فيه زميلنا الذي يترك في عينيه تخلفه عن التطور ذلك الأسى الذي نلحظه في عيون القرد !

أما تثقيف إنسان . . حتى يكون **له خلق وذوق جمالي ومنطق عملي وعلم ،** فإنه يحتاج للنخبة الإنسانية من الأنبياء والصديقين والشهداء والصالحين . . وحسن أولئك رفيقاً .

إنها تحتاج لهؤلاء الذين لا يمتون إلى القرد إلا بالبداية ، ولكنهم يمتون إلى الله بالنهاية - فهم الجسر إلى مستقبل الإنسانية . . وفي الحياة الآخرة . !

. . إنهم شهود التطور الجديد ، الذي يبدو انه حتى الأستاذ هكسلى في مقالاته الأخيرة يوافقنا عليه !

وما الأخلاق والذوق الجمالي والمنطق العملي والعلم إلا نظرة لصلاتنا بحوادث الحياة والكون (العلم) وليس هنا في كل قسم إلا النظريتان: المادية.. والدينية...

(انظر «الدياجرام»)

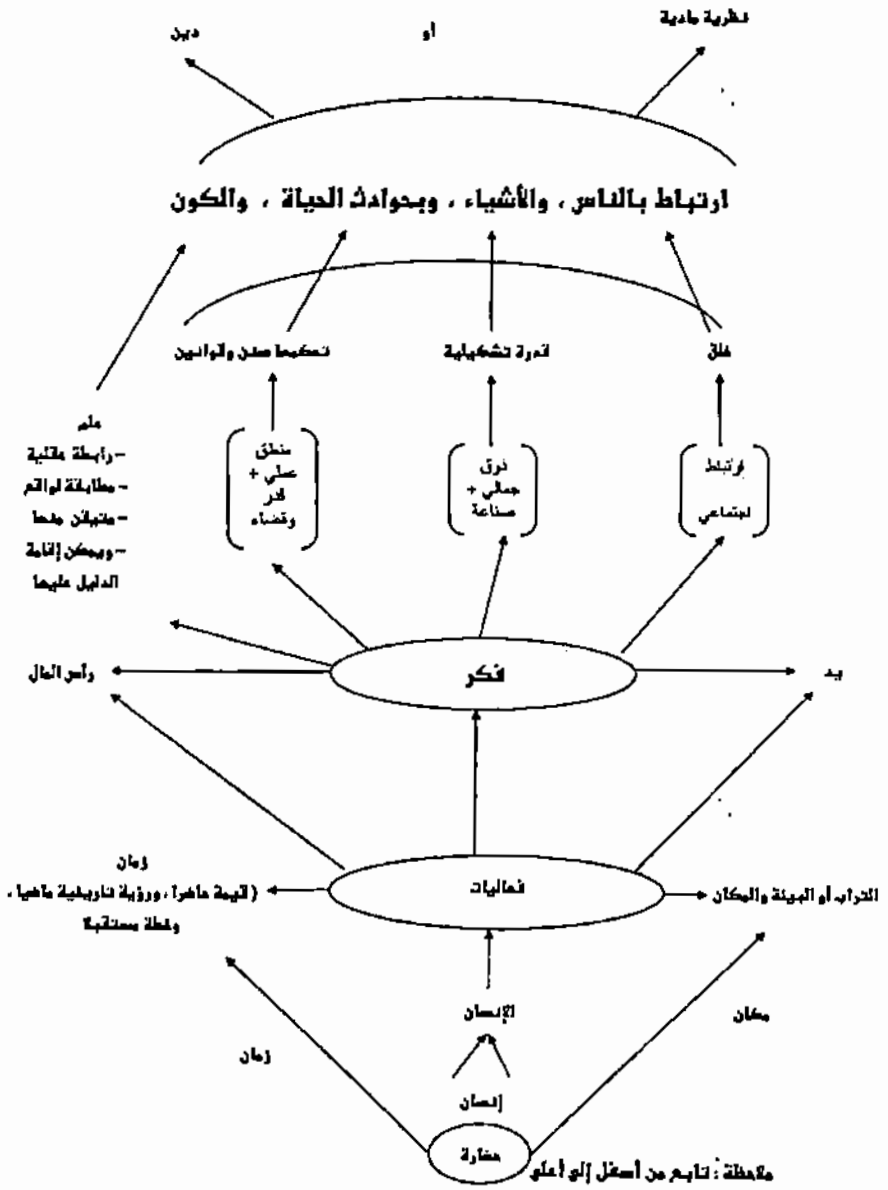

ففي الكون إما المادة أو الله، وفي الصلة بحوادث الحياة. الضرورة وشبه الضرورة أو القدر والقضاء، وفي الأشياء إما أنها تؤثر علينا وأما نحن ذوو - الإرادة! وفي الصلات الاجتماعية إما منفعية ونسبية اجتماعية وصراع وأحقاد وإما من عند الله وتآخ. ومن حاد عن الطريق فقد ضل ويعاقب الخ..

... ولعل هذا نفسه يشرح لماذا لم توجد في التاريخ حضارة بنظرية بشرية إلا الحضارة الشيوعية بنظرية ماركس، إذْ إنَّها نظرية متكاملة عن كل الجوانب التي ذكرناها!

ولكننا ابنّا عن ضعفها وإلى أن تسترد مكانها. لن نتوقع لها في بلادنا نجاحاً!..

ثم إننا لو أردنا أن نعمّق الموضوع أكثر ونوضح لماذا أن نظرة معينة عن الكون والحياة والأشياء والإنسان هي التي تصنع الإنسان.. فإننا نقول: إن الإنسان له قدراته على الامتداد إلى الخلف (الدراسات الأنطولوجيَّة) وإلى الجوانب (الميتافيزيقية) وإلى نفسه.. ومدى إرادته.. ثم أهدافه وصلاته.. فلو أعطيناه الإجابة عن الكون فإن بصره سيرتد إليه سريعاً، وتنتظم صلاته بحوادث الحياة فلا ينحرف، وبإعطائه إرادته.. مع أهداف قادمة تدفعه...

ولذلك لابد من الإجابة عن أصل الوجود....

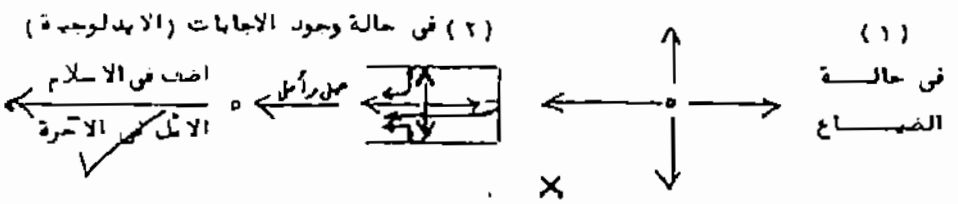

.. وأنه الله الموجود الدائم الوجود الخالق الخ.. أو أنه المادة - وقد ناقشناها - ولابد من التعريف بقوانين الحياة.. وأنها «مقدرة» و«مقضية»، أو أنها «الضرورة» و «شبه الضرورة»!.

ولابد من إعطائه الإرادة. . وهو ما نمنحه له نحن - ونحاسبه عليه، بعد تزويده بالسبيل الذي يجب أن يسلكه، وهنا يأتي التنظيم الاقتصادي، والجنس، والأخلاق. . والذي لنا سند نقيمه عليه!!!

فنحن نعرف أن هناك غرائز أو حاجات، ننظرها في مراقبة الإنسان اليوم. . وفي تاريخه!

ونستطيع أن نجد أن مجموعة منها تكوّن ما يسمى بالعواطف.

ونستطيع أن نقول: إن طغيان غريزة أو عاطفة لا يجر إلى سعادة الإنسان في كثير من الأحيان.

ولقد يحار الإنسان في كيفية التوفيق بين هذه الغرائز والعواطف.

وكبداية **نستطيع** أن نقول إن الاعتراف الواضح بهذه الغرائز والعواطف والشعور بأنها شيء ضروري لهذه الحياة أو قدرٌ مقدور! مع محاولة تنظيمها، هو ما قد يساعدنا. فالغريزة الجنسية مثلاً نعترف بها ونحاول أن نقيم على أساسها التنظيم الأسري، فهنا استفدنا من غريزة لتوزيع المسؤولية الاجتماعية. . . وبالتالي إتاحة الفرصة لعناية أوفر ونماء أهم للفرد الإنساني! وهكذا.

ولقد أوضحنا كيف ننظم ناحية الحاجة للأكل، وكيف نقيم عليها تنظيماً اقتصادياً. . . الخ. .

موعدنا هنا لنوضح. . **كيف نقيم تنظيماً أخلاقياً على المحبة والتصافي** لأنه الأساس في الترابط غير المحكوم بالعقوبة!!! وإن كان عندنا له عقوبة، وهي منطقية، إذْ إنَّ كل أمور الحياة المادية تجد جزاءها فهي **سنة في الحياة أن يجد كل شيء جزاء. . أو أن يكون لكل «حدث» استطراده** «فما هو جزاء الصبر والتسامح»؟! وأردنا هذه الفضائل. . . التي يحلو للبعض أن يسميها سلبية، لأن غيرها قد يجمع المدح الاجتماعي!.

إن جزاء الصبر والتسامح من طبيعته. . . وفي دار من طبيعته - دار المعنويات فما هو استطرادها؟!

. . ثم إن هذا يعطي أملاً مستمراً . . ومثلاً أعلى - كالقمر يتحكم في المد والجزر، لا كرمال الشاطئ التي يتجاوزها البحر أحياناً . . فينشأ عن تغيير المثل الأعلى ذلك الصراع بين الحياة الجديدة والحياة القديمة!!!

وهكذا - يا سيدي - تنتظم النظرية . . وهي ستزدادُ انتظاماً كلما قطعنا شوطاً أكبر! فالله الحي القائم بذاته الدائم الوجود المخالف للحوادث، قد خلق هذا الكون، وأراد (أي خطط) وقدر (أي نفذ) أمور هذه الحياة في شكل «أقدار» و «أقضية» وذلك بقصد يشاؤه (المشيئة أشبه بسير التاريخ أو حتميته) على ضوء علمه وحكمته.

وأوجد هذا الإنسان المستخلف المكرم بالعقل . . . والذي يستطيع أن يختار، وقد خلقه من ذكر وأنثى وجعله شعوباً وقبائل - قوميات - ليتعارف، وأرسل له الرسل بالكتب . . وتحوي تنظيم الحياة فإن اتبع فقد هدي وإلا إلى ضلال وسيحاسب، ثم إن هذا كله يتلاقى مع كون الله هو المثل الأعلى . . ولذا فإنه إن كان هناك من نقص فبأبسط قدر . . والقدر الذي يبقى على إطلاقية الكمال لله . . .

- فنحن أمام :

1) إيمان بالله.
2) تكريم الإنسان وحريته . . وهو مستخلف.
3) الإنسانية . . والعالمية، لكي يتعايش الناس.

وذلك بدلاً مما يسود الآن :

1) الإلحاد.
2) طغيان الجماعية والنسبية البشرية!
3) التعصب والحزازات.

ثم يا سيدي - إن «مشكلة الشر» قد حلت في ضوء هذه النظرية، فهي نقص في الكمال . . وان كان هذا أحسن ما يمكن . . .

ثم لا تعارض بين حرية الإنسان ووجود الله، بل الله قد احترم هذه الحرية حتى إنه جعلها مقدورة في نظام هذا الكون، ولكنها حرية وراءها مسؤولية وحساب.. وما يمكن أن يحاسب عليه اجتماعياً يحاسب، والآخرة دار حساب!.

ثم إن هنا إشارة لسبب أزمة البشر والصراع القومي والطبقي وهو أن البشر نسبيون، ولابد من تشريع من قبل المطلق.. وليس الإنسان إلا من أصحاب الأبعاد الثلاثة!!!

يا سيدي المحترم،

إننا هنا أمام فرضية خصبة.. ويبلغ خصبها حتى تصبح حقيقة...

... وأدق علوم بني الإنسان تقوم على فرضيات.../ ومع ذلك فحتى هذه الفرضية وجدنا وسيلة للتدليل عليها.. فإن «ظاهرة النبوة» خير دليل، تصور أن أمامك مادة تتكلم لتحيطك علماً بقوانينها!!!

.. فهؤلاء يفسرون لنا الغرائب التي جاؤوا بها - ويقولون ما سبق أن أوضحنا - وهم لم يخضعوا للنسبية.. وأتوا بما فهمه البشر ولكن عجزوا عن إنشائه!!!

هذا، وإن الذين يريدون أن يروا الله جهرة لا يؤمنون، لأنهم ليسوا علماء!!!

فالمؤمن... والعالم.. في حاجة إلى الغيب قليلاً لأنه سر الحياة - على رأي آنيشتين...

ولقد يدرب القرآن المؤمنين من أول لحظة فيضعهم أمام «ألم.. ذلك الكتاب..» ماذا تعني!!!.. إنها تعني تسليماً للرموز، وقد لا يفهم الكون في أموره النهائية إلا في الرمزيات.. على رأي... آنيشتين أيضاً!..

.. وليس عبثاً أن تكون أول صفة للمؤمنين هي.. «الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة!».

- وأن الصلاة هي تجسيم المعنويات (وهذه صفة أخرى عقلية - بالإضافة إلى الشمول والتناسق - رأينا تأجيلها إلى هنا).

وفى الصلاة تفاعل بالكل . . وارتباط اجتماعي ! ! !

- وهنا موضع الحديث عن العبادات . . . فهي إشباع لجانب عقلي - بالإضافة إلى العاطفة الروحية . . . والتي قال نهرو : إن ماركس أخطأه الصواب حين تجاهلها - وهو تجسيم المعنويات ! . . . كما قد نجد في الصوم تمريناً للإرادة ، والإرادة تخلق بالمثل الأعلى . . ولكنها تحتاج إلى تمرين وثورة على الآلية والروتين السنوي ! ! !

أما الزكاة فقد أوضحنا آثارها الاقتصادية وهى تطهير للنفس من عبادة المال ! ! !

والحج ذلك المؤتمر العام ، ثم إن فيه معنى الخروج الجماعي للقيام بحركات بدنية ونفسية . . يبدو أنها في حاجة لإشباع - بدليل أن الشعوب التي فقدت مثل هذه العمليات الطاهرة لجأت إلى العربدة والخمر والفسق في حفلات رأس السنة (وتلك بذرة الفساد !)

ثم إننا نجد لديها رقصات «الروك أند رول» الشاطحة وهوسَ الدراويش حول السيدة زينب ! «وما كان صلاتهم عند البيت إلا مكاء وتصدية» ! .

إنني ، يا سيدي ، لم اقصد بهذا كله ، وما سيأتي ، أن أوضح لك جوانب العظمة في القرآن . . والإسلام - وبالتالي كل الأديان [لأن الإسلام هو الخضوع لسنة الله في كونه . . تناغماً . . . وهو ما تمثل في أصل التوراة والإنجيل و . . والخ . . وما الكفر إلا الغطاء الذي تتخذه الأهواء في وجه دعوة الحق] من عظمة وإنقاذ ، وإنما هي مجرد إشارات ومفاتيح لمن أراد رشاداً وبحث عن سبيل . . .

❖ ❖ ❖

هذا ، ويا سيدي . .

فإنني قد أهملت الكلام عن تنظيم الحكم - والقانون بالتالي و «العلاقات الخارجية» الخ . . - عمداً ، لأنها تتصل بكيفية العمل . . . وهو ما نخصص له بقية

البحث، أيْ إنَّه إذا كانت هذه هي النظرية الدينية.. وهذه قوتها - فماذا ننتظر لها من عمل؟... وسنوضح رأيها هي في العمل.. مع مقارنة بالدراسات الحديثة على طريقتنا البسيطة المتواضعة...

«يجب أن نحدد أنفسنا بحرية وحزم، أو بتشاور وعزم، من قبل أن نتحد.. ولكي نتحد».. وكم كان لينين عبقرياً في طريقة العمل، حين قال هذه العبارة، فكل عمل لا بد له من تكتل يحميه، ولكن التكتل الفكري يجب أن يحدد نفسه بحرية وحزم، والحرية تعني أن يكون الإنسان مقتنعاً... **ويعني ذلك أن تكون الفكرة محددة أولاً... ثم إعلانها أولاً بأول - وهكذا يواجه الإنسان أو الناس... الجموع ليقنعهم وبعد ذلك ينظمهم.** وهنا يبرز التكتل... يصارع ويغالب، ويمتحن ويضطهد، ولكنه.. وقد جمع مؤمنين سيسير إلى الأمام... وإلى الأمام... حتى الحكم، وما بعده!

فالاقتناع الفكري أولاً، وليس عبثاً أن ينجح لينين بعد أن اتخذ طريقة الإعلان للناس عن الفكرة، وأذكر أني قرأت له، وهو يصف نتيجة طريقة العمل قبل اتباع أسلوبه، ما معناه - وهو ما يتفق مع آرائنا الشخصية.. في حصيلة عمل جماعة معينة، مازالت رهن التكون في بلد عربي شقيق - ... أن هناك قلة من العمال يجتمعون لكي يتدارسوا نظريات ماركس، ثم يخرجوا لا ليعملوا بمقتضاها.. بل ليشعروا بتميزهم ولينفخوا أوداجهم ويتشدقوا!!!

والفكرة دائماً تحتاج إلى النموذج أيضاً.. وقد كتبت دوائر الجوسسة في عهد القيصرية تقول ما معناه... لقد كانت كتب ماركس والدراسات الماركسية عامة تملأ المكتبات ولكن لا أحد يعيرها اهتماماً.. ولا يخشى منها خطراً.. «حتى جاء هذا الشاب الذي يدعى «فلاديمير إليانوف» وحملها.. وصارت إشارة خطر».

.. ونحن بهذا لا نوضح دور شخص بعينه، بل نموذجاً في حمل الرسالة.. **وإن كانت الرسالة لا تتصل بالأشخاص!، ولا نريد أن يفهم من النموذج انه**

ممثل الفكرة، فكثيراً ما لا يستطيع الإنسان أن يحمل الفكرة بالضبط، إلا بعد صراعه . . وامتحانه . . أثناء الكفاح «يعتقد هؤلاء الكيماويون أن الرغبة هي الدافع إلى الثورة بدلاً من الظروف الحقيقية . . أما نحن فنقول للعمال! سوف تقضون خمس عشرة أو عشرين أو خمسين سنةً في حروب أهلية عالمية (ونعتقد أن كلمة صراع أدق) **وليس هذا فقط لتغيير الظروف الخارجية . . بل لتغيير أنفسكم لكي تصبحوا فيما بعد أهلاً للحكم السياسي** - رسالة ماركس إلى ولش «أيلول سنة 1850م».

وهكذا يبدو الغلط الكبير حين نربط بين الشخص والفكرة التي يحمل . . ونحاول أن نقيسه بها وهو مازال لم يصارع . . ومازال يعيش في ظل أنظمة فاسدة . .

. . وهذا الغلط تقع فيه كثير من الجماعات حينما تظل تبحث عمن يلتزم بفكرتها . . وكان أولى بها أن تقنع وتترك للتمرين أثناء الصراع والقدرة . . البقية!

ومازلت أذكر يوم أن صارحت جماعة معينة أنه لزام عليها أن تأخذ الناس بواقعهم . . وبالفكرة والصراع يتغيرون فصاح أحدهم «. . نريد الصفاء الروحي»!!! وحينئذ علمت أنه شتان بين منطق الصفاء (أو التصفية) «والبركة» وبين منطق الصراع والحركة!

إن هذا الذي تصدقه وقائع الحياة ويعرفه العلم هو ما يقصد إليه القرآن من عرضه لحياة الشعوب والأنبياء - بالإضافة إلى تعليمنا القيم الأخلاقية الأساسية من صبر وتسامح ومحبة الخ . .

وهذا هو ما يسمى بالجهاد . . إنه غير القتال . . إنه الأسلوب الثوري في العمل the Revolutionary struggle وقد لا يتطلب القوة كثيراً، ولكن لا بد من قليل من القوة، لأن التغيرات الكبرى في التاريخ لا تتم إلا بمدافعة! . . . وذلك لأنها إعادة الاستقامة لمن انحرف (Re- evolution).

والقرآن يصور لنا الصراع هكذا :

كثرة مستضعفة ، تستغلها قلة (من أصحاب الأموال والملوك والكهنة و . . . والخ) . . . ومصلح يظهر . . فيصيح بدعوة ربه . . . ويتحمل المشاق ، ويحاربه المستضعفون ! بإيحاء من المستغلين . . ولا بد له من المصابرة والتسامح حتى ينتبه المستضعفون إلى حقيقة وضعهم ، بعد أن يزودهم بما ينقصهم . . فهم يعانون من «الحرمان – أي النقص في الأسس الإنسانية – مع عدم الانتباه لذلك» . . .

وهنا يصيح المستَغلون « . . ما اتبعك إلا الذين هم أراذلنا» . . وينسون أن أهواءهم ومآربهم ومصالحَهم هي التي تعوقهم عن أن يتبعوا هم الأوائل !

. . . وسيستميتون في المحاربة والاضطهاد . .

وحين يبلغ انهيارهم أعلاه يكون المجاهدون قد بلغوا ذرا قوتهم . . وكذلك نضرب بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق !

. . . وتصوير القرآن هذا يشعر المكافح أنه حين ينضم إلى صف الكفاح **إنما يدخل في سلك طويل من الأنبياء والقديسين والشهداء والمصلحين . . وحسن أولئك رفيقاً** – بالإضافة إلى الجنة التي وعدها المتقون ، ومحبة الله . . الحقيقية ، لا كما تشعره الماركسية بأن المكافحين السابقين مستغلون في نفس اللحظة ! !

– ومادمنا قد وصلنا إلى هذا القدر فلنسرد «**نظرية القرآن في فلسفة التاريخ**» وقبل عرض كيفية تنظيم الدولة الفكرية داخلياً وخارجياً ، حتى نستطيع أن نحدد دورها ورسالتها ! . .

إنني مازلت أذكر يوم أن كتب أحدهم يقول :

وما الفائدة من عرض التاريخ على أنه دورات متكررة مملة ؟ !

وكنت آنئذ – من الوجهة العلمية . . والإسلامية أيضاً – أؤمن بنظرية الدورات ، فالأمم تنشأ بالصورة التي شرحناها . ثم لا تلبث أن تفقد حيويتها أولا بأول (خير القرون قرني والذي يليه والذي يليه) وذلك ما تثبته التجارب النفسية ، إذْ إنَّ الكلمة

الواحدة متى تنقلت من إذن إلى إذن لا تلبث أن تأخذ صورة أخرى، بالإضافة إلى أنَّ من ينشأ في مجتمع منظم لا يعاني كثيراً، ولذا لا يقبض على النظرية بنفس القوة! الخ وإن كان القرآن اهتم أن تصل كلمته كما هي فبقي خالداً، ثم أوجد الآمرين بالمعروف الناهين عن المنكر وأقام الإيمان على التشكك ثم الاقتناع العقلي... ونعى التقليد.. ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ...﴾ سورة آل عمران، الآية: 110 على العموم إذا ما تراخت الفكرة في بلد ما.. لا يلبث أن يحل الانهيار - على ما سنوضح - ثم تأخذ دورة أخرى في مكان آخر طريقها.. وهكذا...

حتى يتم التلاقي النهائي - الذي نحن بصدده الآن - لكي يقوم الجميع وقد تكون نهاية الجميع!...

وعلى ذلك **فأنا لا أعتقد أن هناك تعارضاً بين التطور وبين القول بالدورات، فالعجلة تدور ولكنها تسير!...**

ولنسأل صاحبنا الماركسي: ما فائدة تاريخ كله استغلال؟!

ثم إن القضية ليست قضية فائدة - وإن كانت العبرة والعظة مهمة.. وهي في نظرتنا متوفرة في صورة أكبر - بل واقع تاريخي وكيف يفسر؟!!!

ونحن - اختصاراً منا للموضوع - نضع الرسم البياني التالي لعله يلقي أضواء على التطورات المعاصرة.. مثلاً. وقبل ذلك نلاحظ أن نظرية التحدي (بل وبقية نظرية الأستاذ توينبي من أنه: «... يأتي زمن ليس فيه من فرد يقوم على حفظ السلطان والاستيلاء عليه للتوفيق بينه وبين النظام الجديد فإذا بالصولجان يهوي من تلقاء نفسه ويتحطم فيسارع صغار الملوك إلى الاستيلاء على أشلائه المتناثرة وقد تظهر الدولة المسيطرة!») تجد مكانها هنا أيضاً، كما وجدت نظرية الدورات والنظرية التطورية، إذْ إنَّهُ قبل أن نلتقي بالفكرة في منطقة لا بد من تحديات حتى تشد همة الإنسان وقد تكون هذه التحديات قديماً من فعل الطبيعة، وهي اليوم من فعل إنسان (الاستعمار والصهيونية مثلاً، بل والتقدم

التكنولوجي الذي أوصلنا إلى مرحلة العالمية، ووضعنا أمام ضرورة نظام نهائي يصلح للجميع، حتى ينتظم السلك بانسجامه في كل أجزائه... وإلا حدث الانفجار وشرارة القطع!)...

بالإضافة إلى أن الأديان تحمل معنى التحدي في أعماق النفس، إذ تخلق التوتر بالإخافة من النار.. ولكنه توتر محدود لأن الأمل في الجنة موجود...

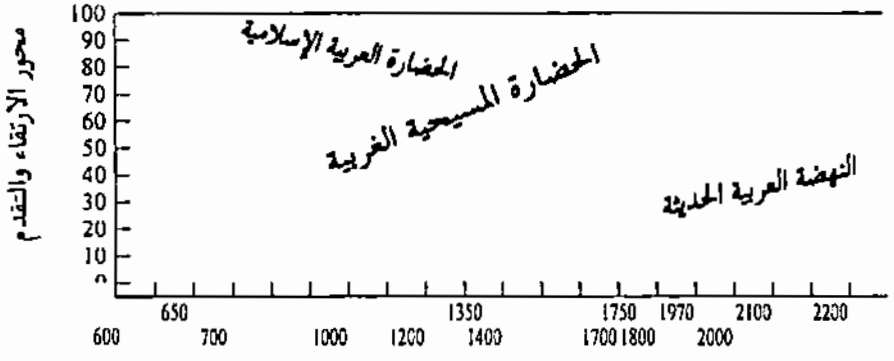

محور المسيرة التاريخية «قطاع زمني»

.... ويوضح الرسم مسيرة الحضارتين المسيحية والإسلامية، ويبين العلاقات الفعلية والممكنة – والنقط هي الممكنة! وتوضح أيضاً كيف أن المسيحية المحرفة.. المعدلة هي التي صنعت أوروبا، ولذلك تطوَّرتْ أوروبا حين تركت دين الكنيسة! وقد جاءت تلك الحملة عقب اتصالها بنا، وإن كنا نحن وقتئذ قد أخذنا في الانحراف. وهي توضح صلتنا بأوروبا كتوابع! وإمكانية أن نقود البشرية إلى الإنقاذ!

وفي الرسم الموضح – ما سبق أن أشرنا إليه من حيث تضمن الدورات مع التطور.. ومستوعب حتى لنظرية أوجست كونت في تفسيره القائل بالثيولوجية الأولى والسيتافيزيقا (حيث عرفت الحضارة المسيحية والإسلامية في ذلك) ثم المرحلة العلمية!.

هذا بالإضافة لتبيانها كيف أن الأصل هو التوجيه السماوي نحو الرقي الذي دبره الله على مرحلتين، انتهى أولهما ببعثة الرسول، ونهاية!

. . . وليس معنى هذا أنه ليست هناك دورات صغرى!

- ثم نحب أن نلاحظ أن فكرة الدورات هذه تتوافق مع تنظيم الملكية، وهي تتفق مع نظريتنا - بصفة عامة - عن انتظام الذات ثم تشتتها. . وطغيان غريزة ما!. . . . وهنا قد نجد سر خطأ ماركس في مسيرة التاريخ!!!

. . . فالملكية تتقرر دونما استغلال، ثم يبدأ التسامح في هذا الضبط. . إباحة كراء الأرض مثلا و. . . الخ. . ثم تحدث ردود أفعال (وهي ما استفادت منه النظرية الشيوعية الآن وان كانت الشيوعية كنظرية قد تنظم ذاتها!!!). ونذكر «بالحسديم» وقد كانوا يدعون أنفسهم بالرفقاء وثورة «القرامطة» الخ. . . ثم تأتي العلاجات السريعة. . كتوزيع الأراضي (انظر صولون وعلاجات روما الخ. . .)، ولكن النفوس مازالت تخضع في أعماقها! للرأسمالية فيحدث الإقطاع، وهو عبارة عن ملكيات صغيرة وملكيات الأمير. . مع خضوع للأمير، الخ. . .

. . . ويبدو أن السيد ماركس قد جمع بين مرحلة الإقطاع - وهو بقايا الدورة الرومانية - ومرحلة تكون الرأسمالية - وهي مرحلة تاليةٌ للتنظيم الأولى الذي كانت تصنعه المسيحية!- ثم افترض مرحلة الرق. . . والشيوعية الأولى!. والحقيقة أنه يجدر بنا هنا أن نناقش هاتين الفرضيتين ونستطيع أن نقول بدون إخلال بالبحث: . . إن فرضية الشيوعية الأولى مرفوضة لأنه لم يقم عليها دليل حتى مع قبولنا الاستدلال بالمجتمعات المتخلفة - مع أنه يحق لنا ألا نرتضي الاستدلال حتى بهذه المجتمعات إذ إنها ليست إلا بقايا دورات. ولم يصادفها تحد. . ولم تخرج فكرة، وإن كانت ستبعث الآن!!!

. . . أما بخصوص الرق فإنه صورة أولى للاستغلال، ولئن أخذ صورة تملك الرقيق. . فذلك لأن القوة المنتجة لم تتقدم، وإلا كفاهم منه أن يكون كالقن أو البروليتاريا الحديثة - ولقد رأيت بعيني كيف يعامل المحور أسرى الحلفاء، والعكس بالعكس، لأن بلادي، يا سيدي لا تنتهي من عذاب إلا إلى عذاب. . . فاعتبرنا إذن حتى نحن!!

وإذا كانت نظريتنا - يا سيدي - في التاريخ قد شملت كل الآراء . . من رأى الدورات والتطورين وماركس وأوجست كونت وتوينبى الخ . .

فإن ذلك لأن قصة الفيل والعميان هي التي تنطبق على العقل البشري!!!

يا سيدي المحترم ،

والآن - وبعد هذه الاستطرادة في النظرية التاريخية - فلنجمع ما سبق أن أوضحناه من طريقة العمل ، مع ما شرحنا من سيرة تاريخ البشرية وهكذا، نجد أن **عملاً للإسلام - أو الدين عامة سيتم في هذه المنطقة** . . على المستوى الأول ، **ولكنه مراعٍ لفكرة العالمية** . . فاهمٍ للتعايش . . هادف نحو السلام بالوقوف خارج التكتلات . . . **مع تقديمه النظرية الصالحة** التي يبنى بها مجتمعه . . حتى يكون نموذجاً!

. . . وسنناقش إذن **مهمة الدولة الفكرية اليوم، في الميدانين الداخلي والخارجي** .

والدولة الفكرية . . **تنبع من التكتل الفكري** الذي تكوّن على الطريقة التي سبق أن شرحنا ، **وتكون مهمته في الداخل مواجهة «المشاكل العضوية»** بمقتضى نظرته . وهنا تدخل المذاهب التي شرحنا في الاقتصاد والجنس في حيز التطبيق فتصبح أنظمة - وسنفيد من حيث المؤسسات من تجربة البشرية كلها ، ولنا أصلان شرعيان في هذا . . هما المصالح المرسلة وسد الذريعة . .

. . . **ويجب ألا تأخذنا روح التعصب المذهبي** (dogma) فنحاول حمل الناس على الأنظمة بسرعة ، **وعندنا عملية التدرج أصلية في شريعتنا** - وإليك الأمثال : -

أ - **الخمر مثلاً** : مرت بمراحل ، هي **مرحلة الاحتضان** ، بالإبانة عن تقديرنا للاعتبارات التي قد تدفع البعض إلى شربه ، ولكن إشعارهم أننا نشفق عليهم وعلى صحتهم وأبنائهم (الإحصائيات والدراسات تحت أيدينا اليوم) .

ثم مرحلة تدريبية على الامتناع لفترات . . وفي إمكاننا اليوم منعه في السينمات والمسارح والسيارات الخ . . باعتباره مضايقة للآخرين ، وبذلك يكون المجتمع . . خلال بعض الأشهر أو السنين قد استحق التحريم . . ثم التحريم ! ولقد نجحت هذه التجربة وتركت آثارها في العالم الإسلامي إلى الآن . . منذ 1400 سنة ! ! ! ، بينما لم تنجح أي تجربة لم تفد من هذا القانون . . أمريكا مثلاً ! !

2- الرق : ونحن هنا في ميدان النفس والمجتمعات ، وأمام مصاعب شتى . . فكيف عالج الإسلام الرق ؟

. . . إنك قد تجد (10) حنفيات تصب في حوض لا بالوعة به ! فإن أردت تفريغ الحوض . . وكنت حكيماً ! تحتم عليك أن تسرع إلى إقفال ما تستطيع من الحنفيات . . ثم حاولت التفريغ . . مع فتح بالوعات . . .

وهذا ما فعله الإسلام فقد سد كل المنابع إلا واحدة لم يكن في مستطاعه قفلها . . . ومع ذلك فحين شرع لها قال : « . . . إما منّاً بعد ، وإما فداء ! » ثم أخذ يفرغ منه - باستعمال جزء من موارد الدولة للتحرير . . وفتح المنافذ على أوسعها . . الكفارات و . . و الخ . . . فماذا يريدون من الإسلام ؟

. . . . ونذكر أن تجربة التحرير بالحبر على الورق مهزلة . . . لأن القضية تتصل أيضاً بإعداد النفوس ونفوس الأرقاء أنفسهم (وقد سبقت لنا - رسالة ماركس) ونذكر بالمكاتبة في الإسلام . . .

- هذه الدولة الفكرية . . ما تكييفها القانوني أو الدستوري ؟

إن الحاكمية في هذه النظرية لله - وهي من هنا قد تشبه النظريات التيوقراطية - ولكن الشعب هو المستخلف - أي الديمقراطية - وهو يقدم عنه «أولي الأمر» . . وذلك بمبايعته - أشبه بنظرية العقد ، إلا أنه هنا واقعي - وهي دولة مقيدة بالدستور والقانون . . . مع المراقبة الشعبية والشورى وضمانة حقوق وحريات الأفراد (التي شرحها الإسلام أدق شرح !) ثم إنها دولة تزاول دكتاتوريتها ضد أعداء الشعب ، وتشمل بعنايتها كل الإخوة المتحابين . . الخ .

. . وهكذا - يا سيدي - تتكرر قصة الفيل والعميان!!!

ثم لا ننسى أن الحكومة آلة اجتماعية . . وأي مجتمع هذا الذي يملك هذه الآلة؟ إنه المجتمع الذي يؤمن برقابة الله وكرامة الفرد وإنسانيته وهناك طائفة الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر . . الخ

فماذا تريدون من الإسلام؟!

أما إن أردنا أن نسأل عن العلاقات الخارجية فالصفحات البيضاء نجد . . . فالإسلام الواقعي يعرف أنه قد تستمر الحرب بين البشر . . ولو لفترة (على الرغم من أنه جاء بالوسيلة التي تقضي عليها ، إذ إنَّه بدأ من البداية فليس عبثاً أن يلعب الأطفال لعب الحرب في جميع أنحاء عالمنا المعاصر!!!) فلم يغفلها ، فأمر بعدم العدوان على الغير . . وحتى لو تبدت منه الخيانة فلا بد من إنذارهم ولا بأس أن نذكر ببيرل هاربور! .

. . . وحتى في حالة الحرب احترم القيم الإنسانية ولا يمكن أن توصف حرب من الحروب المعاصرة بأنها إسلامية لأنه لا يقتل في الحرب الإسلامية إلا من خرج للقتال!

. . . مع أخذه بالرحمة ، وقد قال عمر - حين عزل خالداً - «إن في سيفه لَرَهَقَة . . على الأعداء!!!» . . ونظم معاملة الأسرى ومن قبل قد نظم المعاهدات والتعايش الخ . . .

- وهنا قد يقال . . . وما للمسلمين قدموا أيديهم إلى من حولهم؟ . . وتأتي الإجابة واضحة جلية . . **إن بعض تلك الحروب ليست من الإسلام في شيء** - وإن كانت قد أثرت فيها البذرة التي زرعت . . ويكفينا شهادة المبشرين أنفسهم!!

أما ما تم تحت إشراف الفكر الإسلامي فقد كانت تهدف إلى تبليغ الدعوة للمستضعفين ، وقد كانت الظروف آنئذ تحتم الخروج إلى الحدود - بعد مخاطبة أولي الأمر في تلك البلاد . . . - حتى يأذنوا لنا بحق الدعوة ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِي ٱلدِّينِ﴾ ! أما إن لم يأذنوا فالحرب لأن المُسْتَغلين يجب أن تزاول عليهم الدكتاتورية! . .

وفي عالمنا المعاصر يغني التقدم في وسائل المواصلات والاتصالات .. وهو ما صغر العالم! - ووفر ما يغني عن الخروج إلى الحدود؛ فالإذاعة والصحف والمراكز الثقافية والمعارض.. مع الدعوة الخ..

وهنا نعرج على تنظيم الإسلام للجنسية فهناك دار الإسلام وغيرها، ولا يفرق بين من في دار الإسلام في أي من الحقوق والحريات.. وإن كانت «صفة» المسلم (وهي بمثابة التبعية للحزب الحاكم) قد تفرض على صاحبها الدفاع في حالة الهجوم الخارجي، ويعفى غيره.. على أن يسهم بطريقة أخرى!

.. وهي من حيث التنظيم أدق ما يمكن أن تقام عليه الجنسية، فمن كان في دار الاستجابة للفكرة، يجب أن ينعم بجنسيتها.. متى كان أبوه حاملاً جنسيتها، وإذا ما خرج.. بقصد الابتعاد سقطت الجنسية ليكسب جنسية البلد الأخرى!..

والمستأمن - أي الأجنبي - في إمكانه أن يقيم ويتمتع بكل الحقوق والحريات.. إلا السياسية!

وقبل أن ننهي هذا الموضوع يجب أن نشير إلى أن السلطات في الدولة الإسلامية أربعة: السلطة التشريعية والتنفيذية والقضائية والاقتصادية (بيت المال) بالإضافة للرقابة الشعبية المستمرة!

وما دمنا قد ذكرنا الأنظمة التي تلتزمها هذه السلطات في تشريعاتها وتنفيذها فإنه للتتمة نوضح منهج القوانين عندنا.. لا سيما قانون العقوبات...

ويراعي هذا القانون ما يلي:

1) مصلحة المجتمع - الردع..

2) نفسية المجني عليه وأهله - التعويض الكامل إلى حد ما..

3) ظروف وبيئة الجاني - للتخفيف.

... وهذه متروك لنا مراعاتها في التعازير، أما في الحدود.. فمنها نقتبس، فهناك عقوبات خاصة بالتنظيم المالي.. وما يتعلق بالسرقة، وهناك ما يتعلق بالتنظيم

الأسري وقد يتدخل ظرف عدم الزواج! . . ثم في القتل فإن نفسية المجني عليهم تراعى! وكذلك هناك بخصوص الخارجين على الجماعة عقوبة - مع تخفيفها في حالة الرجوع!

والحقيقة أن أهم ما يبدو على المنهج الإسلامي أنه لا يعطل ولا يعقد المذنبين بإدخالهم السجون.

وإذا كان لا بد فإصلاحيات - يباح فيها الزواج والعمل الخ . .

أما في التقنين المدني . . فالأصل رضائية العقود - مع قليل من الشكلية قد تنعدم لدى القانون التجاري! . .

يا سيدي المحترم ،

إذا كانت هذه الفكرة التي نحمل . . وهذا الطريق الذي سنسلك فهل سننجح؟ . . وهل سنقدم لبلادنا الإنقاذ . . وللإنسانية؟ . . وما هي تنمية هذه الآراء التي ندين بها . . أو ما هو مصيرها - من حيث النجاح؟

إن نجاح دعوة ما - كما أوضحنا - مرهون بقدر معين من التحدي، وإن الأديان تحمل هذا التحدي معها، وذلك إذا عمقنا الموضوع . . في ميدان الدراسات النفسية وعلمنا أن النفس البشرية يلزمها قدر معين من التوتر لكي توجد فيها الفعالية والحيوية والحركة، والتوتر في بدايته هو عبارة عن «مشاعر غامضة بالقلق وعدم الرضاء والحصر، دون إشارة واضحة إلى جانب معين في مجال السلوك» ما يلبث أن يترك هذه الصورة - التي يتخذها عند الباحثين كرتيشي وكريتشفلد - ليصبح أقرب إلى تعريف العلامة فونت «الشعور بالحصر، والشعور العام باختلال الاتزان، والاستعداد لتغيير السلوك لمواجهة عامل يتهددنا في موقفنا». . ولابد أن يؤدي بعد ذلك إلى أن «ينتج عنه حدوث تغيير في الاتجاه الذي يؤدي إلى خفض التوتر بتحقيق توازن جديد بين القوى . . .».

. . وعلى العموم فالتحديات الخارجية قد وجدت عندنا، كما أننا سنتبنّى نظرية دينية. . . تحمل معها تحدياتها. . وكل ذلك سيدفع وسيوجد الحركية إذن. . .

أضف إلى كل ذلك مدى إقناع فكرتنا وتناسقها وشمولها وإشباعها لمختلف جوانب النفس البشرية الخ. . .

ثم إن الوسط المثقف أقل الأوساط انطباعاً بالتغييرات الكبرى (ولعل عصرنا هذا يمر بإحدى التغيرات الكبرى. . بل لعله بأكبرها - وهو الارتفاع إلى مستوى الحضارة العالمية!)، ولذلك فإن الانتقال من حالة (الـ yin) إلى حالة (الـ yang) من أشق الأمور عليه، لأن الخط الذي ترسمه عبقرية ما في التاريخ قد ينقلب إلى حفرة من الرمال تغوص فيها! أما الرجل الفطري «البسيط العقل» فهو أحياناً أقدر على اجتياز هذا المنعطف، فيما لو نجح هو في هذا الاجتياز.

(ولعل هذا ما يفسر انتشار الفكر الماركسي في روسيا حيث الرجل البسيط، على عكس ما كان يتوقع! الأستاذ ماركس لفكرته!).

وربما لم تكن هذه هي المرة الأولى التي تقرر فيها الإنسانية مصيرها فيما بين نهر النيل إلى نهر الكانج بالهند. . . فإن آثارها الأولى في التاريخ قد ظهرت هناك، حيث عبرت المرحلة الأولى من العصر الفردوسي! إلى العصر الاقتصادي، إبان الثورة الزراعية في العصر الحجري الجديد، تلك الثورة التي أتاحت للإنسانية أن تحل الاستحالة الأولى في طريق السعي إلى مصيرها منذ سبعة آلاف عام.

. . . وهكذا تمنح نظريتنا في تتمتها الثقة اللازمة لصانعي مصير العالم هذا، وهو العنصر الذي قد كانت تملكه الشيوعية. . لو كانت هناك من حتمية في القوى المنتجة - وهو ما يبدو أنه غير موجود!!!

وما دمنا قد وصلنا إلى هذه النقطة. . فلنثر قضية «**غائية التاريخ**» وبها نختم هذه الرسالة التي يبدو أنها تجاوزت الحد المرسوم لها.

. . . ولعلها - من يدري - ليست من قبيل المصادفات أن تتكامل - على ما يبدو لي الآن - الآراء المشروحة في هذه الرسالة وهكذا يتلاقى «**الاطراد**» مع الأخير. .

ولعل نقطة هذا التلاقي أو التقاطع هي ما يتصل بالمشيئة الإلهية أو غائية التاريخ – هذه الغائية التي تبدو متضمنة في رأي ماركس . . مما يتعارض مع رأيه الجدلي ، تلك الغائية التي تحتم علينا أحياناً أن نقلب الطريقة التاريخية التي نتتبعها حينما ندرس الأسباب والمسببات . . عند نظرنا للتاريخ من جانبه النفسي الاجتماعي :

1- فلا نعود بالظواهر للماضي بل ننظر إلى ما تهدف إليه في المستقبل ، وهكذا ننظر إلى الأمور في نهايتها بدلاً من بدايتها ، ويزداد هذا صحة كلما ازداد تعقد الحوادث وتعدى الميدان الفردي أو المحلي أو القومي ، فهناك بعض الحوادث التاريخية التي تتعدى نطاق التفسير العقلي البسيط الذي يعتمد على المعطى الإنساني المباشر والمصلحة المادية أو السياسة الخ . .

إنها تبدو وكأنها جزء من نظام يعجز العقل الديكارتي عن التنبُّؤ به ، وإن كان لا يعجز عن إدراك كنهِه .

فقديماً . . يحار الإنسان حين يقف أمام تصرفات تيمور لنك ، فأي دراسة نفسية اجتماعية لهذه الشخصية كانت توحي أنه سيتجه إلى أرض جده (جنكيزخان) أو أنه سينزل إلى الجنوب ، حيث اتجه (بابر) أو أنه يهاجم الخلافة ! أما أن يتجه صوب الشمال . . ليمنع (بايزيد) من غزو أوروبا فلا أعتقد أنه في الحساب ؟ ! ومع ذلك ، كان من الضروري – في الدراسة الغائية – أن يتم ذلك ، حتى ينبعث الوعي المتفتح آنئذ في أوروبا وذلك حتى تؤدى رسالة «ديمومة» مسيرة التاريخ البشري – وهو الأمر الذي يبدو أنه من المهم أن تتأكد منه . . لا ما تعلمه مدارسنا من حيث المكان الذي بدأ منه التاريخ والتي عجز العالم الإسلامي حينئذ عن مواصلتِه . . ذلك العجز . شل حتى الفكر ، بدرجة أنه يبدو أن العلم نفسه يفقد معناه في المنطقة الفارغة ! ولعل ذلك يرجع لكون الإنسان يفقد تعطشه للمعرفة والعمل إذا افتقد الاندفاع الذي يبعثه فيه الإيمان !

وحديثاً : موقف الرئيس جمال وقضية بور سعيد ووحدة مصر وسوريا الخ . .

فإن الإنسان ليتساءل ما الذي جعل الرئيس جمال [وهو الذي لطم دلاس تلك اللطمة القاسية . . وبمرارة كانت تبدو في خطابه ! . . . ونذكر تصريحه للصحفي الهندي أخيراً من أنه يرد السيئة بعشرة] . . . لا يذهب بردود الأفعال إلى نهايتها . . ويأتي بالمتطوعين؟ . . . لا سيما وأن الشعوب كانت تصيح مطالبة بذلك؟ . . .

. . . إن المشيئة الإلهية التي تريد إنقاذ المنطقة - بل والعالم - من الحرب ، ولا شك أن ذلك مر عن طريق فكر الرئيس ، وقد بدأ ذلك في إحدى خطبه فيما بعد . وفعلاً لقد أنقذ جمال عبد الناصر السلام العالمي بالفعل - لا بالقول ، مع رمي الحطب للنار . . بالمساهمة في الحرب الباردة ومسابقات الذرة ، كما يفعل الكثيرون ممن يتشدقون عن السلام .

وفي قضية بور سعيد أيضاً . . يتساءل الإنسان ما الذي أوحى لبريطانيا - وهي التي أبادت شعوباً . . البوير مثلاً - بعدم إلقاء القنابل على الأهالي؟ ! . . طبعاً ، ليس إنذار بولجانين ، لأنه لم يأت إلا في اليوم التاسع . . بعد أن فعل ما كانت بريطانيا قد تفعله من تقتيلِ الآلاف في المجر . .

. . **إن بور سعيد** من الوجهة الحربية ، قد لا تكون ذلك النصر ولكنها في **ميدان التاريخ الإنساني ضرورة - كضرورة معركة (فالي) . . أو معركة (ذي قار)** التي قال عنها الرسول ﷺ «ذلك يوم لم فيه الله شمل العرب» أو ما معناه !

ووحدة مصر وسوريا إن الكثيرين قد حاولوا أن يتحدثوا عنها من الوجهة الاقتصادية والاستراتيجية الخ . .

. . . وأستطيع أن أؤكد - ودون انتقاض من أحد - وقد اطلعت على أغلب تلك الأبحاث أنها قابلة للأضعاف؟ ولكن النقطة التي يبدو أنها تستهدفها المشيئة . . . والتي قد تلفتنا لأداء رسالة ضخمة . . هي ما أحب أن ألفت إليه هنا . . .

إن وحدة مصر وسوريا تعني في الميدان الغائي . . . والحضاري أن - آسيا تعانق أفريقيا ! . .

. . ولعل «المراصد الفكرية الاستعمارية» ترصد مثل هذا التفكير وتخشاه . . حتى إنها حاولت أن تمنع أية دراسة في هذا الموضوع أن تنزل في مكان ما!

ولعل تخطيطات قديمة إلى حدّ ما تهدف إلى قطع مثل هذا التعانق . . وتتبدى في تقسيم الهند - والفضل للسيد محمد علي جناح! - وإثارة الخلاف حول كشمير - وتقسيم الأمة العربية وإثارة قضية فلسطين، ثم معاهدة الرهو لمدة عشرين سنة في ليبيا!!

والجمهورية العربية المتحدة أحسن استراتيجية حضارية تواجه أولئك المخربين! . . . إن الجمهورية العربية المتحدة ستحضر كل مؤتمر أفريقي! وستحضر كل مؤتمر آسيوي - وإن كان يبدو أن الاستعمار الغربي قد يئس من هنا، وأرجو ألا تعقد هذه المؤتمرات (أي المؤتمرات الآسيوية) تحت إشراف غيرهم[1]! . .

. . وهكذا سيفرض **الخط الأفقي ويقطع كل محاولة لخط رأسي** وهكذا فمصير أي محاولة للقضاء على منطقة الحياد والإنقاذ مقضي عليها بالفشل حتماً . . إن شاء الله!

وهذه الدراسة هي التي تملي علينا أن نهتم **بالوحدة العربية والكومنولث الإسلامي** - وهناك دراسة قيمة للمفكر مالك بن نبي عن مسببات أخرى في هذا الموضوع - **متوافقين في كل ذلك مع الهند العظيمة المتدينة المتسامحة . . .**

وهكذا ستجد فكرتنا المخطط الجغرافي اللازم لها . . ذلك المخطط الذي يبدو أن طبيعة العصر قد أخذت تفرضه - ولعله خطوة نحو المخطط الجغرافي اللازم لها . . ذلك المخطط الذي يبدو أن طبيعة العصر قد أخذت تفرضه - ولعله خطوة نحو المخطط العالمي - وهكذا لعل مستر توينبي سيطمئن لإنقاذ الإنسانية . .

وإذا كانت هذه هي نظرتنا فإنها ستملي الحلول لكل «المعوقات» فكشمير مثلاً من الممكن أن تدار لصالح البلدين . . ويبدو أنه ليس هناك من مانع يمنع اتحادهما سيما ونحن نريد أن نخلق الفرد المتعايش المسالم! الخ . .

---

(1) إشارة إلى مشروع «أمرو - آسيا» أي أمريكا - آسيا؟!

ولا بأس أنْ ندخلَ عاملاً آخر في الدراسة الغائية، وإن كان هو نفسه ينفع كمعزز قوي قائم بذاته لإنجاح فكرتنا، وهو «عامل الاستمرار والتغيير»...

وهو بمثابة قانون اجتماعي، سيكون مراعى لدى فكرتنا، ولعلنا بهذا نفسه نستطيع أن نفسر انطلاقة الإسلام الأولى نفسها!

وهكذا سنكون وسطاً للأمم جميعاً.. **وسطاً في النظام.. وسطاً في المكان.. وسطاً في الزمان..** بين عهد الشعوب والقوميات إلى الإنسان المتعارف - المتعايش.. كما بدا...

يا سيدي المحترم،

أقف هنا لأشارككم الشعور بثقل العبء الذي تأخذونه على عاتقكم.. حين تدرسون هذا الإسلام وتحاولون التعرف إليه لا لكي تنتقصوهُ ولكن على طريقة أنكم - يا سيدي - في حاجة لكي تجيبوا عن التساؤلات الخاصة بمذهبكم، وفي حاجة لكي تفسروا الكثير من الغرائب التي يقدمها الإسلام.. كدقة أنظمته وخروجها عن النسبة الاجتماعية و.. والخ...

ولكن،

يا سيدي الفاضل،

لماذا لا أفترضُ أنكم قد لا تكونون إلا باحثين عن الحقيقة.. وقد بدأت بهذه الفرضية؟ إذن فليكن أملي أن تجدوا في هذا الإسلام نوراً وليكن أملي أن يتوحد «الإطار» وحينئذ ستنظرون للعالم الإسلامي - ومنطقة الحياد الإيجابي عامة - على أنها بمثابة سفينة نوح الجديدة، وستعرفون أن السيد الرئيس جمال عبد الناصر والسيد نهر و.. و.. الخ ليسوا برجوازيين بل هم طليعة المجتمع العالمي الجديد المتحاب المتعارف...

يا سيدي المحترم ،

قد يكون في هذه الرسالة ما يبدو انه تجاوز البحث العلمي الهادي . . وهو فعلاً كذلك ، وذلك لان الأسلوب الفكري يجب أن يجمع إلى الإقناع التوتر (الأخذ بقوة) أيضاً «ادع إلى سبيل ربك بالحكمة - العلم والإقناع - والموعظة الحسنة - التوتر (الأخذ بقوة) - وجادلهم بالتي هي أحسن». وقد يكون التفصيل أحياناً والإجمال أخرى ، والتشتت مع وجود الوحدة بالإضافة إلى الإيجاز المستحب في مثل هذه المواقف مما يتجاوز دون شك حدود استطاعتي - وهذا ما أدهشني توافره في القرآن . . بدون تجاوز - فمعذرة لأي تقصير ، وشكراً لله إن أصبت بعض التوفيق .

يا سيدي المحترم ،

إن هذا البسيط لينتظر أن يصله ردكم ، فهو دون شك سيكون ذا فائدة قصوى .

وقد شجعني ما لقيه عامل البريد البسيط في بريطانيا من عنايتكم أن أكتب وأنتظر الرد ، ولعل ذلك لأنكم - كما علمت - من البسطاء .

وأملي أن نزيد رابطة الإسلام إلى رابطة البساطة هذه ، وإلا فهي تكفينا . .

«فطوبى للبسطاء . فإن لهم ملكوت الله» . .

«طوبى لصانعي السلام . . لأنهم أبناء الله يدعون» . . .

إبراهيم بشير الغويل

رسالة إلى الرئيس

جمال عبد الناصر

القاهرة 1959 م

رسالة إلى الرئيس جمال عبد الناصر
القاهرة 1959 م

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين

سيادة الرئيس جمال عبد الناصر،

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته،

وبعد؛ فقد كان لكاتب هذه السطور شرف الاجتماع بكم ضمن وفد الشباب الليبي وقد كان للكلمات التي تحدثتم بها إلى هؤلاء الشباب أثرها في إشعار كل منهم – وبالأدق في زيادة الإشعار. . والتحديد – بضرورة أن يسهم بقدر ما يستطيع في ما نحن – العرب والمسلمين – بصدده من القيام بمسؤوليتنا التاريخية إزاء أنفسنا والإنسانية. وهذا – يا سيدي – أول سبب يدعو إلى ضرورة مكاتبتكم. . والأخذ من وقتكم الثمين، ثم إنه – يا سيدي – قد سعينا إليكم يومها ونحن نعتزم أن نستفسر ونستوضح عن بعض المشكلات والمسائل. . معبرين عن خواطرنا إزاءها ومنتظرين منكم الإرشاد والتوجيه، إلا أنه نظراً لمشاغلكم لم نستطع أن نحصل من وقتكم على ما يتيح لنا ذلك. وهذا سبب ثان لضرورة هذه المكاتبة، وثالث – يا سيدي – هو أن كاتب هذه السطور ينهي هذه الأيام دراسته. . وبالتالي إقامته بمصر العزيزة، وهو بعد ذلك سيأخذ طريقه في معترك الحياة، وهو يريد أن يعرض بعض خواطره في تلك المشكلات والمسائل حتى يستفيد طريقه فيسهم – بحق – في بناء أمته ولا يهدمها من حيث لا يحتسب!

يا سيادة الرئيس ،

الجزائر وفلسطين وقضية العراق . . وباختصار المعركة مع الاستعمار والصهيونية والشيوعية ، والتجزئة والفقر والجهل والمرض . . الخ ، والديمقراطية الاشتراكية التعاونية والاتحاد القومي ، والقومية العربية والأمة الإسلامية وخط طنجة - جاكرتا (الأفريقية - الآسيوية) والتعايش السلمي والحياد الإيجابي والمرحلة العالمية الخ . كل هذه المشكلات وتلك المسائل ما هي تصورات أمثال هذا الشاب البسيط لها ، وهل هي قد استوضحت وعيكم وفهمت توجيهاتكم وهل الخ .

ولكي لا أشتت الموضوع شُعَباً - يا سيدي - فإنه يحسن أن نكوّنه في وحدة . والعقل ، كما هو مقرر ، يحب الشمول . . ولكنه يحب أيضاً التناسق . . ومن الممكن أن نجد ذلك في أن جُماع تلك المشكلات والمسائل هي أنها ذات شقين ولكلّ شقّ وجهان ، والشقان هما المشكلات العضوية (أي التي تتصل بالهيكل الداخلي) ومشكلات الاتجاه (أي التي تتصل بالإشعاعات الخارجية . . على الحدود) . ووجها كل شق هما المشكلة وعلاجها ، فالاستعمار والصهيونية والشيوعية تمثل شق مشكلات الاتجاه بوجهها الأول أو الهجومي . . أو السلبي ، والقومية العربية والأمة الإسلامية وخط طنجة - جاكارتا والتعايش والحياد والسلام تمثل مشكلات الاتجاه بوجهها الثاني أو الدفاعي . . أو الإيجابي . والتجزئة والفقر والجهل والمرض ، . . الخ . تمثل المشكلات العضوية في وجهها السلبي ، بينما تمثل الديمقراطية الاشتراكية التعاونية والاتحاد القومي المشكلات العضوية بوجهها الإيجابي - مع ملاحظة أن هذا التقسيم هو بمثابة تصنيف عملي لتسهيل البحث ، بينما المشاكل متشابكة مترابطة متلاقية الخ .

ونستطيع أن نضع هذه المشكلات وتلك المسائل ، باعتبارها تحديات واستجابات . . وتتضمن الإجابة نظرية Doctrine وطريقة method وحركية Action ثم إشعاعات الخ .

وفعلاً لقد كان الاستعمار والصهيونية والشيوعية – أخيراً – بمثابة التحديات، التي حددت لنا استجابتنا . . وعمقتها . . . مما قد يجعلها تسع الإنسانية كلها وستشع عليها ، ولكن بعد أن تتخذ لها مرتكزاً ومنطلقاً . . وهي خلال هذا ستواجه المشكلات العضوية التي ستزيد استجابتنا عمقاً وغوراً في الإنسانيات . . مما يتيح لها فرصة أن تقدم كل ما يساعد على بناء الحياة، مُتّخذة طريقاً وعراً هو البحث عن الحقيقة ، مُسْتلْزمة ضبطاً للنفس ووحدة في المجتمع في شكل اتحاد قومي الخ .

يا سيدي ،

وإذا كانت هذه هي خطة البحث التي يمكن أن تبحث بها هذه المشكلات وتلك المسائل فإنه يحسن أن نعرف المنهج أو الأسلوب الذي نستطيع أن نبحث به مشكلاتنا ونقرر به مسائلنا .

ويا سيدي ، أعتقد إنه من الممكن أن نراه فيما يلي :

1– لا يمكننا معرفة اتجاه الظروف ما لم ندرك الحقيقة عارية من كل نزعة عاطفية ، وذلك بدل ما نحن عليه – للأسف – من كون أحكامنا ليست أكثر الأحيان سوى معتقدات عاطفية ، فنحن لا نحكم بل إنما نحن نكره أو نحب .

2– ليست المشكلة في إطلاع الشعب على ما يعرف مسبقاً ، بل المشكلة – كل المشكلة – في تزويده بالطريقة الفعالة لتحقيق مواهبه ومعارفه بشكل اجتماعي ملموس ، وليست المشكلة في التحدث عن حقوق الشعب وعن حريته ، فالشعب يعرف هذه الأغنية . . بل المشكلة – كل المشكلة – في تحديد الوسائل للحصول على هذه الحرية وتلك الحقوق . . وما هذه الوسائل سوى التعبير عن واجباته! وذلك بفضل الصلة التي لا تنفصم بين كل من الواجب والحق ، لأن الواقع لا يفصل بينهما بل يوحّد بينهما بواسطة جدلية أساسية يقوم عليها التاريخ . إن العلاقة بين الواجب والحق صحيحة تفسر نشأة الحق نفسه ، ولا يمكن تصور نشأة الحق مستقلاً عنه . . والواجب هو الفعل الأول في التاريخ!

إن السياسة التي لا تذكرْ الشعب بواجباته ليست سياسة حقة .. بل هي سياسة أسطورية! لأن المسألة ليست في تعليم الشعب كلمات يرددها بل في تدريبه على الطرق الفنية التي ينفذ بها.

ولا يغيب عن بالنا **أن الواجب يجب أن يتخطى الحق في كل تطور تصاعدي لأنه يجب الاعتماد على فائض الإنتاج** .. حسب علم الاقتصاد السياسي، وهو كذلك تطبيق لنظرية كارنو في الحرارة الديناميكية، إذ يقول لكي تظهر الطاقة يجب أن يسبقها ادخار للطاقة يؤدي إلى هبوط في مستواها!

3- إن نشاطنا السياسي - أو العلمي - يجب أن يقوم على مبدأين كي يكون جزءاً من علم الاجتماع التطبيقي وليس مجرد دعاية:

أ - اتباع سياسة تتفق ووسائلنا.

ب - الحصول على وسائل سياستنا.

وهكذا - يا سيدي - **تكون دراسة الواقع بفكر موضوعي، والتعبير عن ذلك في شكل تخطيط علمي، وإعقابه بأعمال**... هو الطريق إلى النجاح، وهذه الجدلية - يا سيدي (أقصد: واقع - فكر - علم - عمل - نجاح) **هي وليدة تطبيقها! فمن النظر في الواقع وإعمال الفكر في ذلك والانتهاء إلى قانون علمي.**

- وهو هذه الجدلية - حاولنا أن نقيم عليها عملاً.. أملاً في النجاح...

والواقع الذي يدعو لإعمال الفكر والذي يكشف عن هذه الجدلية، هو «الخيبة» الملازمة لكثير من التصرفات.. سواء الشخصية أو العامة.. التي لم نراعها، **فكل تصرف فاشل لا يعدو أن يرجع فشله لأحد ثلاثة أسباب:**

1. **عدم الالتفات للواقع، أو لانقطاع الصلة بين الواقع والفكر**.. وذلك بتدخل عازل عاطفي!
2. **تخطي حلقة الفكر في تلك الجدلية، وذلك بأن نتحدث عن الواقع قبل أن نفكر فيه!** أو بأن نكبت أهل الفكر!
3. **وقد تعود القضية إلى بطولتنا - ردود أفعالنا، فنفعل قبل أن نفكر ونهد!**

الصورة الأولى:

- العاطفية! ولا يخلو أكابر مفكرينا من هذا العيب، ونستطيع أن نجد في الشيخ محمد عبده مثلاً لهذا. . لولا أنه من الممكن أن ينظر له باعتباره من المفكرين الخياليين، الذين ينسون الواقع وينعزلون في أمور مثالية. . الإسلام مثلاً، وأيام زمان الخ!.

- ولقد أسف المرحوم الشيخ ابن باديس في مقال ظهر في عام 1934م أيام النزاع بين آل سعود وبين الإمام يحيى على إراقة دماء المسلمين. . وكان لومه موجهاً لكل من الفريقين المتنازعين بدون أي تمييز. . فكأن ابن باديس لم يدرك حقيقة هذا الخلاف الذي نشأ بين النهضة الروحية والمادية الإسلامية على يد الفكر الوهابي آنئذ وبين قوى الانحطاط التي كان يمثلها الإمام يحيى بمساعدة الدول الاستعمارية.

- وقد أهمل هذا الحكم الناحية المهمة من المأساة ألا وهي سرعة المناورة التي قام بها الجيش السعودي الفتي لإحباط المشروع الاستعماري في أربع وعشرين ساعة بالاستيلاء على الحديدة، كما أنه لم يهتم بموقف موسوليني الذي كان يسعده احتلال اليمن «لحماية الإسلام»!.

وعلى الرغم أن قضية فلسطين قد تنفع كموضوع صالح للإبانة عن التهريج السياسي غير المبني على فكر . . . وذلك من حيث كثرة الثرثرة حولها والاحتجاجات بمناسبة اغتصاب حقنا!. . تلك الثرثرة والاحتجاجات التي غابت في لحظة الحاجة إليها لأمر في نفس يعقوب!. . وذلك حينما أخليت حيفا مفاجأة على يد «الإنجليز» الذين كانوا على بينة مما يفعلون، فتركوا المدينة فجأة دون تسليمها لسلطات منظمة تقوم بحماية المدنيين في فلسطين. ولقد قال برناردشو قبل أيام من وقوع الحادث «بأنه يجب ترك العرب واليهود يحلون الخلاف بينهم بواسطة السلاح»!. ولا شك أن هذا رأي رجل مطلع قد فكر قبل إصدار مثل هذا الرأي. ولقد شل هذا الإخلاء جميع أعضاء الجامعة العربية. . ولم يحتجوا على إخلاء حيفا

في ظروف لا يستفيد منها سوى الإسرائيليين لوجود قواتهم في المدينة المتنازع عليها (وهذا طرف واضح من المأساة، فنحن نتكلم وغيرنا يعمل!!!).

كما أنهم لم يستبقوا الحوادث بإيجاد وضع قانوني وذلك بإعلان الجمهورية الفلسطينية، ويدل عدم قيامهم على عجز سياسي تام.

وإنما الجانب الذي يهمنا من هذه المأساة أكثر ليس هو الثرثرة - مع السكوت في الموعد المناسب للكلام! - ولا عدم التفكير! بل نحب أن نكشف على جانب العاطفية في التفكير وعزله للوقائع فإنهم.. «لم يقدروا تفوق الإسرائيليين السياسي والاقتصادي والفكري **والعددي** حق قدره.. ولم يكونوا يدركون هذا التفوق بالرغم من أنه كان **يكفيهم العد على الأصابع!** ليتبين لهم ذلك. فلقد كان من البديهي أن **الصهيونيين يملكون فرقاً مجندة من ثلاثمائة ألف محارب**[1] بينما الدول العربية - ولا أقول الشعوب الإسلامية والتي استطاعت الدبلوماسية الأجنبية عزلها لحسن الحظ؟! - لا تكاد تستطيع تجنيد مائتي ألف رجل...

أما التفوق الدبلوماسي والاقتصادي والفني عند الإسرائيليين فلم يكن من الممكن مناقشة ذلك لوضع الإسلام الراهن!.

وهكذا - يا سيدي - جَنَت العاطفة علينا، **إذْ إنَّنا لو أدركنا الوقائع المعروضة سالفاً عارية لكان همنا إن قصرنا في العمل قبلاً** - وسنوضح سر التقصير في العمل.. إلى حد - **أن نفكر بواقعية**.. فإذا استطعنا أن نقنع ونحتج قانونياً كان بها، وإلا لكنا **ابتدرنا الأمر بإعلان جمهورية فلسطينية تعطينا فرصة للتفكر، إذ كانت الدول ستعترف بها، إذْ إنَّها هي التي اتخذت قرار التقسيم، وكان ذلك يحفظ العرب الذين بقوا في القسم اليهودي في أنفسهم وأموالهم**.. ريثما نستعد ويستعدون، وكنا نستطيع ألا نعترف نحن بإسرائيل وأن نقاطع الخ.

---

(1) «... أكثر نفيراً...».

وأحبّ أن ألاحظ هنا أنه ليس هذا الرأي الذي سأعرضه، لأن قضية فلسطين الآن قد اتخذت متجهاً آخر، وإنما هي أمثلة للاستدلال على مدى صحة الجدلية التي سنقيم عليها بحثنا لتلك القضايا والمشكلات.

الصورة الثانية: التهريج السياسي

ولقد كان من السهل الانخداع وذلك لأن الظواهر كانت تساعد على هذا الانخداع. فإذا بالباكستان تفوز باستقلالها، **وإذا بأندونيسيا تحظى بحريتها تقريباً، وإذا بأبخرة! الاستقلال (السهل) الذي لا يتطلب كبير جهد يأخذ بالألباب...** وهذا ضرب من التخدير الكلي حال دون إدراك أن هذه البلاد التي (تحررت) لم تصل إلى ذلك عن طريق مبدأ يحررها بل لأنها كانت تقوم على تخوم الشيوعية، ونستطيع أن نتصور ضعف مثل هذا الاستقلال طالما أن البلاد المشار إليها لا تزال قابلة للاستعمار، وطالما أنها لم تدرك وضعها على حقيقته. ولربما تغيرت الاستراتيجية بين عشية وضحاها في العالم. **رأينا ذلك في أندونيسيا حين غيرت الملكة ولهلمينا موقفها عدة مرات حسب تغير الظروف**، فإذاً كان لابد من قهر اليابان منحت الملكة الاستقلال.. حتى إذا ما قهرت اليابان أرسلت الملكة فرقة لانتشال الزعماء الوطنيين من مضاجعهم والقضاء على الجمهورية العابرة!.. فإذا ما وصل ماوتس تونج إلى كنتون غيرت الملكة نفسها من جديد سياستها في جاوة!

[يؤكد هذه النظرة بحث عن أندونيسيا نشرته جريدة باريسية منذ أمد بعيد.

وهناك ما يقوله (مر برو مبرجيه) عن الوضع الجديد في أندونيسيا.. طبعاً منذ ذلك الأمد: مع ذلك يبتسم الهولنديون الموجودون هذا المساء هنا آسفين، فقد أضاعوا كل شي في الظاهر ومع ذلك يمكنهم استعادة كل شئ من جديد!].

أما الوضع في الباكستان فيبدو لنا مضطرباً إذا نظرنا إليه عن قرب، **ويبدو أن مستر تشرشل أراد الوصول إلى ثلاثة أهداف في الهند..** وقد وصل إليها فعلاً!.

أراد قبل كل شيء حرمان روسيا من سلاح قوي لدعايتها! فما عسى يكون وضع الهند المستعمرة بجانب الصين الشيوعية على حدودها في الحرب الثالثة (سنة 1947م. سنة توقع حرب!)؟

وهكذا نجح «الثعلب الكهل» بإقامة منطقة أمان في شبه الجزيرة الهندية ضد الشيوعية.

ويبدو أنه خلق، من ناحية أخرى، العداوة بين الباكستان والهند، تلك العداوة التي ستفصل الإسلام عن الشعب الهندي من ناحية وتحول دون تكوين اتحاد هندي من ناحية ثانية.

ولقد جهد في توسيع شقة الخلاف بين المسلمين وبين باقي الهنود وذلك للتفريق بينهما فكان أن سالت دماء ملايين الضحايا التي سفكت على مذبح هذا التحرير الغريب! وهكذا وجدت عقدة شبيهة بعقدة (الحروب الصليبية!).

ويبدو أن شعوب أفريقيا الشمالية نفسها كانت لا تستطيع التحرر من الاستعمار إلا بفضل ظروف عالمية مشابهة، وإن كان كون الاستعمار الفرنسي لا يحرر الشعوب المستعمرة بل يفقد مستعمراته بالرغم عنه - ذلك هو مصيره - ردود الأفعال في تونس ومراكش.. وأخيراً الجزائر!.

وهكذا بدل أن نفهم أن التحرير الحق هو تهيئة أسباب تهيئة علمية.. إذا بنا نقع في أسلوب خاطئ إذا قام وحده.. وهو العمل - وبالأدق.. العمل الأهوج!.

الصورة الثالثة: ردود الأفعال!

في هذه الصورة نناقش افتقاد الصلة بين العمل والتمهيد العلمي المبني على فكر وواقعية، وكل فعل حقيقي إنما يقوم على اتصال مباشر بالفكر، وكل فقدان لهذا الاتصال يدل على فعل أعمى غير منسجم هو ليس سوى جهد لا داعي له!.. فإذا ما فقد الفكر أصبح الفعل ناقصاً ومستحيلاً واندفع الإنسان في تقدير ذاتي للحوادث يسيء إلى طبيعة هذه الحوادث وأهميتها، وذلك إما بالتعظيم من شأنها أو التقليل من هذا الشأن.

نرى هذين الضربين من الإساءة في العالم الإسلامي الحديث في النزعة إلى القيام «بالأشياء الهينة»! التي تؤدي إلى العمل الأهوج! أو النزعة إلى وضع «استحالة» تشل الفعل!!!

ولا نفتقد الأمثال للأدلة فهي كثيرة، بل إنها تلخص تاريخ خيبة! حركاتنا جميعاً.. على الرغم مما فيها من بطولة! ولقد لخص غاندي بها تاريخنا فعلاً.. موضحاً أن العرب قد قاموا بأعظم البطولات في هذا القرن ولكنهم لم يصادفوا نجاحاً - والمقايسة هنا بالغير.... طبعاً!.

... ولا يفوتنا أن نلاحظ ما في هذا من شهادة للعقيدة التي تعطي الخلود! وإن كان لم يعد هذا الفعل السحري هو الذي يطبع الحركات الجديدة.. أو قادتها على وجه الدقة! وجلسة واحدة مع الأمير عبد الكريم - وهو آخر الأجيال من عهد البطولة التي بنتها العقيدة في الخلود... من أمثال عمر المختار والأمير عبد القادر الخ - وأخرى مع قادة الجزائر الآن تقنع الإنسان بفعل الخلود السحري عند الأول، والميل إلى رد الفعل عند الثاني، فالأول يكثر خلال حديثه.. بل وبدايته.. «.. الله... واليوم الآخر... الخ»! بينما حين زرنا يوماً ما مسؤولاً جزائرياً - ولا ندري إذا كان لا يزال محتفظاً بآرائه أم لا!!! - قال: «... إن ثورة الجزائر **ليست من عمل أي قائد حزبي** (وهذه إحدى المآسي في كفاحنا الحديث، وأقصد تخلف المرتكزات الحزبية عن المد الشعبي!.. والحقيقة أن ردود الأفعال نفسها لم تحدث إلا نتيجة أن الشعوب كرهت الثرثرة!... **والثرثرة لم تحدث إلا لأن القادة لا يفكرون.. وإذا فكروا لم يعرفوا الواقع!!!) وإنما هي رد فعل الإنسان الذي** ظلم في رزقه، رد فعل المسلم الذي اضطهد في عقيدته، رد فعل العربي الذي منع من لغته وقوميته...».

وثورة الجزائر ليس نجاحها في أن تحقق استقلال الجزائر الشكلي!.. وإنما هو في مواجهتها لقضايا الإنسان. ولا نريد أن نتشاءم في الدماء الزكية - دماء أمثال

مصطفى أبو العيد!!! - ولكننا لا نستطيع أن نحمل الآمال الكاذبة لأنفسنا - وأمامنا تونس ومراكش عبرة!.

وإذا ما أردنا أن نوسع نطاق ضرب الأمثال، فنستطيع أن نجد في فشل حركة (البوكزرس) في الصين مثلاً، وفي فشل الاشتراكيين النقابيين مثلاً آخر الخ، بينما نجد في نجاح حركة (ماو) و(ماركس) دليلاً لصالح **الارتباط بين العمل والعلم والفكر والواقع** - وكم كان الدكتور (صن يات صن) صادقاً ومحقاً حين قال «.. إنه من السهل أن نعمل، ولكن من الصعب أن نفكر!» وقد قال ماركس «**إنه لمن الخداع السهل أن تثير الشعب بغير مبالاة بعمله، وإن إيقاظ الآمال الخيالية لن يفضي يوماً إلى خلاص المظلومين.. بل يفضي على النقيض إلى ضياعهم وخذلانهم**، وإن ذهابك - مخاطباً وتيلنج - إلى صناع ألمانيا على غير قاعدة علمية ولا نظرية قائمة لا معنى له إلا أنه لعب فارغ بالدعاية.. مجرد من محاسبة الضمير ولا نتيجة له إلا خلق رسول داعية من جهة واجتماع قطيع من الحمير يستمع إليه فاغر الأفواه من جهة أخرى؟!».

وماركس بكلمته هذه لا يوضح سهولة العمل فحسب - كقول صن يات صن - بل ويصفه بأنه لعب فارغ لأنه لا يتصل بعلم ولا فكر ولا واقع، ولعل هذا يوضح مدى خطورة أولئك المهرجين الذين يقولون - وهذه الكلمة لأحد قادة المستقبل في قطر عربي ما!-: «... إن كانوا يريدون مناضلين.. فها نحن! أما إن أرادوا مفكرين - مع ارتخاءة غريبة!!! - فلا!» **مما يجعل تلك العبارة التي أطلقها أحد مفكري جماعة في بلد ما** - وقد كان النقاش يدور بواقعها عن أيهما أفضل «الجهاد»! أو «العلم» - **تحضر للأذهان «.. كأنه لا يجاهد إلا جاهل ولا يتعلم إلا جبان»!...** وطبعاً آثار فضل مناظرات مدارسنا واضح هنا!!!.

ولا يفوتنا أن نلاحظ أن ماركس يلقي الأضواء على جانب ثان من القضية وهو مدى الارتباط بين الشغب والتهريج والصنمية والجهل، والحق أنه يحق لنا أن نخشى من هذا الجانب أكثر **لما للغتنا من عذوبة وموسيقية** [هذه العذوبة والموسيقية

التي ليست قصراً علينا، فإن في صياغتها المبدعة وترتيلاتها الموسيقية (كما في القرآن مثلاً) لأمراً قد نجد فيه تعليلاً لأصل نشأة الموسيقى السيمفوني!.. والتي هي أحد مجهولات تاريخ الموسيقى! **[مما جعلها معبوداً أشبه بمعبود بيجماليون!**.

ولعل هذا يفسر ما يلحظه الإنسان في الكثير من الأحيان من تجمهر الجماهير المعجبة المصفقة لخطيب لا تفهمه!.

.. والمهم أن نلاحظ هذا الخطر الذي يتهددنا عن ارتباط هذا الشغب والصنمية والجاهلية وما أعجبها من صورة أن يربط القرآن هذه الثلاثة في النظر إليها[1].

والفشل أخيراً

والغريب - يا سيدي - أنه في مقابل هذا الاندفاع الغريب نجد نغمة المستحيل، وذلك تحت تعليلات غريبة:

- لا نستطيع عمل أي شيء!.. لأننا جاهلون.
- لا نستطيع عمل أي شيء.. لأننا فقراء.
- لا نستطيع عمل أي شيء.. لأننا مستعمرون.

و «هيا بنا فَلْنَهْبِطْ ولْنَقْضِ على أباطيلهم - كتاب الخلق من العهد القديم». ويكفي في ذلك مقابلة هذه الموانع بأصول المشكلة الحقيقيَّة:

- **«فنحن في الواقع جاهلون ولكن ماذا يفعل المتعلمون بعلمهم؟.. ماذا يفعلون بثقافتهم التي يجب أن تستخدم كوسيلة للقضاء على الأمية؟»**.. ولقد رأينا في فترة الاحتلال الألماني المتعلمين الإسرائيليين يهتمون بما يمكن للفئة المختارة أن تؤديه من خدمة نحو الشعب بالرغم من المراقبة الشديدة! ولا شك أن عدد المسلمين من صيادلة وأطباء وأساتذة الذين يفكرون بتثقيف الشعب في الجزائر قليل جداً. وإن

---

(1) ويبدو لنا أنها سنة في هذا الكون أن الحد الوسط هو السبيل، وأي تطرف لابد أن يقابله تطرف، فمتى حاولنا المستحيل عجزنا عن الممكن، ومتى ظهرت الإباحية الجنسية ظهر الحب الرومانسي! ومتى ظهرت المادية ظهر الزهد! ومتى كانت الرأسمالية كانت الشيوعية! الخ. والحد الوسط هو جماع كل جانب بحيث لا مجال للتضخمات!!!

كانت الفئة المختارة من المسلمين قد طالبت في دعايتها الانتخابية بزيادة عدد المدارس فما جدوى زيادة هذا العدد إذا لم «نحسن».. التعليم في هذه المدارس؟ وذلك لأن مضاعفة العدد لا تؤدى إلا للعدم! فإذا كان الفرد المتعلم غير فعال، وإذا كان التعليم لا فعالية اجتماعية له، فإن أسطورة الجهل خطرة لأنها تخفي وراء مشكلة الإنسان الأمي مشكلة أشد منها عمقاً هي مشكلة «إنسان ما بعد الموحدين» - بتعبير أستاذنا مالك بن نبي - أو «الإنسان المتخلف».. سواء أكان أمياً أم متعلماً!!!.

- **وليست أسطورة الفقر أقل خطراً من أسطورة الجهل**.. ويكفي للدلالة على ذلك أن ننظر إلى فعالية الإمكانيات المالية الاجتماعية عند المسلم الغني.. وذلك لأن الطبقة البرجوازية المسلمة بالرغم من ثروتها لا تزال أقل فعالية من الطبقة الفقيرة المعدمة. ليس هناك كثير من المسلمين الأغنياء الذين يهتمون بتثقيف طفل من أطفال الشعب ثقافة فكرية أو صناعية أو بتشجيع مؤسسة لها فائدتها العمومية فيضحوا من أجل ذلك بشيء من مستوى حياتهم.

ولا يختص هذا النقص بالفرد وحده.. بل نجده في المنظمات الثقافية التي تتراجع أمام بعض المصروفات الإضافية لتشجيع الثقافة وتسابق في التبذير الذي لا طائل منه[1].

« المعامل المستعمر »[2]:

غير أن هذا العامل لا يؤثر في قيمة الإنسان الأساسية[3].. ومع ذلك نرى الإنسان قد فقد نشاطه وفعاليته في الميادين التي لا يمكن للضغط الاستعماري أن يكون المسؤول عنها.

---

(1) وهكذا نجد أنفسنا لثاني مرة أمام النقيضين.. التقتير والتبذير وكلاهما شر، ولكننا لا نريد هذا بل نودّ هنا أن نوضح مدى كون مشاكلنا في جوهرها اجتماعية، إذ إنّه من البين أن هذا التقتير والتبذير إنما يعود بشكليه (وملاحظة هامة.. المرض الواحد يأخذ عدة أشكال) إلى الرعب من الفقر، وهي بنفسها تعود لحالة المجتمع في عصور انحطاطه حين لا يزود الإنسان بالقاعدة المادية التي تجعله في مأمن من خوف الفقر! ولا الأخلاقية التي تجعله يواجهه بنفس كريمة!.

(2) والحقيقة أنها أخس معادلة تلك المعادلة التي تعرفها المراصد الفكرية الاستعمارية: إنسان × المعامل المستعمر = «انديجينو».

(3) والحقيقة أن الاستعمار قد استحق شكر رجال الدين لأنه أثبت أن روح الإنسان أقوى من كل المحاولات الشيطانية!.

يعمل الاستعمار - إذن - «كحقيقة» لأنه يحول فعلاً دون العمل، و«كأسطورة» ليصبح عبارة عن تعلةٍ أو قناع يخفي وراءه القابلية للاستعمار.

وهناك - يا سيدي - تطور تاريخي يجب عدم إهماله وإلا جهلنا جوهر الأشياء ولا نرى منها سوى الظاهر. ولا يبدأ هذا التطور بالاستعمار بل بالقابلية لهذا الاستعمار التي تحدثه؛ فليس الاستعمار سوى نتيجة القابلية له لأنه يدلنا على التطور الاجتماعي الذي أوجد الكائن الذي يمكن استعماره ولا يدرك هذا إمكانية قابليته للاستعمار إلا متى استعمر.. فيضطر حينئذ إلى التخلص من طابعه المحلي ليصبح غير قابل للاستعمار. وهكذا يمكن فهم الاستعمار كضرورة تاريخية. ويجب أن نميز هنا بوضوح بين بلد محتل وبلد مستعمر. **ففي الأول مركب سابق من الإنسان والأرض والزمن لا يمكن معه استعمار الإنسان، وأما في الآخر فإن جميع الظروف الاجتماعية الموجودة تدل على قابلية الإنسان للاستعمار.. فيصبح بذلك الاحتلال الأجنبي استعماراً. ولذلك لم تستعمر روما اليونان بل احتلتها، كما أن إنجلترا التي استعمرت أربعة مائة مليون من الهنود - لأنهم كانوا قابلين للاستعمار - لم تستعمر ايرلندا التي خضعت لحكمها دون أن تستعمر.**

وعلى العكس فإن اليمن التي ماتزال مستقلة لم تستفد من هذا الاستقلال لأنها كانت قابلة للاستعمار، وذلك بعجزها عن القيام بمجهود اجتماعي، ولم تحتفظ هذه البلاد باستقلالها إلا بفضل الصدفة والظروف العالمية[1] وكذلك لم تستفد مراكش من التجربة التي حدثت في الجزائر بعد استعمارها منذ قرن من الزمن بالرغم من احتفاظ مراكش باستقلالها إلى عام 1912م... الخ.

---

(1) ولعلها كحكمة.... حسب وجهة النظر الغائية!.

ليس الاستعمار إذن السبب الأول في نقص الرجال وكسل الأذهان في البلاد الإسلامية[1] ويجب علينا أن نتبع تطور الاستعمار منذ نشأته كي نصدر حكماً ذا قيمة في هذا المجال وألا نكتفي بدراسته في الوقت الحاضر. إنه يجب أن ننظر إليه نظرة اجتماعية لا نظرة سياسية فندرك حينئذ أن الاستعمار يتسرب إلى حياة الشعب المستعمر كعامل مناقض يدفعه إلى التغلب على «قابلية الاستعمار». حتى كأن هذه «القابلية للاستعمار» تصبح بواسطة الاستعمار الذي يعتمد عليها رفضاً لذاتها في ضمير المستعمر فيسعى حينئذ لأن يصبح غير قابل للاستعمار.

وليس تاريخ العالم الإسلامي منذ أكثر من نصف قرن من الزمن سوى تطور تاريخي لهذا التعارض الذي أدخله الاستعمار في الأوضاع التي ميزت «القابلية للاستعمار» وكونتها... **للاستعمار إذن ناحية إيجابية** يعنى أنه يكشف عن الإمكانيات التي ظلت من أمد من الزمن جامدة، **وبالرغم من أن الاستعمار عامل سلبي من ناحية أخرى** - لأنه يحاول هدم هذه الإمكانيات بتطبيق «المعامل المستعمر» على الإنسان - **فإن التاريخ لم يسجل قط دوام واستمرار الاستعمار!** وذلك لأن قوى الفرد الأساسية تتغلب في النهاية على أوجه التعارض.

لا يأتي المستعمر للنهوض بضحيته بل يشلها كما تشل العنكبوت فريستها التي تقع في شباكها. وهو يغير ظروف حياة الكائن المستعمر تغييراً أساسياً[2] يؤدى في النهاية إلى تغيير روحه!.

---

(1) وقد يتساءل البعض عن سر الضجة إذن حول الاستعمار، وتفسير ذلك بسيط في ضوء الدراسات الاجتماعية والنفسية، فالعالم الإسلامي كان يعاني من «عقدة الإثم» قبل مجيء الاستعمار ويتضح ذلك (الذي كان في لا شعوره) على لسان مجانينه الذين كانوا «يتبؤون» بمجيء «أبو بورنيطة»... وقد نصبهم بعد ذلك أولياء، معتقداً أنهم تنبّؤوا بشيء! فلما جاء الاستعمار «أسقط» عليه سخطه على نفسه، وقد أكسبه هذا ارتياحاً كاذباً!.

(2) ومن المهم أن نلاحظ هنا كيف أن «المراصد الفكرية الاستعمارية» هي عماد الاستعمار قبل سلاحه، فقد نشرت أخيراً دراسات علمية! عن أثر العمارات (التي أدخلها المستعمر.. طبعاً) على الأفريقي، وهو في ظاهره بحث بريء! ولكنه من ناحية أخرى يهدف ليضع تحت يد العنكبوت الاستعماري ثغرة معينة يخشى أن تتسلل منها فريسته.

- وهكذا فالاستعمار ليس استغلالاً فحسب.. بل وله معاهده وأحقاده وصليبيته!.

من المهم إذن حين نأخذ بدراسة الوضع في البلاد المستعمرة ألا نفصل هاتين الفكرتين المختلفتين . . الاستعمار و «القابلية للاستعمار» والطريقة الوحيدة لتحديد أسباب عدم الفعالية تحديداً فعلياً هي تحديد نسبة تعلق هذه الأسباب بالاستعمار أو بالقابلية للاستعمار[1] .

بهذا يستطيع العالم الإسلامي تحديد الوسائل الخاصة التي يمكنها أن تقضي على أوجه النقص التي شلت حتى الآن نهضته . وذلك لأن نجاح أية طريقة . . سواء كان نجاح عقيدة سياسية أو إصلاحية إنما يتعلق قبل كل شيء بهذين الجانبين من المشكلة ، ويؤدى النظر إلى ناحية دون الأخرى إلى الخطأ في تبين المشكلة وتختفي عادة تعمية المشكلة هذه - لسوء الحظ - وراء قناع الوطنية ، تلك الوطنية الجوفاء الفارغة ! . . .

فهل هناك وسيلة لخدمة الاستعمار أفضل من الإبقاء على عوامل النقص والشّلل التي لا تزال منذ ثلاثة أو أربعة قرون الدليل الواضح على مجتمع يجتاز الحالة التي تسبق الـ «قابلية للاستعمار» ! .

هذا ، ولابد من الوصول لنتيجة منطقية علمية ألا وهي أنه لكي نتحرر من الاستعمار يجب علينا التحرر أولاً من سبب هذا الاستعمار - ألا وهي القابلية له . وعليه ، فإذا ما حاولنا تصنيف مختلف الأسباب التي تعوق أوجه النشاط في العالم الإسلامي الحديث وتخفف من تقدمه[2] وتنشر العجز والقلق والمرض في

---

(1) أما ألاّ يملك المسلم جميع الوسائل الضرورية لنمو شخصيته ونضج مواهبه فإن سبب ذلك الاستعمار ، وأما أن لا يفكر المسلم حتى في استخدام الوسائل التي يملكها والقيام بالمزيد من الجهد لرفع مستوى حياته ولا يستغل وقته من أجل ذلك . . بل يستسلم - على العكس - لمشاريع المستعمر ويعمل على نجاحها فإن هذا ما نسميه «بالقابلية للاستعمار» .

(2) إذا ما لاحظنا أن التقدم يجب أن يقاس بالتقدم العالمي ، والغريب أننا في كثير من الأحيان حين نريد أن نضع رسماً بيانياً لتطورنا ننسى تحديد أحد المحورين . . . أو نعتبره ما يراد معرفته . ماذا يكون تطور الأمم الأخرى ؟ وإذا ما راعينا ذلك وجدنا أن تقدمنا مشكوك فيه ، فمن كان بجانبنا قد أصبح في القمة ! هذا أضف إلى أن الظروف قد كانت لصالحنا إذا نحن سرّعنا خطى التقدم بما يقاربه نسبة 1 : . . . !

حياته فيجب أن تتراءى لنا الأسباب الداخلية التي تنتج عن «القابلية للاستعمار» هي الأسباب الأساسية.

ويظهر أهمية هذا النظر في الميدان السياسي - إذْ إنّ هناك صلة مباشرة بين السياسة والحياة إذْ إنَّ السياسة عبارة عن تنظيم الحياة.. أو بالأدق تطبيق لنظرة وتخطيط ومضمون أخلاقي وفكري واجتماعي مفيد.. فهي صيرورة الفكر في لحظة معينة! - إذ يكون الإنسان، من جهة القائم بالسياسة... ومن جهة أخرى موضوع هذه السياسة. غير أن وضع إنساننا وضع إنسان مستعمر وقابل للاستعمار.. فالصلة بين المُسْتَعْمَر ونفسه وبينه وبين المُسْتَعْمِر. ويدلنا هذا على خطأ السياسات المتبعة التي تستهدف المُسْتَعْمِر فقط.. فهي أشبه بالأسير الذي يطلب من سجانه مفتاح سجنه.

وعليه، فإنه يجب تحديد وضع الناس في مرحلة من مراحل تطورهم، وتوضع السياسة التي تناسب هذه المرحلة. ولا شك أن ظروف الحياة تتعلق بحالة البيئة العامة. ولهذا يجب أن نفهم من هذه المرحلة (المرحلة الحضارية) وليست المرحلة السياسيَّة؛ لأن هذه الأخيرة ليست سوى انعكاس للمرحلة الحضارية، فهناك ملكيات يسير فيها الناس حفاة كما أن هناك جمهوريات يموت الناس فيها من الجوع!

يا سيادة الرئيس،

«ويمكننا دراسة مستوى المدنية بمراقبة الإنسان وهو يحاول التوفيق بينه وبين بيئته. ويقوم الإنسان بهذا التوفيق في مرحلة الحياة الراكدة ببذل (أقل جهد)، فيقاوم البرد بحفظ طاقته الحرارية واستهلاك أقل قدر ممكن منها!.. ولهذا يقوم بأقل ما يمكن من الحركات فيقبع في مكانه وينطوي على نفسه، وهو يقاوم الجوع بأكل ما تنبته الأرض ببذل أقل ما يمكن من الجهد.

وأما في مرحلة الحياة النشيطة فإن الإنسان يوفق بينه وبين بيئته ببذل المزيد من الجهد فينظم حياته ويقاوم البرد بإيجاد نظام للتدفئة.. حتى إذا ما فقد ذلك في بعض

الظروف قام بصرف طاقته الحرارية بتأدية بعض الحركات، كما أنه يهيئ التربة بطريقة علمية لتمده بالغذاء. وتمتاز النهضة أو المدنية في أول عهدها بالانتقال من مرحلة الحياة الراكدة إلى مرحلة الحياة النشيطة. . **ولا يمكن فهم مثل هذا الانتقال في التاريخ فيما لو احتاج لوسائل وقوى غير الوسائل والقوى التي توجد في البيئة الطبيعية** التي يؤثر **الإنسان** بها في نفسه[1] وفي أرضه وزمانه.

ويصبح هذا فيما يتعلق بالإنسان المُسْتَعْمَر الذي يجب عليه العثور في بيئته على الوسائل الأولية الأساسية - بالرغم من وجود الاستعمار ووجود القابلية له. **فالتربة هي عماد حياته المادية لأنه يعيش من ثمراتها، كما أن الزمن في خدمته . . فهو يملك إذن جميع الأسباب الضرورية للحصول على وسائل أقوى وحياة أفضل. . .**

يعنى هذا أنه **يستطيع تبديل وسائله الأولية إلى وسائل أكمل كلما تبدل هو نفسه وأدرك إنسانيته وما تتطلبه هذه الإنسانية من مسؤوليات.**

وهكذا - يا سيدي - ننتهي إلى وضع المشكلة في حدودها الكلية، فهي مشكلة **خلق فعالية وحركية وأخذ للطريق الصعب . . مبتدئين بتركيب من الإنسان وبيئته والزمان** - وهو ما نملك - . . . **مطورين ذلك إلى حضارة شرقية مبدعة** إن شاء الله.

وعليه، يكون السؤال **كيف نخلق الفعالية وكيف نصل الإنسان ببيئته وزمانه؟** . . أو بالأدق: **كيف نبعث الفعالية في عقل الإنسان** - وهو الأهم - ويده وماله؟ . . **كيف يخلق بتلك الفعاليات من بيئته وزمانه** إبداعاته؟ الخ.

يا سيادة الرئيس،

وقبل أن نجيب على تلك التساؤلات التي تركزت عليها المشكلة نحب أن نلاحظ شيئاً **بخصوص العجز الفكري الذي كانت تعاني منه المنطقة** - وهي

---

(1) وطبعاً من المعروف أنه - كما سنوضح أيضاً - يحتاج إلى تعلم الأسماء كلها حتى يبتدئ الحركة، إنما نحن كنا نتحدث عن متى يكون مستعداً. . . .

معاناة ليست خاصة بنا، كما ذهب الأستاذ جب، بل هي ظاهرة معروفة في تاريخ الحضارات تكثر في مرحلة الـ (yin) وقد تبدو في هرم الحضارات وذلك لأسباب قد نتطرق إليها في مكانها - **ذلك العجز الذي لا يعقد الصلات بين الأفكار ولا يعطي المناقشة حركة متصلة مطردة لا يقفز فيها الفكر من نقطة إلى نقطة بل** يطّرد دائماً من مقدمة إلى نتيجة، إن ذلك العجز - يا سيادة الرئيس - هو المسؤول الأول عن **تجزئة المشكلة.. وبالتالي حلها.. إلى ألف جزء وجزء مبعثر، مشارفاً للمشكلات في حدودها اليومية** تبعاً للطوارئ العاجلة.. **دون نظر شامل يحدد** منذ البداية **الهدف والمرحلة والتوقيت والوسائل «وإنه من الممكن أن تؤدى الحلول الجزئية إلى حل شامل للمشكلة - فكل الطرق تؤدى إلى روما - ولكن الطريق غير المنهجي هو أطول الطرق بلا شك.. طريق المفاجآت** التي تفاجئ العقل التائه!.. طريق السائح غير المتحقق من وجهته أو هدفه!.. **ولكن طريق** الحضارة - كما قلتم - يا سيادة الرئيس - **ليس نزهة! لا يمكن خطه تبعاً للمصادفة،** بإقامة مدرسة هنا، ومصنع هناك، وسد هناك، أو بوضع سلة معدنية في جانب هذا الشارع حيث لا أحد يفكر في إلقاء المهملات التي يريد أن يتخلص منها! نعم إن سيرنا كيفما اتفق قد يوصلنا إلى حل.. يوماً ما!... ولكن متى يوافي ذلك اليوم؟! **إن الإجابة الصحيحة هي أن نستنتج نظرية وخطة وتوقيتاً وشكلاً...**

وهذا - يا سيادة الرئيس - هو ما يعطي لنظرية الديمقراطية الاشتراكية التعاونية قوتها، وللتخطيط الشامل قوته، وللاتحاد القومي شكله المتناسب مع الصورة وليس الدخيل عليها!.. الخ.

يا سيادة الرئيس،

لقد سارت الرسالة حتى الآن - على خطة سيادتكم في الإبانة عن الحقيقة العارية وهدم الأوهام ومحاولة تحديد الطرق... وإنه الطريق الصعب طريق البناء...

والآن – يا سيدي – نتفرغ لقضية البناء – وأيضاً على خطتكم في التفرغ لها أخيراً – وكنا وقفنا عندها من أنها إعادة الفعالية لعقل الإنسان ويده ورأسماله ووصلها ببيئته وزمانه لتقدم إبداعاته . . . وبعد ذلك سنلتفت للإشعاعات . . أو التلاقي الخارجي على الحدود . . فنلاقي القومية العربية والأمة الإسلامية وخط طنجة جاكارتا والتعايش السلمي والحياد الإيجابي والسلام . . . فمتى توجد هذه الفعالية؟ وما هو الذي يوجدها؟ . . . الخ .

ونحن نريد نظرية وخطة وتوقيتاً ووسائل ، أما النظرية – يا سيادة الرئيس – فهي الديمقراطية أو حرية الإنسان ومسؤوليته والاشتراكية (أو العدالة وحاجة الإنسان) والتعاونية (أو تآخي الإنسان مع أخيه الإنسان) . . ومن وراء هذا كله ، ومن قبله ، الإيمان بخالق هذا الكون . . .

فنحن – يا سيادة الرئيس – نتبنى مفهوماً مغايراً لما يسود اليوم :

1 . من إلحادية . .

2 . وجماعية طاغية . .

3 . أو مشاحنات . .

فنحن – يا سيادة الرئيس – نحمل مشعل الإنقاذ :

1 . إيمان الله . .

2 . وكرامة للإنسان وحرية ومسؤولية وعدل . .

3 . ومحبة وتآخ . . فلا صراع داخلي . . ولا قوميات عدوانية . . ولا ولا . . . الخ .

يا سيادة الرئيس ،

إن فعالية الإنسان (وبالتالي تصحيح الكثير من المقاييس التي أشرنا إليها) تتطلب نظرية عن الكون والحياة والإنسان الخ . وعلى وجه التحديد نظرية عن

صلات الإنسان بمن حوله وما حوله وبحوادث الحياة والإنسان، وذلك لأن مظاهر الفعالية هي:

1. صلات اجتماعية.

2. ذوق جمالي.

3. منطق عملي.

4. علم.

وهذا - كما أوضحت في رسالة سابقة.. أخذت شكل مخاطبة مستر خروتشوف - يرجع لكون الإنسان يملك طاقات قابلة للتوسع، فتنظمها مثل هذه النظرية، فالإنسان يستطيع أن يشغل نفسه بالبحوث الأنطولوجية، ويستطيع أن يشغل نفسه بالبحوث الميتافيزيقية، ويستطيع أن يظل يبكي على حوادث مضت - الحياة في حركة ومد... الخ.

وعليه فإن أهمية النظرية هي أنها ترد إليه قواه لكي يندفع - ومن بعد ذلك تنظمها... ومن الممكن أن يتضح ذلك بشكل مخطط كالآتي:

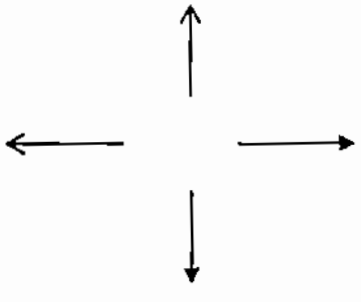

(تشتّت) مرفوض

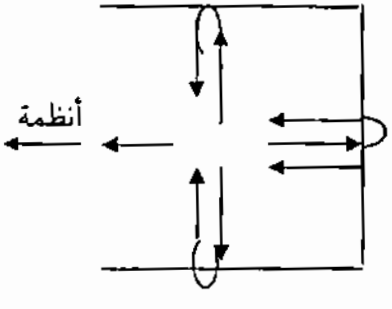

(الانتظام) مطلوب

وإذا ما حددت بعد ذلك قواه المندفعة إلى الأمام، وهي لا تحدد إلا بنظرية تنظم كل جوانب البشرية.. وبالتالي المجتمعات من أنظمة اقتصادية وجنسية وأخلاقية وجمالية وروحية (وهي ما تعرف الآن بالدينية غلطاً!).

فإنه سيزداد اندفاعاً . . .

+ أنظمة لهذه الحياة الدنيا تكفل حياة طيبة ← + حياة أخرى

ولكي تترابط الغرائز والعواطف وتسير لابد لها من مثل أعلى تتجه نحوه، ولا بد أن يكون موضوعياً وخالداً - على رأي الأستاذ هادقيلد - حتى تكون الاستمرارية في الإبداع . . .

يا سيادة الرئيس ،

إن الديمقراطية الاشتراكية التعاونية - القائمة على الإيمان بالله . . تحقق لنا كل ذلك .

1 ـ فمتى آمنا بإله قائم بذاته موجود . . دائم الوجود ، مخالف للحوادث ، حي ، خالق خلق هذا الكون ، ونظّمه بإرادته ونفّذه بقدرته ، وعلى هدي من علمه وحكمته . . خط سيره ـ وكل ذلك من إدراك **أن الله المثل الأعلى** وقد بعث الحياة **وأوجد الإنسان المستخلف** (أي يملك حريته ويتحمل مسؤوليته . . . وسيحاسب) . وكانت **الوحدة الإنسانية هي الذكر والأنثى ، وأنه من «الجعل» الإلهي أن نكون شعوباً وقبائل . . وقوميات ـ لنتعارف . . ونكون أمة واحدة . .** الخ .

وقد أرسل رسلاً مبشرين ومنذرين . . .

كل ذلك لا شك - يا سيدي - يعطي الإجابات الشاملة والمتناسقة والمقنعة - وقد أوضحت ذلك في رسالة مستر خروتشوف - . . **وبالأدق العلمية والحقة** . . .

2 ـ أما عن الديمقراطية فهي متلاقية مع نفس النظرة ، **فالجموع هي المستخلفة ، ولكل إنسان كرامته** ، ويتقدمها أتقاها ليخدمها . . وعليها السمع والطاعة ما دام يلتزم الجادة . . .

وهذه النظرة جماع النظريات من ثيوقراطية وأرستقراطية وديمقراطية وقانونية ودستورية وحقوقية . . الخ .

والحقيقة - يا سيدي - أنَّ «عقيدة الإنسان ميزان أخلاقه وعنوان آرائه في الحق والعدل والمعاملة المثلى. . والحكومة الصالحة، ولم نعهد في أمة من الأمم قط أنها ارتقت بالمثل الأعلى في العدل والصلاح إلى درجة أعلى مما تعتقد في الرب الذي تعبده وتأخذ نفسها بإطاعة أمره وانتظار رضوانه.

«والثابت على كل حال من تواريخ العقائد والشرائع والأنظمة الحكومية أنَّ الناس لم يطلبوا قط نظاماً لحكوماتهم أعلى وأرفع من نظام الكون كله . . . كما يعتقدونه».

وعندنا «حاكم الكون هو خالقه. . فهو القادر على كل شيء والفعال لما يريد، ولكنها حكومة لها سنن وشرائع ومبلغون ومنذرون، ولها حجة قائمة وبرهان مبين، والإنسان مسؤولٌ عن عمله» ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾. . . ﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ۝ ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾ سورة الإسراء، الآية: 113، 114.

ولا يكفي أن يكون البلاغ قائماً، والنذير سابقاً، والسنة جارية لا تتبدل ولا تتحول، بل يعلم المسؤول ذنبه بنفسه بماذا يدان ولأي شيء يدان، - ويبدأ كل عمل وكل خطوة وحساب «باسم الله الرحمن الرحيم».

وإذا آمن الإنسان بحكومة الكون على هذا المثال استحيا أن يدين لمخلوق مثله! بحق أكبر من هذا الحق أو يدين مخلوقاً مثله! بطاعة أكبر من هذه الطاعة، ورفض الظلم في أطواء ضميره قبل أن يرفضه في شهود عمله ومسموع قوله، وجاءته الديمقراطية عفواً ما لم يدفعها عن ضميره. . ويدفعها بيديه.

وحتى إذا ما ركنا إلى ناحية التهذيب وجب أن نتخذ الاحتياطات للمراقبة. .

ومنها وقائي فلا يتقدم إلا الأتقى ويمبايعة الأمة، **ومنها العلاجي**. . وهو وضع الدساتير والقوانين والمراقبة الشعبية - أو الآمرين بالمعروف. . الناهين عن المنكر -، ثم إن الحكومة آلة في يد المجتمع! وشريعة الإسلام كانت أسبق الشرائع إلى تقرير

الديمقراطية الإنسانية، وهي الديمقراطية التي يكسبها الإنسان لأنها حق لـه يخولـه أن يختار حكومته وليست حيلة من حيل الحكم لاتقاء شر أو حسم فتنـة! ولا هـي إجـراء من إجراءات التدبير تعمد إليها الحكومات لتيسير الطاعة والانتفاع بخدمـات العـاملين وأصحاب الأجور!.

وتقوم **الديمقراطية الإسـلامية**، بـهذه الصفـة، **على أربعـة أسس**.. لا تقـوم ديمقراطية كائنة ما كانت على غيرها، وهي:

1. المسؤولية الفردية.
2. عموم الحقوق وتساويها بين الناس.
3. وجوب الشورى على أولي الأمر منا.
4. والتضامن بين الأمة على اختلاف الطوائف والدرجات[1].

والمسؤولية الفرديـة تـأتي مـن نظـرة الإنسـان وعقيدتـه، وهـي **تتصـل بعمـوم الحقوق وتساويها أيضاً**[2]، **وأما عن الشـورى** فليس مـن الضـروري أن تـأخذ شـكلاً معيناً.. وإنما المهم هـو الجوهـر وهـو حريـة المحكومين فـي اختيـار حكامهـم ورضـاهم عنهم، **فقد تكون دساتير وقوانين وانتخاب وصناديق واقتراع ولا ديمقراطية! وقـد تكون ديمقراطية ولا شيء من هذه الوسائل والأدوات!**.

وأهم من الشورى في مبايعة الخليفة فرض الشورى على أولي الأمـر منـا، وليسـت وسـيلة الشـورى بعـد ذلـك إلا مسـألة تطبيـق رتنفيـذ! «إن ديمقراطيـة الأمـة السياسة ديمقراطية حساب وميزان، ومتى تبينت هذه الحقيقـة تبينـت حكمـة الإسـلام في الأمر بالشورى وفي التفرقـة بين كثرة الأقـوال وصـواب الأقـوال، فإنمـا الصـواب لأهل الذكر ﴿فَسْئَلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[3] (سورة النحل، الآيـة: 43) وإنمـا

---

(1) الدرجات غير الطبقات.. وهي تدل على الترقي من مستوى يتم الارتفاع منه درجات مفتوحة ومتصاعدة.

(2) وهكذا فالعدالة أيضاً جزء في الحقيقة من الديمقراطية، أو هي الديمقراطية الاقتصادية.

(3) وهي أرستقراطية.. ولكنها ليست أرستقراطية شرف ولا حسب ولا نسب ولا مال، وهي في نفس اللحظة ديمقراطية لان باب العلم وإن خول في أهل الذكر فهو مفتوح للجميع...

الفضيلة ندرة في كل شيء فيه فاضل ومفضول وإنما الشورى اجتماع القوة في من يشير وفي من يشار إليه، وليست هي التناجز والتنابذ بين هؤلاء وهؤلاء».

«وقبل أن تنشأ في الأمة ديمقراطية سياسية.. يجب أن تسبقها الديمقراطية الاجتماعية التي تتمثل في تعاونها بالفكر والشعور على قضاء حقوق المجتمع وأداء فروضه وواجباته، وأن تكون وظائف المجتمع عملاً لا يتوقف على إرادة الحاكم أو نظام الحكومة **ولا يستأثر به أحد دون أحد، ولا طائفة دون طائفة، بل موزع بين أبناء الأمة بأسرها.. كل في ما يستطيع وكما يستطيع**».

وهذا هو **التضامن مع تقسيم العمل** - وهي أحدث نظرية.. للعلامة ديجي - **أو فرض الكفاية الذي ينقسم إلى فرضي عين.. أحدهما أن يتقدم من يستشعر** أنه كفء للمسؤولية!.. **والثاني أن يساعده الآخرون لا أن يحسدوه!**[1] «والمجتمع الذي يؤمر كل فرد فيه بهدايته والاستماع لمن يهديه غني بالديمقراطية الاجتماعية عن كل نظام من نظم الديمقراطية السياسية - **الأمة كلها في ذلك المجتمع حاكمة** محكومة، وآمرة مأمورة، وناهية منهية، فلا محل فيها لطغيان أو استئثار».

وقد كان من اليسير في عهود الخلفاء الراشدين أن يتصدى أصغر الناس لتذكير أكبر الناس، وكان أشدهم بأساً عمر بن الخطاب، فكان مع هذا يستدعى إليه من يزجرونه ويذكرونه ويقول على الملأ: «رحم الله امرأً أهدى إلينا عيوبنا»[2] ويحمد الله أن يكون في الأمة من يقوّم الخليفة بسيفه إذا رأى منه عوجاً! الخ».

---

(1) وقد أوضح برتراند وسل كيف أن الكثير من الديمقراطيات - بل والاشتراكيات - تقوم على الحسد!.

(2) وقد افتقد العالم الإسلامي الاعتراف بالخطأ منذ قرون، ويمكن أن يكون خطاب لكم قد ألقيتموه قبل عدد من السنين أول اعتراف رسمي بعدم عصمة الحكام!.

... والحقيقة - يا سيدي - إن «الشلل الأخلاقي» أشد أنواع الشلل، فلئن كان الشلل الفكري قد أدى إلى توريع المشكلات وبالتالي الخيبة! إلا أنه أسهل، لأنه نتيجة العاطفية، أما الشلل الأخلاقي فهو علتنا، وذلك لأن المشلول أخلاقياً يعتقد أنه كامل.. فيضع نفسه في القمة - ولذا يكون من موقفه أن يستكبر ويستهجن!.

... وبالإضافة إلى أنه يؤمن بالجمود!.

والديمقراطية - يا سيدي - بعد هذا وقبله قيمة أخلاقية والدين هو الخلق!.

وهكذا - يا سيدي - يتضح أنه حين نضع أيدينا على الديمقراطية لم نفارق الإيمان بالدين.. بل إن جوهر الدين هو تكريم الإنسان وتآخيه - وهكذا لا بد أن تكون الديمقراطية تعاونية، فما التعاون والتضامن إلا وجه الديمقراطية الاجتماعي...

أما عن العدالة أو الاشتراكية وإن كانت لفظة الاشتراكية قد تدخلنا في متحارجات شديدة، وقد وضعها أعضاء حزب معين في بلد ما ليعبروا عن حبهم للعدالة والمساواة.. فإذا بكبيرهم ذات يوم يتورط في قوله «.. إن اشتراكيتنا هي الماركسية مشطوب منها الجزء الفلسفي»! ونسي المسكين أن عمليات الشطب لا تسري في ذوي الأمخاخ السليمة!

... ومن الممكن أن نقول الديمقراطية الاقتصادية الخ، - فليست القضية قضية ألفاظ[1] فإننا نود أن نخصص لها الكثير من البحث، وذلك لأهميتها.. ولأنها موضع البحث عندكم الآن...

يا سيادة الرئيس،

لقد استمعت للسيد أنور السادات وقرأت لآخرين وكلهم كان يتحدث كيف تم الانتقاء.. بعد دراسة للرأسمالية والشيوعية، والشعور بعدم صلاحيتهما.

وأحبُ - يا سيدي - مع احترامي الكبير لكل أولئك السادة الأفاضل أن أقول: إنه لشيء جميل أن نؤكد ذواتنا كأناس وليس كمستعمرين أمام النظام الأوروبي[2]..

---

(1) وإذا كان لتأصيل الألفاظ قيمته، إنه كتأصيل مرتكزات الحضارة، فالقاهرة لا شك مرتكز حضاري - ولعل هذا يفسر تراجع مستر خروتشوف!.. وقد أفقد السيد محمد علي جناح! الإسلام مرتكزه في آسيا.. في بومباي.. الخ.

.... وعلى العموم، هذا يعطي للألفاظ القديمة والمرتبطة بالشعب قيمتها!.

(2) وبطريقة جادة لا هازلة كتلك التي نجدها في دفاع بعض التقدميين عن «الهيلاهوب» مثلاً! وعند بعض (أصحاب الفضيلة) في الهجوم عليها!!!.

حتى يحل محل التعلق المادي[1]، الذي تقوم عليه الصلة الأساسية بين أوروبا المُسْتَعْمِرَة والعالم الإسلامي القابل للاستعمار، حالة تقدير واعتبار متبادل .. تمهيداً لاتحاد أجدى - ولا يفيد هذا التغيير العالم الإسلامي فقط، وذلك لأنه إذا كانت وطأة الاستعمار شديدة على حياتنا فهي شديدة أيضاً على الحياة الأوروبية، لأن الاستعمار يقضي على المُسْتَعْمَرَ مادياً ويقضي على المُسْتَعْمِرَ أخلاقياً!. إلا أنه - يا سيادة الرئيس - يحسن أن نلاحظ أن الأسلوب التحليلي الانتقائي يجب أن يتمم بتركيبه في شكل نظرية - وذلك حتى لما عرفنا من صفات العقل - ثم إنه لا يكفينا أن نرفض الأطروحة دون أن نقدم التركيبة. . وهي المهمة التي أخذنا على عاتقنا، وألقاها التاريخ على كاهلنا أيضاً!.

فما هي التركيبة؟ . . ما هي النظرية التي نأخذها إن رفضنا الرأسمالية والشيوعية؟ وقبل هذا لماذا نرفضهما؟ الخ.

في الحقيقة إنه من السهل بمكان أن ندرك ضرورة رفض النظامين، وقد نستطيع أن ندرك موضع الخطأ فيهما، فيكفينا كون كل من النظامين يحوي جزءاً من الحقيقة والإقناع لكي نمتنع عن الانضمام لأي منهما، إذ لو كانت الحقيقة في ناحية لكان التحكم في ناحية أخرى!. . ومن هذه الملاحظة نفسها نستطيع أن ندرك أن كلاً منهما يحوي جزءاً من الحقيقة![2].

فالرأسمالي حين يتطلب حافزاً على العمل، أي حين يطالب بالإبقاء على الملكية [وبالتالي التوريث. . وهو متكامل مع الأخذ بالأسرة. وكل هذا متكامل مع ذاتية الإنسان!] نستطيع أن نلحظ في لهجته الصدق، إلا أنه ما يلبث أن يتزلزل حين يريد أن يطالب بالمزيد . . أي حين يريد أن يبرر الأرباح وسعر الفائدة، فمثلاً حين يقول إن «رأسمالي قد دخل في الإنتاج» فإنه يسهل الرد عليه بالقول:

---

(1) والغريب أن المسلم الذي أراد أن يزهد في صورتي المادة - الصورة الرأسمالية والصورة الشيوعية - إذْ إنَّه بفعل عقليته الصبيانية يقع في الأسهل والأكثر براقية وهي البورجوازية!.

(2) فادعاء كل أنه يملك الحقيقة، مع ما بينهما من تناقض، دليل فساد براهين كل من الفرقاء - كما علمتنا المناطقة. .

خذ مقابل استهلاكية رأس المال . . وحين يقول إنه «عملي السابق» نقول له : وهذه الملكية متساوية ، وليس لك أن تحذف أحد طرفي المعادلة (عمل = ملكية) وتتساءل ملكية =؟ . . . .

ويزداد إغرابه حين يريد سعر الفائدة، فهو حين يقول بالمخاطر يقدم تبريراً لضرورة إعطائه تأمينات قانونية . . وحين يتكلم عن الحرمان إنما يضع نفسه أمام ضرورة حثه على العمل بأية وسيلة - ولو فرض ضريبة عليه ! . . وهو حين يقول من يضحي بالحاضر في سبيل المستقبل؟ . . إنما ينسى أن المدين سيضحي بالحاضر في سبيل الماضي وهذه أصعب !

وهكذا . . . . ونستطيع أن نلمح صدق الشيوعي - أو ماركس . . بالذات في كتابه رأس المال - حين يتحدث عن الظلم من كون أن الرأسمالي يأخذ أرباحاً طائلة . . أو أرباحاً بدون مقابل لعمل . . وكونه يتحكم في العمل والأجر . . . الخ .

إلا أنه يضعف حين يريد إلغاء الملكية ، إذْ إنَّه هو بلسانه يقول إن وجود ملكية وحتى البيع بثمن غال لا يترتب عليه ظلم ، لان كلاً سيرفع أسعاره ! . . . ثم يستطرد موضحاً أن الحالة قد تغيرت عند تملك وسائل الإنتاج ، إذْ إنَّها تتيح فرصة سرقة جهد الآخرين ! . . ولكن أما كان يكفي أن نمنع فرصة السرقة هذه؟ ! وذلك بأن نمنع أن تزيد الملكية وحدَها [وهو الجزء الضعيف في الرأسماليات . . والذي لا مبرر له هناك] وطبعاً هذا نفسه يستدعي أن يطبق على المنازل . . . فمثلاً لو أنفقت على منزل 30 ألف جنيه (مواد أولية وعمال وإدارة . . الخ) وكان المنزل سيظل قائماً لمدة 30 سنة مثلاً [وطبعاً تقدر الصلاحية . . كما في آلات الإنتاج ، ويحسن تقصيرها (طبعاً ليس بشكل يرفع الإجارة) حتى لا تؤثر العمارات التي تمثل نفسياتنا على أبنائنا ! . بالإضافة إلى أن رواج صناعة البناء دليل على رواج عام !] فتحدد الأجرة بحوالي 80 جنيهاً شهرياً فإذا كانت عشرة شقق بـ (8) جنيها تقريباً الخ ، ويستدعي هذا النظام أن

«. . من كانت له أرض فليزرعها أو فليمنحها أخاه . . أي لا كراء للأراضي إذ إنَّ كراء الأراضي يتيح فرصة لزيادة بدون عمل . . أو ربا!» .

ولعلكم لحظتم - يا سيادة الرئيس - أن هذا النظام يحقق الديمقراطية الاقتصادية، إذْ إنَّه ليس هناك إجراء بل شركاء! .

. . . بل هذا النظام من الممكن أن يقضي على البيروقراطية، إذ أنه ستكون ميزانية الحكومة من ضريبة نسبية ثابتة[1] - إلى حد ما - ومعنى هذا أن كل موظف يهمه أن يزيد الإنتاج . . أي إنَّه يجب أن يسهل أعمال المواطنين، وذلك حتى يكون محصول الضرائب كبيراً ونسبته المئوية من الشركة الكبرى كبيرة! .

ولكن قد يتساءل البعض عن كيفية قيام نظام اقتصادي بدون سعر الفائدة، ويقولون إن (كينز) نفسه الذي لحظ خطورة سعر الفائدة وضعف مبرراتها قد اعترف بها كوسيلة للقضاء على تفضيل السيولة . . وهم سيذكرون هنا أنه في نظامنا سيفضل الناس السيولة . . .

ولكننا سنوضح ببساطة أنَّ تفضيل السيولة من السهل القضاء عليه بطرق معاكسة وهي تمكننا من تحقيق كل مقررات السياسات المالية . . وإنما مع مراعاة العكسية التي تدخلها وذلك بفرض ضرائب على النقود . . أو زكاة، وهو أمر منطقي جداً، ويصحح أحد اعتراضات ماركس الوجيهة بالنسبة للنقود - وإن كان لا يؤخذ بعلاجه! - فكل شيء في هذا العالم يخضع لقانون التناقص . . فما الذي يجعلنا نؤلّه النقود؟! ثم أليست النقود سلعة وكيلة، ومتى كان للوكيل أكثر من موكله؟ . إن كل سلعة تكلف صاحبها شيئاً ما . . فلماذا تشذ النقود؟! . ثم إننا نعرف أن النقود قد خرجت لكي تكون وسيلة تبادل س - ن - س (سلعة - نقود - سلعة) . . وذلك بعد

---

(1) والضرائب في الإسلام نسبية، لأنه يمنع الظلم من الأصل، ولا يعطي الأغنياء الآلاف باليمين ثم ينتزع منهم القليل - وهو قليل جداً . . مهما كبر في ظاهره - من الشمال تحت اسم الضرائب التصاعدية .

. . . وما زلت أذكر يوم أن صاح أحد الرأسماليين قائلاً: «. . افرض ضرائب تصاعدية ولا تمنعنا من الربح وسعر الفائدة والريع؟!» .

مرحلة المقايضة (س – س)، وإلى هنا أدت النقود مهمة للإنسانية **أما أن نتركها بعد ذلك فإنها خطر**، إذْ إنّها ستصبح وسيلة للمضاربة: ن – س – ن + (نقود – سلعة – نقود – زيادة) ثم (ن – س – ن+) تصير إلى (ن – ن+) . . . ولذا **سنقطع دابر هذا التطور الخاطئ من الأصل** بفرض ضريبة على النقود، فتصبح النقود ليست معبوداً، وتطلب لكي يؤدى بها غرض ثم تنفق . . .

وهنا ستفتح المؤسسة الاقتصادية أبوابها لكي تتقبل ما يفيض عند الناس!.

. . . وفي ظل هذا النظام **سيكون الطلب يعد مقدماً وبزيادة** (للاحتياط، إذْ إنّه يخشى أن يشتري في آخر الشهر) **وسيزداد الإنتاج . . ويزداد الدخل . . ويزداد الطلب** وهكذا – كل هذا وفي يدنا الوسيلة للتخطيط . . عن طريق رفع الأسعار أو الحصص أو . . . الخ.

وعليه – يا سيادة الرئيس – **فإننا**:

1. نحث على العمل . . والعمل الصالح.
2. الملكية كحافز.
3. عدم الربا (عدم زيادة رأس المال بدون عمل).
4. الزكاة (ضريبة على النقود . . .).
5. الإنفاق.

ونظامنا هذا كما يحقق العدالة يحقق زيادة الإنتاج ويحقق الإبداع أيضاً، إذْ إنَّ أي اختراع جديد سيقبل، لأن الاقتراض لا يتم بأي سعر فائدة تعوق إدخال أي اختراع جديد حتى لو كانت كفايته الإنتاجية (أي ما يضيفه للإنتاج) متدنية . . عن أي سعر فائدة!.

ونظراً لأن نظامنا سيقترن بالتعاون والتآخي والتكافل فإنه سيلتفت «للحاجة أيضاً» وتخصص بعض مصاريف الدولة إلى المساكين (أي ذوي الدخل المحدود) والفقراء (المتعطلين) – هذا بالإضافة إلى العاملين عليها (الموظفين) وابن السبيل

(السياحة) وفي الرقاب (الشعوب المتخلفة) وفي سبيل الله (الدعاية والنشر) والغارمين (المؤسسات الاقتصادية الكبرى. . . عند خسارتها) واليتامى (من يدير لهم أموالهم و. . الخ).

وهكذا - يا سيادة الرئيس - تلتقي العدالة مع الحرية مع الأخوة أو الديمقراطية الاقتصادية مع السياسية مع الاجتماعية في نظام محكم هو الإسلام - أي الإسلام لقوانين الكون - أو ديمقراطيتنا الخاصة «ولا نسميها ديمقراطية خاصة لأنها تضيق عن غيرها كما يضيق كل تخصيص بعد تعميم، ولكنها **خاصة لأنها تخالف الديمقراطيات الأخرى في نشأتها وغايتها، وتتسع بأصول الحكم حتى تخرج بها من الصبغة المحلية إلى الصبغة الإنسانية بل الكونية**».

فليس في عقيدة المسلم نظام بين السماوات والأرضين لا يستقر على هذا الأساس.

الله رحمن رحيم، يجري الكون على سنن ويحاسب الخلق ببلاغ ونذير، ولا يظلم أحداً، وما هو بظلام للعبيد. . .

ونبي ليس بالمسيطر ولا بالمتجبر، ولكنه بشير ونذير، وليس له من الأمر شيء، والأمر بينه وبين أمته على المشاورة ومكارم الأخلاق. . .

وإمام يطيع قبل أن يطاع ويتولى الحكم من أيدي المحكومين، **وأمة هي المرجع** في كل سلطان وكل سياسة، وكما تكونوا يولَّ عليكم، **فهي (أي الأمة) مسؤولة عمن يسمونهم في عصرنا الحاضر بالمسؤولين . . .**

ليس لأحد حق العسف والطغيان وليس لأحد حق الفتنة والعصيان، ولهم جميعاً حق الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، كل في ما يعلم وحسبما يستطيع، لا سيادة لنسب، ولا سيادة لمال، ولا سيادة لعلم ولا سيادة لإنسان، ولا لطائفة من الناس، ولكنهم جميعاً بنية واحدة تأخذ حياتها من كل عضو وتمد كل عضو بحياته، وينتظم قوامها على التعاون والمؤازرة، لا على التنازع والملاحاة. . ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ﴾ سورة المائدة، الآية: 2 ﴿وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾ سورة الأنفال، الآية: 46.

والناس سواء حتى يؤخذ من القوي حق الضعيف، فإذا تفاوتت بهم الأقدار بعد ذلك فإنما يتفاوتون ليكون أفضلهم أكبرهم في التبعة وأنفعهم للناس.

ديمقراطية خاصة، لأنها أعم من كل ديمقراطية عداها، قامت على حق الإنسان وتبعته أمام ربه وأمام ضميره، فحيثما وجد إنسان بين الناس فهو صاحب حق في هذه الديمقراطية ولدته أمه به ولم تخوله إياه حنكة السياسة ولا تفضيل إدارة على إدارة في ولاية الشؤون العامة، ولا احتيال من الأقوياء على الضعفاء لإقناعهم بالصبر والطاعة، ولم يأت مكافأة لقوم على عمل في الحرب أو السلام ولكنه هو الحق التي تصدر منه الحقوق ويدين به المخلوق لخالقه، ولا ينتظر فيه إذناً من كبير ولا صكاً متفقاً عليه بين الكبار والصغار.

ومن السهل على اللاغط المتحذلق أن يلفظ بالفارق بين الحق المقرر والحق المعمول به في دنيا الناس، ولكن هذا السهل على اللاغطين لا يسهل على الذين يرجعون إلى تاريخ «دنيا الناس» وما تكسبه من تقرير الحقوق، فإن الشارع لا يعمل للإنسان عمله ولكنه يقرر له حقه وحق غيره ويعرفه بما هو مباح له وما هو محرم عليه، ونحن لا نطلب من الشارع أن يأخذ بأيدينا لنعمل أو يأخذ بأيدينا ليكفها عن العمل، ولكننا نطلب أن يبين لنا الحدود ويفصل بين الحلال والحرام البيِّن، وما من شيء في غناء هذا البيان الذي لا غنى عنه لمجتمع من المجتمعات فإن صعوبة العدوان لتعظم وتتوقف حيث يعتدي المعتدي وهو يعلم والناس يعلمون أنه يقوم بفعلٍ محظور، ولا صعوبة عليه حين يمتنع العلم بمواقع العدوان ومواقع الدفاع، كذلك تقوم الحجة لمن يعمل الواجب حين يوجبه على الناس بالشرع الذين يدينون به والحق الذي يسلمونه، ولا تقوم له حجة عليهم إذا بطلت بينه وبينهم سنة العرف وحدود الواجب والممنوع، وحسب الناظر إلى الحقائق أن ينظر إلى حالة الدنيا إذا ارتفع منها كل كلام عن الفرائض والمحرمات وعن الحقوق والواجبات، ثم يرى كم تخسر وماذا يبقى لها من محصول التاريخ بعد زوال هذا الذي يحسبه اللاغطون المتحذلقون بمجرد الكلام.

على أن الاستخفاف بقوانين الأخلاق قد يسهل على الذين يتكلمون عن القوانين التي تفرضها القوة على أبدان المحكومين ، ولكنهم لا يستسهلون هذا الاستخفاف حين يكون إلزام القوانين من قبل الضمير والوجدان وعلى موجب العقيدة والإيمان كما تمليها الأديان ، إذ هي ثمة تجري مع الإرادة في نفوس الحاكمين والمحكومين ، ولا تجري بأمر الحاكم على كره من المحكوم .

«إن أحق إنسان بأن يحرص على حريته لمن يعلم أنه مدين بها لخالقه ولضميره ولا فضل فيها عليه لأحد من الناس ، وأن أحق أمة تحرص على حريتها فهي الأمة التي تعلم أنها إذا اجتمعت لم تجتمع على ضلالة ، وإنما هي مرجع الحقوق جميعاً ، وإنها تريد فتكون إرادة الله حيث تريد» .

وهكذا – يا سيادة الرئيس – يكون الاتحاد القومي هو الشكل المتناسب مع النظرية فلا مجال للتنابز والتنازع بل وحدة . . وتضامن وتعاون وتآخ ، وفي ظلال هذا نتحاسب ونتكاشف ونتفاهم . . الخ .

ولا يمكننا أن نأخذ شكل الحزبية البغيض لأن هناك في أوروبا أهواء الناس هي التي تشرع فلا مجال للحقيقة . . وهكذا يكون الصراع . . .

– إن البناء والحقيقة وضبط النفس ثلاث متلاقيات ، وعكسها كذلك متلاق ؛ فالأهواء والمصلحية والصراع هي سبيل المادية التي لا إله لها يقيها الطريق ويرعى العدل[1] .

والحقيقة – يا سيادة الرئيس – أنهما طريقان : مادة ولا تعترف إلا بالنفعية . . وبالتالي بالصراع ، والله الذي يعدل بين عباده فيؤلف بين قلوبهم ! .

– وهذا طريق مفتوح مبدع دائماً ، وذاك طريق يضيق . . ويضيق حتى يخنق أهله .

---

(1) ولعل هذا نفسه يوضح للسيد المحترم كبير أهل الاشتراكية . . الذي قال إنها الماركسية مشطوب منها كذا ! . . . وإنها نتاج فلسفة معينة تبنى عليها . . فهي مبنية على الصراع ، وهي مبنية على أنها حتم مادي ! والخ .
ونحن نقر ما نقر من عدل لأنه حق ولأنه سبيل التآخي ، ونقره بإرادتنا . . التي هي من إرادة الله الذي يشرع لنا . . . .

بدأت أوروبا فخصت نفسها بالتفوق، ثم خصت بعض القوميات نفسها.. واتحدت، ثم خصت بعض الطبقات نفسها.. وصارعت[1].

أما نحن فنبدأ بضبط النفس وهكذا نحب الآخرين... وهكذا يا سيدي الرئيس.

إن الغرابة هي أن ما ينظم ذاتاً هو ما ينظم مجتمعاً.. **وهو ما ينظم عالماً**[2].

فلكي تنظم الذات لابد من نظرية متكاملة تعترف بكل جوانب النفس من غرائز وعواطف وعقل و.. الخ.

وعلى ذلك تقوم أنظمة اجتماعية... وهذا يستدعي أن تكون صالحة للجميع أي موضوعية وهذا ما يجعلها تدخل في حسابها الاعتراف بكل العواطف وبالقدر المناسب، فلا مجال للتضخم وعلى ذلك فتعترف بالقومية[3] باعتبارها «جعلاً إلهياً».. أو وجوداً اجتماعياً - يضرب بأصوله في الناحية البيولوجية.

... فقد قال تعالى ﴿إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ﴾. (سورة الحجرات/ الآية: 13) والمهم ما يتبنى من مضمون.. ويسبق ويحدده في علاقاتنا الخارجية فيلزمه بـ «التعارف» أي التعايش السلمي.

ولكنه مع ذلك يعرف أن الاتفاق الأيديولوجي مهم جداً.. ولذا فهو يكبر الأمة - والقرآن يستعمل لفظة الأمة كلما اتفقت نظرتهم - ويجعلها المتجه الحضاري الأعلى، وهذا ما يجعل من الدين المتجه الحضاري.. وأساس نظرتنا التي ننطلق منها.. وضابط مسارنا... إننا حين نعترف بالقومية العربية إنما نقر أمراً واقعاً،

---

(1) وهذا يوضح كيف أن كل «حدث» له استطراده.

(2) وهذا له دلالة في كون الإيمان بالله هو الحقيقة الأكيدة في هذا العالم، فإيمان بواحد يخلق وحدة في النفس.. في المجتمع.. في العالم... ونلاحظ أن هذا الواحد من طبيعة مخالفة للحوادث، إذ إنَّه من المعروف:
أن الفرد < من الكل، ولكن الفرد × الواحد المذكور > من الكل.
∴ الواحد هذا من طبيعة مغايرة وإلا كان:
الفرد × الفرد = فرداً أو قريباً من ذلك فهو مازال: الفرد > من الكل.

(3) وقد خصّ القرآن النبي والعروبة بأهمية أكثر، وآبان عن صفاء نفسها، وطبعاً نعرف أن الترسبات لها آثارها.. وبنو إسرائيل مثلاً!.. والعروبة اللسان، وهذا إيضاح لأهم مميز لهذه القومية.

وحينما نعلن أننا سنترابط أيديولوجيا مع الأمة الإسلامية[1] نؤمن أنفسنا شر العدوانية! وفي نفس اللحظة نتصل بجيراننا الذين تجمعنا المآسي معهم والمصالح، وقد تكون الأيديولوجية أيضاً هي: أنَّ كل من أراد بناء الحياة (اللاهمسا) اتخذ طريق الحقيقة (الساتياجراها) وقام بضبط النفس (البراهماتشاريا)، إنه هو الذي عرف قانون الحياة و «أسلم» له نفسه...

يا سيادة الرئيس،

إن طريقنا صعب لأنه طريق الحقيقة وهو يهدف للبناء.. لبناء الحياة، ويحتاج لحركة ضبط النفس، وهي لا توجد إلا بأيديولوجية متكاملة.. ولا تعدو أن تكون واحدة.

يا سيادة الرئيس،

إنه طريق الأنبياء والقديسين والشهداء والصالحين.. وحسن أولتك رفيقاً، وإننا إذ ننقذ أنفسنا ننقذ العالم، نحن نقوم بذلك عن طريق حيادنا الإيجابي وعدم دخولنا التكتلات وعدم إيماننا بتلك النظريات. ونظريتنا هي التي تصلح لإنقاذ العالم الذي أصبح بحكم التاريخ - أو المشيئة الإلهية - أمام مرحلة العالمية وهي تحتاج لحلول موضوعية مقنعة.. ومطلقة - والمأساة أن الإنسان نسبي!.

---

(1) وهي مجموع قوميات: 1- القومية العربية. 2- القومية الإفريقية.. أو السوداء. 3- القومية الفارسية. 4- القومية الطورانية. 5- القومية الهندية. 6- القومية الملاوية. وطريق التجميع هو:

إننا – يا سيادة الرئيس – نملك الدواء . . فهل ننقذ أنفسنا وننقذ الآخرين «ولو قيض» للعصر الديني الجديد «الذي تنبأ هوله أن يولد قبل أن تقضي حضاراتنا على نفسها فإن ذلك سيتطلب فترة حماية تتميز بمجهود عاقل يشترك فيه العالم كله».

«كما أن مشكلة الحضارة هي في تبني أسلوب ديني يمكن تمييزه بالموضوعية . . إلا أن المشكلة بالنسبة للفرد تظل عكس هذا، أي في الكفاح المدرك من أجل عدم تحديد كمية التجارب التي يمكن للفرد أن يراها ويلمسها . . والكفاح المرير من أجل تعريض مناطق الإحساس في الكيان لما قد يؤذيها، محاولة النظر إلى الأمور ككل، رغم أن غريزة الدفاع عن النفس تكافح ضد الألم الذي يصاحبه التوسع الداخلي، ودوافع الكسل الروحي تحاول أن تنسج شباك النوم حول كل مجهود جديد. . . وهكذا، الطريق شاق، ولئن كان من السهل أن نجد النظرية فإنه من الصعب أن يكافح الناس أنفسهم، ولذا فعلى جند الاتحاد القومي أن يلتفتوا إلى أنفسهم أيضاً **والإيمان باليوم الآخر – وما يرتّب من رقابة ذاتية – يجب أن ترتفع درجته!** .

هذا، وإن محاولة كهذه لا بد أن يشوبها النقص . . ولكن حسبي أنني حاولت . . فإن أخطأت فمن نفسي ومن الشيطان . . وإن أصبت فمن استنادي إلى ذلك المرجع الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه . . . .

وإن الحمد لله رب العالمين

(إبراهيم بشير الغويل)

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين

سيرة ذاتية (C.V)

الأستاذ / إبراهيم بشير الغويل *PROFESSOR I.B.LEGWELL*

أولاً - بيانات شخصية واجتماعية.. وملامح تاريخ سياسي..

1- ولد في 1935/2/3م بمدينة طرابلس . .- فهو ابن طرابلس. . مولداً ونشأةً. . صبياً. . وفتىً. . وشاباً. . ← فقد عرفته شوارع طرابلس مع مجموعة فتيان كشافة النادي الأدبي - الذين قادهم عبد المجيد المشيرقي والأستاذ على التوناللي وآخرون - ليكسروا لوحات أسماء الشوارع التي كانت مكتوبة باللغة الإيطالية وبأسماء المستعمرين وليحلوا محلها لوحات باسم شيخ الشهداء: عمر المختار. . وشارع العزيزية. . الخ. . . وليهشموا تماثيل رموز الاستعمار وليسحبوها بالحبال لترمى في «مزبلة» التاريخ. . وعرفته شوارع طرابلس فتى (في بداية الشباب) ضمن طلاب المدرسة الثانوية الوحيدة في طرابلس وما حولها. . يساهمون في المظاهرات الصاخبة لإسقاط مشروع بيفن/ سفورزا. . والمناداة باستقلال البلاد ووحدتها والانضمام إلى الجامعة العربية. . . وعرفته شاباً يعود من مصر عبد الناصر بمشروع عربي - إسلامي - تقدمي. . .

2- بالأصل تنتسب أسرته إلى قبائل مصراتة المستوطنة بمدينة بنغازي منذ قرابة ثلاثة قرون. . والمكونة لـ «الأهالي»[1] بمدينة بنغازي...

---

(1) يتكون سكان بنغازي من «الأهالي» وهم قبائل مصراتة (قزير وزمورة والكوافي. .) والقره أوغالية (ومنهم قبيلة أمه قصر حمد؛ إذ تنتسب إلى هذه القبيلة أسرة أمه: أسرة ابن عمران. .). . وقبائل ورفلة. . ونفر قليل من القبائل المجاورة: عوا فير وبراعصة وحاسة وعبيدات. . الخ.

3- انتقل والده - وبالأسرة - إلى طرابلس في 1931م عقب إعدام شيخ الشهداء عمر المختار. . وتعرضت «المجموعة» إلى النفي والتشريد وإجراءات الاعتقال بمعتقلات العقيلة... الخ، وقد كانت «المجموعة» تشمل الأستاذ الشاعر أحمد رفيق المهدوي، وقد نفي إلى تركيا، وتشمل أيضاً محمود مخلوف (الكبير) الذي استشهد على الحدود. . وكذلك تشمل المجموعة والدنا: بشير عبد اللطيف الغويل الذي احتضنته طرابلس بفضل من الله أجراه على يد حسونة باشا[1] . . . وأهلته مؤهلاته من إتقانه للغة العربية واللغة الإيطالية. . مما أقدره أن يكون مترجماً من مستوى رفيع حصل نتيجة له على وسام فارس caveliere[2].

4- تمتد الأسرة «الغويل»، وعشيرة «الغويلات» من «مصراتة - زليتن» إلى سرت وأجدابيا وبنغازي والبيضاء والمرج ودرنة. . وحتى الصحراء الشرقية / شرقاً. . كما تمتد في اتجاه الجنوب بن وليد والجفرة وسبها. . . الخ.

---

(1) وقد روى لنا الوالد كيف وصله «تحذير» بان ينادر من بنغازي. إذ كان هناك أمر اعتقال بمعتقل «العقيلة»، له وللأسرة. . وكيف وصل برسالة من عمر بك المحيشي إلى حسونة باشا القره مانلي. . الذي استمهله حتى يتدبر الأمر. . وكيف كاد أن يعيل صبره. . ويحاول الهروب إلى تونس. . فجاء شيخ «مجذوب» يُسَمّى «الشيخ البلالي» وتلا عليه قوله تعالى «وهذا البلد الأمين». . الخ / وكان هذا بحضور كل من نقيب الأشراف الشيخ العربي المسلاتي (والد صديقنا الأستاذ الفاضل / أحمد العربي المسلاتي) - والذي اخبرنا الوالد أنه أرجَعَ «أنسابنا» إلى بني النجار بالمدينة المنورة، ونقيبنا نحن بني النجار هو أول من بايع النبي في البيعة الثانية (وهو أبو أمامه. سعد بن زرارة). . وهو من تولى مصعب بن عمير، ثم كان رسول الله ﷺ هو نقيب بني النجار، وهم أخوال رسول الله ﷺ - والأستاذ أحمد الحصايري والأستاذ نديم بن موسى (والد الأستاذ الفاضل/ كاظم نديم بن موسى) وآخرين وكان الوالد يجالسهم على «ركابة» جامع شايب العين «الشيء بالعين»؟!

(2) لعل هذا المستوى الرفيع، والوسام الذي حصل عليه بمقتضاه، واشتهر به «كافاليير» هو مما «أوهم» البعض. . إلى التباسات ليس لها من أساس في أصول الأسرة وتاريخها الجهادي - التي يسجل تاريخها أنها قدمت عدداً من المجاهدين والشهداء. . فالأعمام المهدي وسعيد وغيرهما كثير لا نحسبهم أمواتاً. بل أحياء عند ربهم يرزقون. . - وتاريخ الوالد نفسه الذي كان دوما رجلاً وطنياً مخلصاً. . مجتهداً مجاهداً. . .

وكذلك هي امتدادات أسرة والدته عائلة بن عمران[1] (من قصر أحمد) من مصراتة إلى أجدابيا وبنغازي . . الخ .

5- من الذين فتحوا أعينهم على مآسي الاستعمار الإيطالي الفاشستي بعد تمكنه من القضاء على حركة الجهاد العلني داخل البلاد . أما الجهاد داخل النفوس والجهاد خارج البلاد فقد كان من أول ما أدركه صاحب هذه السيرة ؛ فقد كان الاستنكار بالقلب جذوة متقدة في النفوس . . وكان يزداد قوة كلما ترامت إلى الأسماع أصوات المجاهدين في مصر وفي الشام . . وكان الناس في انتظار حركة الإنقاذ - التي للأسف تحكم فيها «الحلفاء» . . أثناء الحرب العالمية الثانية ليستفيدوا منها وفقاً لمخططاتهم ؟!

6- وبمجرد دخول «الحلفاء» في أول سنة 1943م وتحرك أفواج الصبيان والفتيان نحو المدارس العربية التي فتحت لأول مرة من جديد ، أما قبلها . . فلم يكن أمام الأجيال الجديدة سوى «الكتاتيب» التي حفظت على الناس لسانهم «لغتهم» ودينهم . . فحفظت هويتهم العربية والإسلامية - تحرك صاحبنا **للالتحاق بمدرسة الظهرة** حيث كان المولد . . وحيث كانت الإقامة . . .

7- وفي المدرسة تميز صاحبنا بفضل من الله أجراه على يد الأستاذ علي التوناللي[2] . . الذي كان يتميز بأنه مربٍ فاضل ، وليس مجرد معلم ؛ فقد كان يعوّدنا عادات النظافة البدنية . . وعادات نظافة الملبس (وفي مجتمع فقير

---

(1) وهي نفس عائلة ابن عمران التي ينتسب إليه أسعد بن عمران مؤسس جمعية عمر المختار في 1940م . . .

(2) إن ذكر الأستاذ علي التوناللي ما ينبغي أن يفهم انه استبعاد لغيره من ذلك الجيل من الرواد المعلمين الذي يحق فيهم أنه «كاد المعلم أن يكون رسولاً» من أمثال الأساتذة احمد فتحي (المشهور «البهلول») الشارف وعلى جمعة المزوغي . . . ثم في الثانوية الأساتذة مصطفى بعيو ومحمد مسعود فشيكه والشيخ محمود المسلاتي والأمين الحافي ومحمود فرحات وفؤاد الكعبازي والشيخ الهادي عرفه والى آخر قائمة ذلك الجيل من الرواد الذين لم نوفهم حقهم . . ولم نبجّلهم بما يستحقون ، وكما قال لي يوماً الشيخ مخب الدين الخطيب - في حديث له معنا ، أو إلينا ، في 1954م . . ولم أتقبله في حينه . . ولكنني لم أنسه أبداً - «يوم أن تعرف هذه الأمة طريقها . . تعرف رجالها . . .» .

كان الأستاذ يفرق بين الفقر وبين الوساخة قائلاً: «إن قميصاً مرقعاً ونظيفاً مقبول لديّ أكثر من قميص جديد ولكنه ممزق و/ أو وسخ؟!...) كما كان يهتم للتربية الدينية والخلقية... تماماً كاهتمامه بالتعليم... وعن طريق الأستاذ على التونالليّ التحقنا مجموعة بالكشافة التي أنشأها هو، والأستاذ عبد المجيد المشيرقي، بالنادي الأدبي.. الذي أنشيء ليذكر بالنادي الأدبي الذي أنشأته مجموعة من المثقفين عقب «صلح بن آدم» في سنة 1918م - ومن النادي الأدبي تأسست كل الحركة السياسية في ما بعد.. ففي أحضانه نشأ «الحزب الوطني» و «الكتلة»... وقد كانت هذه هي بدايات الحركة السياسية...

8- وقد ساعد صاحبنا على هذا التميز.. ومما يجب أن يذكر، وما ينبغي أن يغمط حقه، أب مثقف من ضمن «المجموعة» المتحررة التي لم تفقد أصالتها العربية - الإسلامية... وكانت تنتسب إلى حركة التجديد في الأدب العربي.. وتقرأ لجماعة «الديوان» وجماعة «أبولو»... الخ وكانت تنتسب إلى حركة الإصلاح الديني التي مثلها محمد عبده ورشيد رضا... وتقرأ لشكيب أرسلان.. وتتابع «حاضر العالم الإسلامي» في جيلها... وقد كان الوالد يعقد لنا جلسات حوار مسائية حول أدباء وشعراء وفنانين من أمثال المنفلوطي ومصطفى صادق الرافعي والعقاد وطه حسين.. وشوقي وحافظ وخليل مطران وجبران خليل جبران.. ويحدثنا عن منيرة المهدية ويوسف وهبي وزيارتها لطرابلس.. كما كنا نتناظر عن عبد الوهاب وفريد الأطرش وأم كلثوم وأسمهان... الخ.

وكان الوالد يوليني عناية خاصة.. فيجعلني أحضر مجالسه مع كل الزوار وهم كُثْر.. فقد كان بيتنا في طرابلس يطلق عليه «بيت سفير برقة في

طرابلس» . . وما من أحد من رجالات الحركة السياسية في المنطقة الشرقية إلا وتعرفت عليه عن قرب في بيتنا المتواضع . . . وكان الوالد يُنَمّي ثقافتي السياسية بتكليفي أن أقدم ملخصاً للأخبار التي كان عليَّ أن أستمع إليها في الإذاعة العربية من لندن . . ومن القاهرة . . .

9- ومن هنا قدر لصاحبنا أن يندمج في الأحداث . . وأن يتابع الحركة السياسية صبياً وفتىً . . وأن يكون من الذين يشاركون في الأحداث وعن صمت وبجدية . . وكان يتمتع باحترام أساتذته - وإدارة المدرسة - كما يتمتع باحترام زملائه . . . حتى انتهى به الأمر أن يكون ضمن «المجموعة الخاصة» أو «خلاصة الخلاصة»[1] في حركة المؤتمر الوطني الذي قاد الحركة الوطنية نحو الاستقلال بزعامة الزعيم العظيم بشير السعداوي .

10- وحتام (وحتى إذا ما) ضربت الحركة الوطنية عقب إعلان الاستقلال الشكلي وتزوير الإرادة الشعبية في انتخابات 19/ 2/ 1952م . . كان الشاب يتطلع إلى البدء من جديد أو اللحاق بالزعيم بشير السعداوي (الذي أُبعد من البلاد، كما أبعد الأستاذ الدكتور فؤاد شكري . . وكذلك الأستاذ شعبان خليفة وآخرون . . .) . . وكانت محاولاته في المجالين؛ فقد تم له اتصال بالشيخ محمود صبحي الذي كان قد عاد إلى البلاد والتحق بمعهد المعلمين . . وكان شخصية واعدة بكل ما ظهر منها في ما بعد من موقف وطني وعربي - إسلامي مجاهد . . .

---

(1) تعبير للأستاذ علي مصطفى المصراتي الذي كان خطيب الحركة الوطنية التي يقودها المؤتمر الوطني بزعامة بشير السعداوي والذي كان يعرف بطبيعة العلاقة بين هذه «المجموعة الخاصة» والزعيم بشير السعداوي، وقد كان المؤتمر الوطني - تحت قيادة الزعيم بشير السعداوي - يضم الوجهاء والأعيان الذين استمروا ضمن الحركة الوطنية . . ويضم الجماهير العريضة التي كان يحرضها ويوجهها الزعيم عن طريق مجموعة من الشباب الخطباء على رأسهم الأستاذ علي مصطفى المصراتي . . ويضم «المجموعة الخاصة» . . .

ثم ما إن تفجرت ثورة 23/يوليو /1952م حتى غادر إلى مصر . . فنزلها في أول شهر هاتيبال (أغسطس) 1952م . . وكان الزعيم بشير السعداوي يقيم بمصر . . بشارع يوسف مصيري / الدقي . . .

11- وفي مصر . . بدأت حياة صاحبنا مرحلة جديدة مما تتيحه مصر الخمسينات برجالها ومنتدياتها وآفاقها . . . الخ .

ثانياً - الدراسة.. والتخصصات.. المؤهلات.. والخبرات...

1- من جيل الرواد الذين أتموا دراساتهم العليا بعد استقلال ليبيا في الخمسينات .

2- أتم دراساته القانونية بأعرق الجامعات المصرية (جامعة القاهرة) بتخصصات في القانون العام (الدولي ، الدستوري ، الإداري ، الجنائي) وفي القانون الخاص (المدني ، التجاري ، البحري) . . وفي القانون الإجرائي (جنائياً . . ومدنياً) . . .

3- مجاز في الشريعة (أصول الفقه . . وتاريخه . . وفقه المذاهب المقارن . . . الخ) .

4- ومجاز في الاقتصاد . . وبتخصص في «تاريخ الفكر الاقتصادي - المذاهب والأنظمة . . والسياسات . . والمدارس . . . الخ» .

5- عمل عقب تخرجه رئيساً للقسم القانوني لشركة النفط ، SHELL.NV وشركة SHELL LIBYA .

6- أسس مكتبه للاستشارات والمحاماة بشارع أول سبتمبر (24 ديسمبر سابقاً) منذ 1960م .

7- قام بتحرير عقود ، ووضع النظام الأساس ، للعديد من الشركات . . منها شركات مصرفية . . . (وقام بخدمات الاستشارات والمحاماة للعديد من الشركات نفطية ومصارف : مصرف الصحاري الذي تأسس بالتعاون مع مصرف أمريكا Bank of America ، والمصرف التجاري - مصرف شمال أفريقيا في ما بعد - بالتعاون مع Eastern bank . . . الخ) .

8- عين عضواً بمجلس إدارة أول شركة وطنية للنفط . . .

9- كان مستشاراً للمصرف المركزي . . .

10- تولى الدفاع في أهم القضايا المدنية والتجارية . . كما تولى الدفاع في أهم القضايا الجنائية . . وخاصة ذات الطابع السياسي إبان العهد الملكي في ليبيا والتي اتهم فيها حزب البعث وحركة القوميين العرب والقوى الناصرية . . .

11- عين سفيراً متجولاً «Ambassador At Large» لبلاده . . مكلفاً بالشؤون العربية والإسلامية والأفريقية . . . وعمل موفداً شخصياً لرئيس مجلس قيادة الثورة، إبان السنوات الأولى للثورة، إلى البلاد العربية والإسلامية والأفريقية . . .

12- اشتهر في نفس الفترة كمحاضر . . وكاتب صحفي . . وأنشأ منذ أوائل 1964م مع رفيق دربه المرحوم على عبد الله وريث جريدة «البلاغ» . وقد تولى، الأستاذ إبراهيم في ما بعد، رئاسة مجلس إدارتها وتسييرها إلى أن أممت الصحافة 1973م . . .

13- أسس، مع آخرين من رفاق الدرب . . جمعية الفكر الليبية . . التي كانت أحد المعالم الفكرية والثقافية في الستينات (من القرن المسيحي الماضي) وحاضر فيها إلى جانب أعلام من رجال الفكر العالمي والإسلامي والعربي (توينبي - جب - بلاشير - مالك بن نبي . . . الخ) .

كما اشترك في تأسيس رابطة الأدباء والكتاب . . .

14- شارك في العديد من اللجان الدستورية والقانونية، كما شارك في العديد من اللجان التربوية . . .

15- **عضو مؤسس**، وعضو في لجان الإدارة، **لجمعية الدعوة الإسلامية العالمية** . . التي تتمتع بعضوية مراقب، من درجة (أ) لدى اليونسكو، والعديد من المنظمات الدولية والإقليمية . . .

16- **عضو اللجنة العليا لتقنين الشريعة . . وعضو بمجمع الفقه (الإسلامي) الدولي**. التابع لمنظمة المؤتمر الإسلامي . . .

17- حضر وشارك في العديد من المؤتمرات والندوات والحلقات الدراسية في أنحاء متعددة من العالم . . .

18- **كان مقرراً عن الجانب الإسلامي في أكبر مؤتمر انعقد 1976م للحوار الإسلامي المسيحي .. بطرابلس**.

19- **كان كاتب الورقة الرئيسية ، ومقرر الندوة الدولية في شأن «نظرة الإسلام الخلقية والسياسية للدولة»** التي انعقدت خلال الفترة من 7-10/ 12/ 1982م بالقاعة رقم 4 باليونسكو بباريس.

20- له كتابات منشورة . . وبحوث . . ومحاضرات . .

- ومن كتبه :

* معالجات الإسلام لمشكلات الاقتصاد . .
* الإسلام والعدل الاجتماعي . .
* نحو نظام اقتصادي عالمي جديد . .
* القومية والديمقراطية . بتأصيل عربي / إسلامي . .
* الأصل الإباحة . . والتحريم استثناء (في العلاقات بين الرجال والنساء) . .
* الطريق الثالث . . / وبه ، بالإضافة إلى ما يتصل بالقانون والاقتصاد والاجتماع ، نظرات معمقة في «اللسان العربي» المبين . . وما بينه وبين الدين من صلة (انظر إن شئت صفحات 348 ، 349 ، 350 ، 351 من طبعة دار الآفاق . . أو صفحات 424 ، 425 ، 426 ، 427 ، 428 من إصدارات القيادة الشعبية الإسلامية العالمية) .

* الديمقراطية . . والعلمانية . . وحقوق الإنسان - من حيث المرجعية الغربية . . والمرجعية الإسلامية . .

* وقد أصدر مؤخراً - بمناسبة العدوان على العراق - بياناً بعنوان «هذا بيان للناس» - بيان للمفكرين والمثقفين العرب والمسلمين . . بمنهجية . . ورؤية تاريخية . . ومشروع حضاري عربي - إسلامي - تقدمي / وقد نشر بهذا العنوان . . كما تم نشره بعنوان «ثقافة الحوار» من أجل مشروع عربي - إسلامي - إنساني - معاصر ومستقبلي . .

21- وكان قد أصدر أثناء توليه مهام أمين التثقيف بالأمانة العامة للتنظيم السياسي بالجماهيرية، في السنوات الأولى للثورة، كتابه المنهجي: «منهج للتفكير» . .

* وقد كان مسؤولاً عن التثقيف السياسي واقتراح ووضع البرامج التثقيفية واختبار المثقفين السياسيين وتدريبهم وتحقيق وحدة الفكر الصحيحة لهم، وتنظيم وتنفيذ التدريب والتثقيف السياسي . .

كما كان عضو اللجنة العليا للثورة الثقافية عند تفجير الثورة الشعبية .

22- تولى على مدى سبع سنوات 1991-1998م مهام رئيس ومنسق فريق المستشارين والمحامين الدوليين في قضية لوكربي . . . . .

23- وتفرغ لأعمال مكتبه في النشاطات القانونية والتجارية ذات الآفاق الدولية بالإضافة إلى خدمات الاستشارات عامة والمحاماة أمام جميع درجات التقاضي ومحكمة القضاء الإداري والمحكمة العليا . . .

ويحتفظ بمساهماته التثقيفية في المجالات العربية والإسلامية ذات الطابع التقدمي التي تعمق ما ساهم في التأسيس له من مشروع عربي - إسلامي - تقدمي يستجيب لمطالب النضال الحديث والمعاصر لامتنا في: (1) الديمقراطية، (2) الاشتراكية . . بما تعني من كفاية - وهي نتيجة لتنمية حقة . . في

مواجهة التخلف أو النمو المشوه، والتابع - وعدل في مواجهة الاستغلال والظلم، (3) والوحدة القومية، (4) والأخوة والتضامن الإسلامي.. وتعارف وتعايش وعدم انحياز، (5) بل.. وحياد إيجابي.. هو شهادة بالحق برسالة حضارية للإنسانية كلها بروح عربية إسلامية تقدمية.. بروح «باندونج»..

24- وعاد ليتولى - في المرحلة الاستئنافية - مهام منسق عام، ورئيس، اتحاد المحامين الليبيين «الجمعية القانونية الليبية» في قضية لوكربي.. والمسؤول عن التنسيق مع فريق الدفاع الأسكتلنديّ في قضية لوكربي.. ورئيس المكتب الدولي للمحامين «المستشارين الدوليين»...

25- تفرغ بنهاية الأسبوع الثالث من شهر الماء (مايو) 1370ش من إكمال الدين واختتام النبوة (بوفاة محمد ﷺ) - 2002م من ميلاد السيد المسيح - لأعمال مكتبه، ومساهمته الثقافية... كما هي واردة في البند (23) عاليه...

الملحق

الرسالة الخاتمة..
احتواء الماضي..
واستشراف المستقبل...

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين

الملحق
الرسالة الخاتمة.. احتواء الماضي.. واستشراف المستقبل...

إننا نتناول هذا العنوان باعتبار أنّه يتطابق مع موضوع الرؤية التاريخية التي نتبنى والتي ترى أن إكمال الدين واختتام النبوة (بوفاة محمد ﷺ) إنما هو الرؤية التاريخية الصحيحة التي تواجه رؤية أخرى للتاريخ والتي للأسف فرضوها علينا...

ولذلك.. فإننا سنعرض هذا الموضوع في تمهيد يوضح الرؤية السائدة للتاريخ.. وخطورتها علينا.. وعلى الإنسانية كافة.. ثم نفرغ لتوضيح الرؤية التاريخية الصحيحة.. وكيف أنها تتسع لاحتواء التاريخ الإنساني كله.. وتستشرف المستقبل للناس كافة... ثم نختم بما تقدمه هذه الرؤية من تصحيحات في رؤية التاريخ..

1- رؤية سائدة للتاريخ؟!

إن رؤية الغرب للتاريخ، والتي للأسف فرضوها علينا أيضاً؟!.. هي المسؤولة عن تزييف النظر الصحيح للتاريخ الإنساني.. ومساهمات الأقوام والثقافات القومية في المسيرة التاريخية الحضارية للإنسانية... وهي المسؤولة عن هذا الغرور الذي يتنكر لعطاءات الثقافات الأخرى.. ويصور لهم غرورهم أنهم نهاية التاريخ ويمثلون آخر إنسان.. بل الإنسان الأخير.. والـ (Super man)؟![1].

---

(١) وتعود فكرة نهاية التاريخ - كما رصدها أحد الباحثين (على أن هناك من يعود بها إلى ما قبل هذا..) - إلى نحو قرنين من الزمان، فقد «أعلن الفيلسوف الألماني (هيجل) أن التاريخ انتهى عام 1806 م لأنه رأى في=

إن رؤيتهم للتاريخ، والتي للأسف فرضوها علينا أيضاً؟!.. تقول إن التاريخ له بعد واحد؟! يلتصق فيه التقدم مع تقدم الزمن؟!.. فالقرن الواحد والعشرون متقدم على القرن العشرين.. والقرن العشرون متقدم على القرن التاسع عشر.. والقرن التاسع عشر متقدم على القرن الثامن عشر.. وهكذا دواليك...

وإن رؤيتهم للتاريخ هذه تجعلهم يزعمون أنهم هم قمة التاريخ.. ونهاية التاريخ؟!

وإن رؤيتهم للتاريخ هذه هي التي جعلتنا ننظر، وجعلت أهل الثقافات الأخرى سواهم ينظرون، إلى أنه لا خيار إلا أن نكون، ويكون أهل الثقافات الأخرى، أتباعاً لهم... فإذا رفضنا لم تعد لنا، ولأهل الثقافات الأخرى، من خيار آخر سوى أن نعود إلى تاريخنا؟!.. وننعزل عن التاريخ الإنساني المعاصر والمستقبلي؟!

= دحر نابليون للملكية البروسية في معركة (يينا) انتصاراً لمثل الثورة الفرنسية، وبشيراً بامتداد الدولة التي تجسد مبادئ الحرية والإخاء والمساواة في العالم».

ثم رأي «كارل ماركس» - أشهر من روجوا فكرة نهاية التاريخ - أن التاريخ سيصل نهايته بتحقيق اليوتوبيا الشيوعية التي ستحل في النهاية جميع التناقضات السابقة عليها... فيما رأي عالم الاجتماع الألماني «فيبر» إن الأخلاق البروتستانتية هي روح الرأسمالية، وأن الرأسمالية هي نهاية التاريخ... وبعد أن أسقط التاريخ نفسه مادية «ماركس».. بدأ «فوكوياما» (...) بإعلان انتصار الغرب الرأسمالي، والوصول إلى نهاية التاريخ... وقد أكد أفكاره في كتابه «نهاية التاريخ والإنسان الأخير» بعد انهيار الاتحاد السوفييتي، وكانت غايته ليست إلا تسجيل (اللحظة الأميركية) في تاريخ البشرية، أي: انتصار أميركا بعد سقوط النظم الشيوعية في الاتحاد السوفييتي وشرق أوروبا، باعتبار تلك اللحظة نهاية التاريخ... وإذ بالرئيس «بوش الأب» بعد انتصار أميركا في «حرب الخليج» يعلن عن إقامة (نظام عالمي جديد)، تجسيداً لفكرة نهاية التاريخ، بنشر القيم الأميركية على امتداد العالم، أي بمعنى آخر: «أمركة» العالم... في غمرة هذا السياق يأتي كتاب «صموئيل هانتجتون» صدام الحضارات: إعادة تشكيل النظام العالمي «الصادر العام 1996» ليتنبأ بأن نهاية التاريخ هي نهاية صراع بين الحضارات، وبمعنى أدق: صراع بين الحضارة المسيحية وبقية العالم... تقوم نظرية هذا الكتاب على فكرتين هما: «حتمية النزاعات بين الدول، وضرورة أن تقوم الولايات المتحدة بترويج قيمها الثقافية الخاصة»، وعلى خط «هانتجتون، وفوكوياما» استكمل المستشرق «برنارد لويس» السير في طريق التأسيس النظري للصراع بين الحضارات / الأديان، والإعلام الأيديولوجي لانتصار الغرب المسيحي، ففي كتابه «ثقافات في صراع» يؤرخ للصراع بين الغرب والشرق، وبشكل اكثر تحديدا بين الغرب الأوروبي الأميركي (المسيحي) والشرق (الإسلامي) فيختزل الصراع بين الحضارات إلى صراع بين الحضارة الغربية والحضارة الإسلامية... وهو بذلك فاق غيره في تطرفه وعدوانيته، وهذا ما يعرف عنه في مجمل كتاباته وأبحاثه. (هكذا فسر الغرب - من خلال / نظرته الاستعلائية العدوانية - نهاية التاريخ وطبيعة «العلاقة» بين الحضارات والشعوب على أنها علاقة منتصر ومنهزم، أو هكذا يجب أن تؤول حتمية النزاعات وتلك العلاقات إلى نهاية التاريخ، على أنه بداية انتصار الغرب على خصومه في العالم وفي مقدمتهم أصحاب الديانة الإسلامية.

التفسير الغربي للحضارة

أحادية الاتجاه

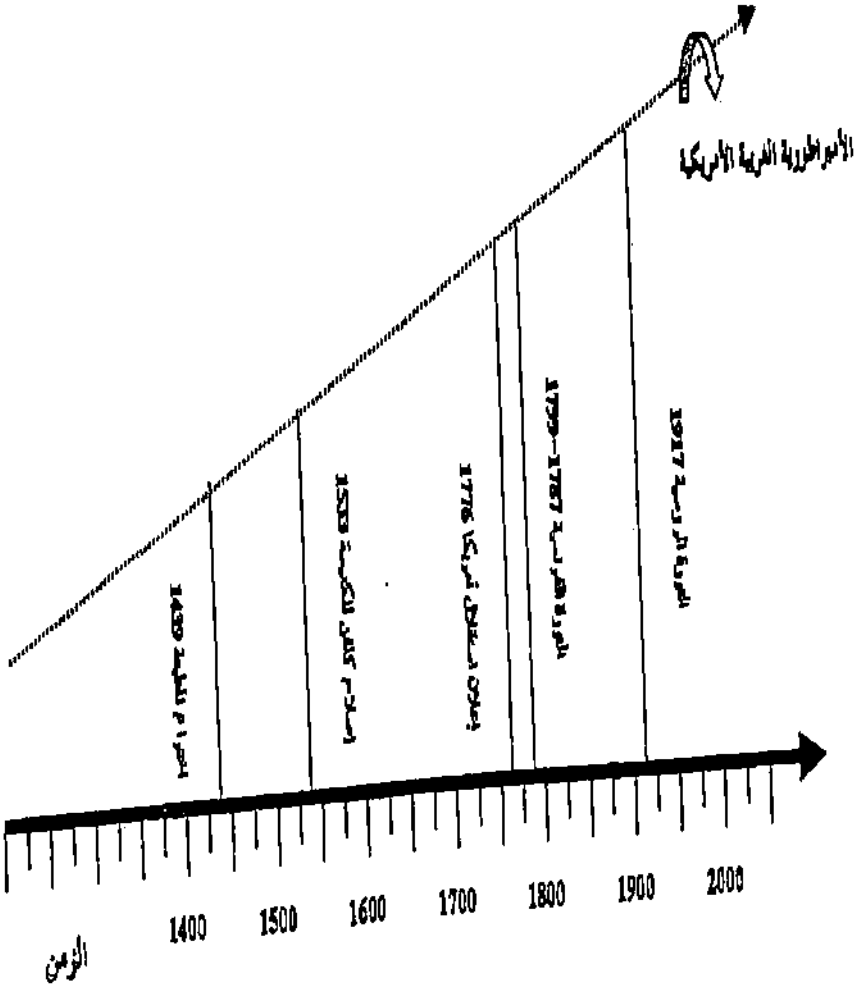

2- الرؤية التاريخية الصحيحة (بإكمال الدين واختتام النبوة بوفاة محمد ﷺ).. احتواء الماضي.. واستشراف المستقبل...

الرؤية التاريخية التي نتبنى ترى أن نشأة التاريخ كانت منذ أن اكتسب آدم المعرفة وعُلِّمَ الأسماء كلها.. **فكما أن أساس المعرفة الإنسانية، ونقطة البدء اليقينية فيها، هي الوحي**[1] الذي كون الإطار المعرفي المبدئي.. المتوافق مع

---

(1) ويعتقد كاتب هذه السطور برؤية ترى أن للمعرفة النماذج التالية:

1/ **الأنموذج الموحى للمعرفة**: على الرغم من انه جزء صغير من المعرفة البشرية، ولكنه هو الجزء الأساسي أو التأسيسي أو الرئيسي والاهم أو الجوهري والحيوي.

- إن هذا «الأنموذج الموحى للمعرفة» أو «**الأنموذج المعرفي الموحى**» هو النواة الدائمة.. والتي تتبعها جميع جهود المعرفة البشرية.. منها انطلقت، وعلى هديها سارت.. ونحوها تتوجه...

2/ **الأنموذج المعرفي - العلمي «البشري»**.. وهو يتميز بتعرضه لإعادة النظر، بصورة مستمرة، مواكباً التطورات على كفايات الإنسان من عصر إلى عصر، والأنموذج العلمي يساعد الإنسان على فهم أعمق للأنموذج المعرفي الموحى، والفهم الأعمق للأنموذج المعرفي الموحى يساعد على توسيع آفاق الأنموذج المعرفي العلمي.

أ/ وللأسف الشديد.. إنَّ الأنموذج المعرفي العلمي، على يد الغرب، قد تنكب هذا الطريق وصار «الأنموذج المعرفي العلمي الغربي» في معظمه خاضعاً لنظرية معرفية تنفي وجود الأنموذج المعرفي الموحى نفسه.. وهذا هو السبب في «التمرد» و«الصراع» و... الخ.

ويعتقد رجل العلم الغربي هذا، بصفة خاصة، أن الدين لا يمكن أن يوجه أو يدير أو يقود الأنموذج العلمي الغربي.. والرجل العلمي الغربي لا يملك إلا الصيغ المنهجية والرياضية القائمة على المنطق الكمي، فالأنموذج العلمي الغربي محدد بمدى المنطق البشري، وهو محدد بالمنطق الكمي...!.

ب/ ولكن بحمد الله إنّ قوى العقل البشري، بل ومسيرة التاريخ الإنساني، تقود إلى اتجاه التوحيد أيضاً. / إن آخر اجتهاد وجهود العلماء في الفيزياء هي دراسات القوة الواحدة التي تمسك كل أشكال المادة معاً والتي تقول إنه ما يمسكهن إلا القوي المتين Strong Force.

3/ **والاتجاه التوحيدي هو ما ورثته البشرية عن الأنبياء، والذي تكامل وتعزز في «الأنموذج التوحيدي الأسمى»**.

أ/ والأنموذج التوحيدي الأسمى «الإسلامي» مرتبط بالأنموذج الموحى.. متحداً متناغماً.. مع جميع أقسام المعرفة والسلوك البشرية.

وإن وجود الأنموذج الموحى على رأس الأنموذج الأسمى.. يؤدي إلى سلسلة من العمليات التوحيدية.. بينما رفض الأنموذج الموحى، أو عدم القبول بضرورته، يؤدي إلى سلسلة من العمليات الاضطرارية!!!.

وقد قام الاتجاه الصراعي بصراعات وتفريق داخل أوروبا.. وصراعات وتفريق في العالم كله.. بل صراع وتشويه في الطبيعة نفسها!!! =

الفطرة . . والمؤكدة بتراكم التجارب البشرية التي تعرف المعروف فتؤكده بإنكار المنكر . . وإقرار العرف . . ويأتي **الدين القيم مؤسساً على الفطرة** التي فطر الله الناس عليها . . وآمراً بالعرف . . .

فإن تاريخ الوحي . . وتاريخ النبوات والرسالات . . من آدم . . ومروراً بأبي الأنبياء : إبراهيم . . وموسى وعيسى . . . واكتمال كل ذلك (ومن هنا أهمية التاريخ بإكمال الدين واختتام النبوات) **في صورته النهائية عند حجة الوداع** (632 ش من ميلاد المسيح عليه السلام) **التي قال فيها رسول الله ﷺ إن الزمان قد استدار اليوم كهيئته يوم أن خلق الله السماوات والأرض . .**

ـ يكون كل ذلك إعلاناً على أن المعرفة الإنسانية ، والمسيرة التاريخية الإنسانية ، قد استدارت وأخذت منحنى جديداً . . بعد أن تأكدت نقطة البدء اليقينية بالوحي . . ورسمت الخطوط العريضة وتأكدت . . وبعد أن تمت عملية الصياغة المكتملة لـ«الوصية الخاتمة» والنداء الأخير للبشرية جمعاء ـ عبر حواجز الزمان والمكان ـ فقال عز وجل ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ . . .

والنبوة والرسالات تقدم في التاريخ ، ولقد كان للأنبياء وللرسل دور ورسالة في تقدم الوعي الإنساني ، وكان اكتمال الرسالة إعلاناً لاستقلال العقل والإرادة . . واكتمال الوعي الإنساني بعد أن حقق الوعي غايته في تطور البشرية . . .

← ومن هنا نستطيع أن نقول : **إنه تم رسم محور الارتقاء والتقدم الذي سجلته الإنسانية من خلال مسيرتها . . وفقاً للفطرة . . وما تأكدت به من إنكار**

= ـ فهو لا يعرف إلا منطق الصراع والقوى والغطرسة . . والحروب والدمار . .

ولكن بحمد الله إنَّ قوى العقل البشري . بل ومسيرة التاريخ الإنساني ، تقود إلى اتجاه توحيدي أسمى .

4/ والأنموذج الإسلامي الأسمى يعززه الأنموذج الموحى . . هادياً للمعرفة والسلوك البشريين هو نظام أسمى بكثير لإبداع نظام متكامل للمعرفة . .

ولقد كان الإسلام هو الأنموذج الأسمى ، لأنه يتكامل من خلال التنابي الشمولي المتناسق ، وهو نظام يكتفي بأن يضع المنطلقات ، ويوضح المسارات العريضة ، والوجهة . . ثم هو مفتوح . . .

فهو مرتبط بالأنموذج الموحى . . متحداً متناغماً مع جميع أقسام المعرفة والسلوك البشريين . . .

للمنكر عند أي انحراف، وأمر بالمعروف.. حتى صار «عرفها» الذي به تـأتمر...
← وهي مسيرة مشرفة قادها الأنبياء والرسل أجمعون عليهم أفضل الصلاة والسلام...

والنبـوة والرسـالات تقـدم فـي التـاريخ، ولقـد كـان للأنبيـاء وللرسـل دور ورسالة في تقدم الوعي الإنساني.. من خلال تأكيد ما هو أساس في تهيئة الإنسان ـ والناس كافة ـ لما يصلحون له من «دور» في أداء «رسالتهم» التي **أؤتمنوا** عليها خلفاء في الأرض لتعميرها.. **وقد سخرت لهم**... الخ.

ومن هنا كانت كلمات: **العبودية** لله بمعنى تهيئة الإنسان لما يصلح له.. **والاستخلاف** ائتماناً له على العمران.. **والتسخير**... الخ ← كل هذه الكلمات هي ما أكد عليه كل الأنبياء والرسل بتأكيدهم على «لا إله إلا الله».. **بما تعني** من ألا يكون الفرد عبداً لغير الله.. وألا يستعبد غيره... **وبما تعني** أن يكون الإنسان خليفه في الأرض.. ويكون إخوانه من الناس جميعاً مستخلفين... **وبما تعني** أن يكون كل شيء مسخراً للإنسان.. ولإخوانه من بني البشر جميعاً...

ولئن تولى كل نبي رسول ـ بعد تـأكيده ما هو أساس ـ معالجة لمنكر ظهر في قومه نتيجة ضلال وخطأ.. فجاءهم بالهدي والتصحيح... **وحتى إذا استوفت الأقوام ضلالها وأخطاءها. واستوفت النبوات والرسالات التصحيحات**...
← فإن الوصية الخاتمة قد جاءتهم **مصدقة ومهيمنة**.. فكان القرآن الكريم.. الفرقان الذي جاء بالحق المبين.. الدين القيم الذي يقوم بكل جوانب الحياة.. والذي جاء آمراً بالعرف.. متوافقاً مع الفطرة...

← وإن الدين عند الله الإسلام...

ولقد تأسس محور الارتقاء والتقدم واستدار الزمان كهيئته يوم أن خلق الله السماوات والأرض.. وبعد هذا التاريخ المشرف الذي قاده الأنبياء والرسل.. **وما جاء به الرسول ﷺ لقومه وللعالمين.. مفتتحاً عصر القومية بآفاق إنسانية وعالمية.. فكانت دعوته لقومه وللعالمين وللناس كافة...**

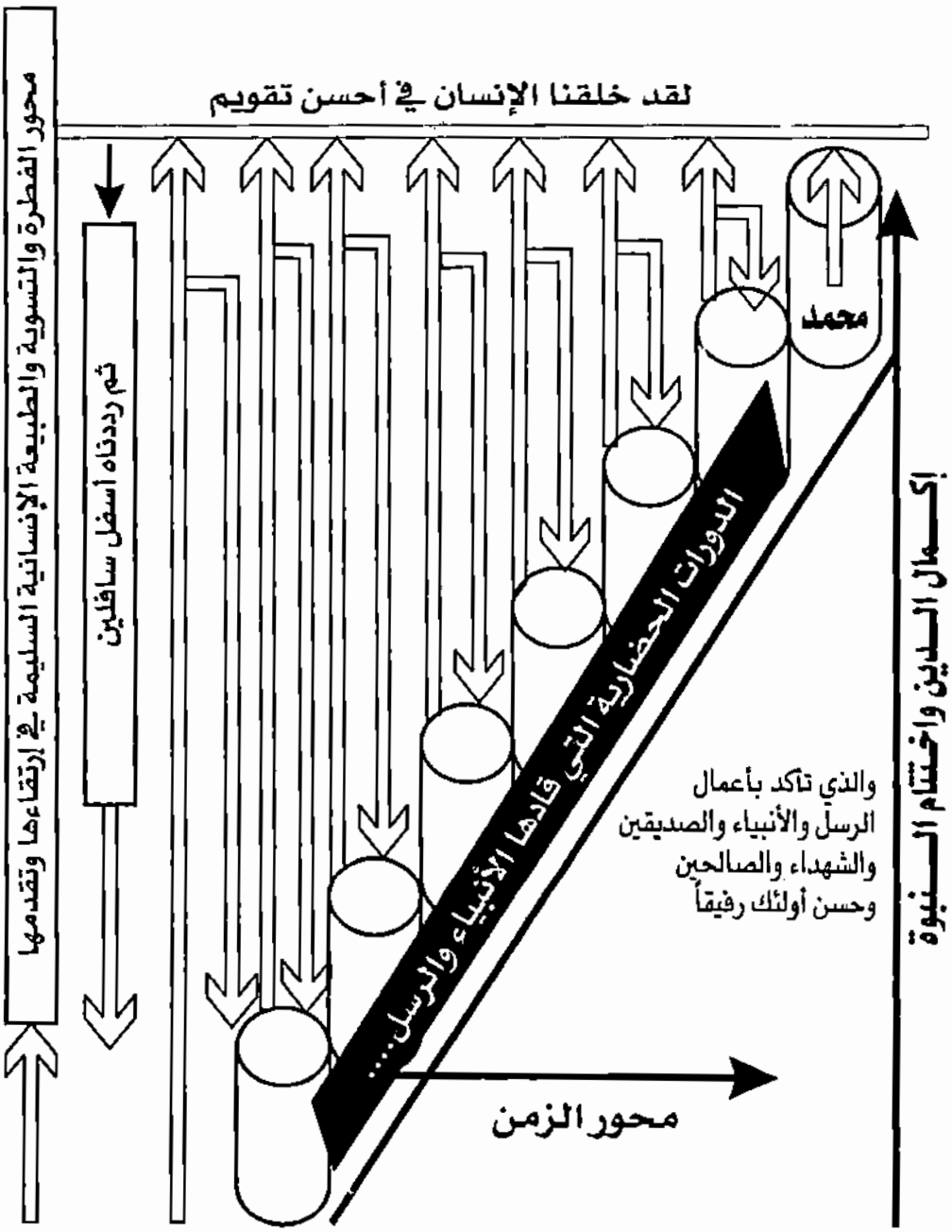
لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم
محور الفطرة والتسوية والطبيعة الإنسانية السليمة في إرتقاءها وتقدمها
ثم رددناه أسفل سافلين
محمد
الدورات الحضارية التي قادها الأنبياء والرسل....
والذي تأكد بأعمال
الرسل والأنبياء والصديقين
والشهداء والصالحين
وحسن أولئك رفيقاً
إكمال الدين واختتام النبوة
محور الزمن

لا إله إلا الله

فلا تكن عبداً لأحدٍ غير الله	1	ولا تستعبد إخوتك الآخرين من عباد الله
وهذا معنى أنك خليفة الله في الأرض	2	وهذا معنى أن عباد الله جميعاً مستخلفون
والكون كله مسخر لك	3	وهم ليسوا مسخرين لك بل إنكم في تراحم وتضامن وتعارف
ومن هنا عليك بالعلم والعمل وبفاعلية	4	ومن هنا عليك العطاء.... معنوياً وماديا
وهذا ما يحقق البناء والتعمير	5	وهذا ما يحقق بناء شبكة العلاقات

وهذا هو الإسلام كما وضّحه رسول الله ﷺ

وإن ما جاء به الرسول ﷺ، **وما يمكن أن يجعل لكلٍّ منا شرعة ومنهاجاً**، إنما هو آخر مرحلة من الوحي في التاريخ . . وهو الوحي مكتملاً في صورته النهائية، ويمكن أخذه كأصل للتشريعات . . .

ومن هنا صح ذلك القول لأحد المستشرقين الأمريكيين (إن القرآن قد بدل مجرى التاريخ الإنساني) . . .

وقد ارتفع رسول الله ﷺ بقومه، وبـ «**السابقين**» **من الأقوام الأخرى** . . والتي كانت على ساحة الأحداث في عصره، إلى **المستوى السامق الذي رسم للارتقاء والتقدم** . . وحملهم، بحكم جعلهم أمة وسطاً، أن يكونوا شهداء - بالحق - على الإنسانية . . وسوف يسألون . . .

وإذا كان المنكرون لله، و من قالوا بـ «العَلْمَانية» (بفتح العين) . . أو الاهتمام بهذا العالم الآن، **إنما كان دافعهم الباعث هو**:

- تحرير الإنسان من الخوف، والخضوع، للطبيعة .
- تحرير الإنسان من الشعور بعدم القداسة وهو يعالج مشكلات حياته .
- تحرير الإنسان من سيطرة طبقات ادعت لنفسها الامتيازات؟!

← فإن الإسلام برفضه للوثنيات وعبادة غير الله . . وإعلانه تسخير كل ما في الكون للإنسان إنما يحرر الإنسان من الخضوع للطبيعة .

← والإسلام يستنكر تحريم زينة الدنيا، ويؤكد حل ما في الدنيا من طيبات .

← **وفي الإسلام لا ازدواجية . . بل مساواة**، فليس بينهم معصوم (سوى رسول الله ﷺ في تبليغ ما أمر بتبليغه إلى الناس) .

ولا حكومة إلهية . . بل «**حكومة كل الناس**» تخضع للخطأ والصواب . . .

والشورى هي قاعدة «الجماعة» . . **وللجماعة أن تختار من صفوفها من تُولي إليهم الأمر** (**فهم أولو أمر منا** - وليسوا أولياء . . فما بالك بـ «ولي» أمر واحد . .

ظل لله في الأرض؟!.

«وإذا كانت دعوة التوحيد في الألوهية في الإسلام تستهدف المساواة ـ فيما عدا الله ـ بين الناس في الاعتبار الانساني، وفي البقاء في المستوى الإنساني، وفي المشاركة في خصائص الإنسانية من الصواب والخطأ.. فإنه ليس هناك في نظر الإسلام مكان في جماعة المؤمنين، أو في المجتمع الإسلامي، لنزاع حول السلطة.. على أساس أن بعض المجموعات في المجتمع يتميز عن المجموعات الأخرى.. على أساس غير إنساني؛ فهذه مجموعة لها قداسة، ولقولها عصمة.. وهذه مجموعة أو مجموعات أخرى ليست لها قداسة، وليس لأقوالها عصمة...؟!

← فإن أهل «مدينة رسول الله ﷺ» كانوا جميعاً معاً «أمة» من دون الناس.. ولكل دينه.. وهو دين واحد ـ وإن تعددت الرسالات تعدد الرسل بتعدد أقوامهم.. وبهداهم اقتدى رسول الله ﷺ وكان أسوة ورحمة للعالمين...

وأمته ستكون «شرعة» للناس.. وشاهدة بالحق...

[و«الزوجية» («الزوج» هو الفرد الذي له قرين يكتمل به، والرجل والمرأة كل منهما زوج، وهما معاً زوجان) هي المكون الأول لـ «الوحدة» الإنسانية.. ومن الزوجية يكون الانتشار في شعاب الأرض شعوباً وقبائل لتعارفوا.. والأكرم، أي الأكثر كرامة، هو من يتزكى ضمن «الوقايات» التي تقيه في مسيرته نحو الفلاح... (والفلاح هو البقاء لا الفناء.. والغنى لا الفقر.. والعز لا الذل.. والعلم لا الجهل...)].

ولقد كان التطبيق الرسولي لهذا الوحي على أحوال الناس واحتياجاتهم تبياناً أن كل آية هي حل ومعالجة وموقف، وأن ما تجمع من الآيات على مدى ثلاثة وعشرين عاماً قد قدم حلولاً ومعالجات ومواقف.

وأنَّ هذا الوحي المنادى به من الواقع قد جاء موضوعاً للإفهام.. وفهم القرآن ليس إلا نظرية في التفسير...

← ومن هنا إن أردنا أن نضع الوحي من جديد باعتباره مصدراً للمعرفة وموضوعاً لها . . فلابد من نظرية في التفسير، ومن هنا فنحن نحتاج إلى نظرية في التفسير لا فلسفة؟!

إن ما شرع لنا من الدين ليس علماً متخصصاً . . إنه «وجهة نظر ـ منطلق» أو «زاوية رؤيا ـ إطار» أو «إطار مرجعي» تعينك، أو يعينك، على رؤية الأشياء من خلالها . . **من هذا المنطلق . . من هذا الإطار** يمكن أن ترى العلوم والآداب والصراعات والاتجاهات . . . كلها، وتراها بشكل يختلف عما يراه شخص ينطلق من وجهة نظر، من أيديولوجيا، أخرى.

إن ما شرع لنا من الدين موقف ثوري . . إنه أيديولوجيا صالحة لتهدي كفاح البشر في عصرنا أيضاً . . وأيديولوجيا تمكن البشر من النظر إلى الأمور بشكل متوازن . . .

ومن هنا يجب ألا ننشغل، وما ينبغي لنا أن ننشغل، بغير هذه المهمة . . مهمة إحياء نظرة الإسلام للعالم . . للمسائل السياسية والاقتصادية والاجتماعية . . .

ونحن نريد للإسلام أن يخرج إنساناً جديداً . . ونريد من الإسلام أن يخلق منا أو يجعل منا إنساناً يستطيع الوقوف على قدميه فيكون منه شرعةً للآخرين ومنهاجاً؟!

إن مهمتنا هي أن نحول القرآن من «وقف على أرواح الموتى» . . إلى موقف في حياة الناس . . وأن نفهمه بالبساطة والوضوح التي فهمه بها أبو ذر الغفاري، ذلك الأعرابي الأمي!.

إن التخصص إن كان يعجب البعض . . حتى إنهم يريدون مد ظلاله على الشريعة؟! يخلق النخبة ويعمق التمايز ويقود إلى تضخم سرطاني في البيروقراطية؟!

أما ما شرع لنا من الدين فهو ما نزل في القرآن ـ مصدقاً ومهيمناً ـ وهو ميسر لكل مُدّكر؟.

وإن ما شرع لنا، وهو ما وصى به ربنا نوحاً وإبراهيم وموسى وعيسى.. وكان هو كلمة السماء إلى الأرض... واختتمت بنبينا عليه السلام.

← إنه إن صح التعبير.. (ولله المثل الأعلى وليس له شبيه ولا نظير) وجهة النظر الإلهية.. إنه الإطار الإلهي.. **إنه النظارات التي إذا وضعها الإنسان ونظر من خلالها ظهر له كل شيء كما هو في الحقيقة**، وذلك خلافاً لأي وجهة نظر أخرى قد تضخم أموراً وتصغر أخرى.. وتلون ثالثة ورابعة.. الخ.

إنه من **خلال المنظار الثقافي تكون رؤيانا واضحة وتضع الأمور في حجمها الطبيعي** أو لا تكون، فإذا كان المنظار الثقافي يعطى المنظور الصحيح كانت كل أفكارنا وأقوالنا وأعمالنا صحيحة.. وإلا فلا؟!

إن الذهنية الإنسانية إما أن تكون طوع الإلهي أو لا تكون.. وإنها لترى الأمور والناس وفق نظر إلهي أو شخصي.. وعلى اختلاف في هذا النظر الشخصي...

وبهذه الرؤية نرى في سنة رسول الله ـ في إطار سيرته عليه السلام ـ تجربة بشرية نموذجية قدمت تحققاً لهذا الوحي... فلا يتحول الوحي من الفكرة إلى الشخص.. ومن تحقق الرسالة في الواقع التاريخي إلى التجسيد الشخصي؟

أما الإجماع ـ أعني إجماع الأمة ـ فقد كان كفيلاً أن يقدم تحققاً لهذا الوحي في التاريخ.. إذا التزم «الشرعة».. أما المنهاج فمفتوح أمامهم «وما رآه المسلمون حسناً فهو عند الله حسن»؟... **فمن الله إلى شعور النبي.. إلى شعور «النبي ـ الرسول» إلى الأمة.. عوداً إلى شعور الفرد من جديد!** ـ فلسفة للتاريخ تقوم على دور الأبطال[1]، ولكنها تهدف إلى تحويل الجموع إلى أبطال في التاريخ.. والأمم إلى قادة التاريخ...

---

(١) إن استعمال مفردة «البطل» و«الأبطال» من الكلمات التي لا تفارق، ولكنها لا توافق، ففضل «العظيم» و«العبقري».

كان يمكن من خلال الأدلة الأربعة وإعادة ترتيبها . . أن نبدأ بالواقع وحياة الناس . . وبالأمة والجماعة كذاتية أكبر ـ على ما يقول إقبال ـ ثم الاسترشاد بالسنن وسير الأبطال . . ثم بالوصول في نهاية الأمر إلى الشامل في التاريخ . . .

ـ وبدلا من الانتقال من النص إلى الواقع ، يتم الذهاب من الواقع إلى النص ! ويمكننا إدراك أهمية الزمان وأصل الوحي . . وقانون التقدم والارتقاء ؟!

والوحي نفسه ليس معطى من الله في لا زمان ولا مكان ، بل هو تنزيل إلى البشر . . وتوجيه للواقعات ومعالجات لمشكلات ، فالواقع هو الذي كان ينادي بالحل حين تستعصي المشكلات عن المعالجات البشرية بنسبيتها ؟! و«الكتاب» هو في الحقيقة مجموعة من المواقف التي طرأت على الواقع الإسلامي الأول والتي استدعت حلولاً ـ وكل موقف يمثل نمطاً[1] مثالياً يمكن أن يتكرر في كل زمان ومكان ، فإذا ما حدث أن تكررت الواقعة استدعينا الحل نفسه . وهذه خاصية الوحي في الإسلام وتعرف في علوم القرآن باسم : «التنجيم» وفي علوم التفسير باسم «أسباب النزول» . . ولقد نزل القرآن على مدى ثلاثة وعشرين عاماً ، وقد سمى الأصوليون هذه الأنماط المثالية «المناط» . . وهي مواقف إنسانية حية زاخرة بالتجارب النفسية الفردية والمجتمعية . . .

---

(1) القرآن لم يقدم تاريخاً تقليدياً تتعاقب فيه الأحداث تعاقباً زمنياً . . وإنما قدم أنماطاً . . موضوعات وقضايا . . .
وإن هذا قد زودنا برؤية «بانورامية» متداخلة مركبة . . وجعلنا نعايش التاريخ كتجربة . . . فوحدة الأحداث التي تتجاوز التعاقب . . وتتجاور داخل «البانوراما» الواحدة ويرتبط بعضها ببعض . . بغض النظر عن الحقبة التاريخية . . إن كل هذا يعطيك الإحساس بالنسق . . وإمكان امتداده . . .
والنسق التاريخي ـ في هذه الرؤية ـ لا يتكون من بناء تحتي (أو أدوات إنتاج) أو . . . . وإنما هو «كل» إنساني و و . . . . . .
وأنه ليجعل العنصر الإنساني والناس في قلب الأحداث ، وإن طرد العنصر الإنساني «الناس» من عالم الزمان والمكان ـ والذي صاحب ظهور الغرب . . . ـ لهو أساس كل كارثة . . . (القياس الميكانيكي للزمان . . .) . . . وأكاد أقول وظهور «الإنسان الميكانيكي» ؟!

وفي هذه النظرة تبدو السنّة ـ وفي إطار السيرة ـ مجموعة من المواقف التطبيقية التي يتحدد فيها سلوك الإنسان كصيرورة لأنماط مثالية ونموذج لتجارب بشرية يمكن الاحتذاء بها والاقتداء . . .

السنة تعني أن الوحي لا يصير دولة إلا بتحقق أول له في مجتمع بعينه، وكان يمكن للتاريخ أن يظهر من خلال الإجماع أو تفاعلاته ليس لعصر بعينه ولا لجماعة بعينها ← وإن عدم التزام كل عصر بإجماع العصر الذي سبقه ليعطى دفعة جديدة للتاريخ، وإن احترام المخالفة في الإجماع، حتى ولو بصوت واحد، ليشير إلى حيوية الأمة واحترامها اجتهادات الجميع وقبولها للخلاف في الرأي . . والحرص على رأى الأقلية . . .

أما الاجتهاد فهو مبدأ الحركة . . واحترام الذات؟! . . كما أن الشورى هي تأكيد لمبدأ الحركة واحترام جميع الذوات في الجماعة . . وما «الإجماع» إلا تجارب الأجيال وتراكمها . . من خلال حركة الجماهير في شكل عمل جماعي وممارسة تاريخية . . .

والعقل الإنساني ليس مجرد حركة ـ بل هو بناء متكامل ـ ويبدو مسبباً مشروطاً متخطياً للموانع . . وقد يتحقق على نحو مثالي نموذجي، وهو العزيمة، أو على نحو واقعي، وهي الرخصة . ويتقيم في النهاية من حيث الصحة والبطلان . . إضافة إلى أنه بالأصل إما أن يكون تعبيراً عن التزام فرض واجب، وإما أن يكون ـ في حالة الإحجام عن الإتيان ـ تعبيراً عن التزام بالامتناع تجنباً أو امتناعاً عن الاقتراب أو تحريماً ـ والفعل الواجب الفرضي أو عدم الفعل يمثلان قطبين: أحدهما موجب، والآخر سالب . . وقد يكون الفعل أقل درجة من الالتزام من حيث المجموع أو يكون التزاماً متعدد الجوانب يوزع المسؤوليات بين مجموعة يجب أن تتقدم ومجموعة عليها أن تقدم من هو أهل، فهو الفعل الممكن للبعض . . ويأثم الجميع إن لم يقوموا به؟!

ثم هناك الفعل المرغوب كما هناك الفعل الذي يتحدد بالطبيعة . . وبالبراءة الأصلية التي تحتوى على شرعيتها ـ فهو مباح؟!

والحقيقة أن الوحي هو عندنا آخر مرحلة من تطور الوحي في التاريخ «ابتداءً من آدم وانتهاء بمحمد عليه الصلاة والسلام» وبذلك يكون الوحي لدينا مكتملاً في صورته النهائية، وهو أصل و «إطار مرجعي»، كما أنه قد توافرت له كل إمكانات الحفظ والتوثيق، كما أنه ليس وحياً معطى ولكنه وحي منادى به . . اقتضته أحوال الناس واحتياجاتهم، وكل آية هي حل أو معالجة لموقف . . ومن مجموع الآيات التي تعالج المواقف تجمع الكتاب ـ ثم إن الشريعة موضوعة للإفهام، وفهم القرآن ليس إلا نظرية في التفسير . . .

وخلاصة القول . .

1. إن رؤيتنا للتاريخ ترى أنه يوجد للتاريخ بعدان: أحدهما يعتبر بمثابة المعيار أو Para-Metres[1] أو المعلمات التي تحدد خط الارتقاء على المستوى الإنساني المطلوب أو المستوى الحضاري، والثاني هو بعد الزمن الذي يحدد مسار تفاعلات العلاقات على المستوى الواقعي . .
2. ومعيارنا أو إطارنا المرجعي (Frame of Reference) هو ما شرع من الدين مما وصى به نوحاً . . ومروراً بأبي الأنبياء: إبراهيم . . وموسى وعيسى . . وانتهاءً بمحمد عليه . . وعلى أخويه: موسى وعيسى . . وعلى سائر الأنبياء والرسل . .

---

(1) لقد فضلنا تعبير الـ(Para-Metres) لأنه يدل على وعي بالمعيار الذي نستخدم . . خلافاً لمصطلح الـ(Para-Digms) الذي يدل على معتقدات مسلم بها، ولا نكاد نعيها، ونستخدمها لفحص الواقع وتصنيفه وتنظيمه . .
ويتمثل جانب كبير من تدريبنا الأكاديمي في التأثر بنظرة معينة للعالم وتشربها . . ويشمل النموذج القياسي الـ(Para-Digms) عددا من المسلمات حول نظام العالم . . وقيماً غير ممحصة! حول ما يجب أن يكون عليه نظام العالم.
وقطعاً ليس أحد منا يستخدم نموذجاً قياسياً بصورة نمطية مثلى!. . ولكن العديد منا يتقاربون بمقدار مقاربتهم نموذجاً قياسياً معيناً!!!.

أفضل الصلاة والسلام. . . وقد أكمل الله الدين، وأتم النعمة، باختتام النبوة. . . بالرسالة الخاتمة التي بلغها محمد عليه الصلاة والسلام.

3. وإن إعلان انتهاء نظام النبوة والرسالة هو الإيذان بأن الإنسانية قد بلغت سن الرشد. . مرحلة تحمل الأعباء!

. . فيوم أن أكمل ربنا الدين باختتام الرسالة التي بلغها محمد ﷺ كانت البشرية قد امتحنت كل طاقاتها وصهر معدنها. . بدءاً بالخطيئة الأولى والتوبة منها. . ومروراً بمعركة هابيل وقابيل! وتجربة كل جيل من بعدهم أو كل قرن أو قوم. . وما عرفوا من أمر ما سبقهم إليه جيل أو قرن أو قوم من قبل!. . تماماً كما يحدث مع ابنك الصغير. . يكون جنيناً. . ويمر في خلقه بأطوار. . ويأتي عليه حين من الدهر لا يكون شيئاً مذكوراً. . ثم يكون طفلاً ... حتى يتعلم الأسماء كلها!. . . ويبدأ بعد ذلك في دخول مرحلة التعقل والتفكر والجدل ومسؤولية الاختيار، ويواجه التجربة. . . ويخوض المعركة!. . . وحتى إذا ما اشتد عوده وبلغ رشده. تكون النصيحة الخاتمة!. . وعليه أن يشق طريقه!

4. وكان محمد هو كلمة السماء الخاتمة إلى الإنسانية الراشدة. . وكان العقل بعد ذلك، وبفضل ذلك، قد صار حراً مختاراً. . يتوجه بهدي القرآن. . ويتأسى بالتطبيق الرسولي!... ويعمل عقله (والعقل يعرف بفعاله!) لمواجهة تفاعلات الواقعات عبر مسيرة الإنسان في كدحه نحو ربه. . فملاقيه!!!

. . . وقد يكون من المناسب أن نذكر هنا أن رسول الله قد أعلن في خطبته في حجة الوداع. . . يوم أن أنزل قوله عز وجل: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾. (سورة المائدة/ الآية: 3)، أعلن رسول الله أن الزمان قد استدار كهيئته يوم أن خلق الله السماوات والأرض!!!

وهذا الإعلان على الرغم من إشارته المجازية إلى بدء مسار جديد للإنسانية. . . فهو يعني حقاً وصدقاً أن الأيام والأشهر قد عادت في وقت حجة الوداع. . فصارت كما كانت أصلاً ـ وكما أرادها الله ـ قبل «النسيء»

والتلاعب الإسرائيلي الجاهلي! (فأنتم تعرفون أنه في الجاهلية - وتعلماً من بني إسرائيل!- كانوا ينسئون الأشهر).

. . . بمعنى أن العدد الإجمالي للأيام والشهور المنسأة قد بلغ في وقت حجة الوداع عدداً كاملاً من فترات . . . كل فترة منها اثنا عشر شهراً!.

وهكذا كان محرم الحرام - في ما عرف بعد وفاة الرسول ﷺ - من العام الحادي عشر للهجرة. . . هو محرم كما كان عند خلق الله السماوات والأرض. .

وهكذا كان كل محرم منذ ذلك الوقت هو محرم الحرام كما كان عند خلق السماوات والأرض، إذ إن الناس جميعاً - بعد ذلك - يعلمون أن سير الأشهر القمرية والإسلامية لم يقطعه نسئ إطلاقاً. . منذ السنة العاشرة للهجرة حتى وقتنا الحاضر.

وعليه فمحرم الحرام للعام الخامس والعشرين بعد الأربعمائة والألف من الهجرة. . هو محرم الحرام الذي مر عليه الآن 1414 ق بين عام وسنة!!! وهو الجدير بأن نؤرخ به. . لصحته في عدة الأشهر عند الله يوم أن خلق السماوات والأرض. . . ولكونه.

5. يعلن إكمال الدين وإتمام النعمة. . . واستدارة في الزمان يتولى مسؤوليتها العرب ومن حولهم من قوميات العام الإسلامي - وخاصة (1) الأفارقة و(2) فارس أو إيران (3) الأتراك. . وقد قال رسول الله:

«إن بلالاً سابق الحبش وسلمان سابق الفرس وصهيباً سابق الروم!!!» ...

ومازالت دول الجوار للعرب هي 1) أثيوبيا، وامتدادات السودان الشرقي والأوسط الغربي!و(2) إيران ... وما وراءها و(3) تركيا. . . وما وراءها. . .

على كل، فإنه ذكر لرسول الله. . ولقومه (العرب). . وسوف نسأل!

ولقد كان رسول الله شهيداً علينا. وعلينا أن نكون شهداء!. . وأول شروط الشاهد أن يكون حاضراً فهل نحن حاضرون؟! (هذا سؤال نعلقه لنجيب عليه بضرورة حضورنا في عالمنا اليوم).

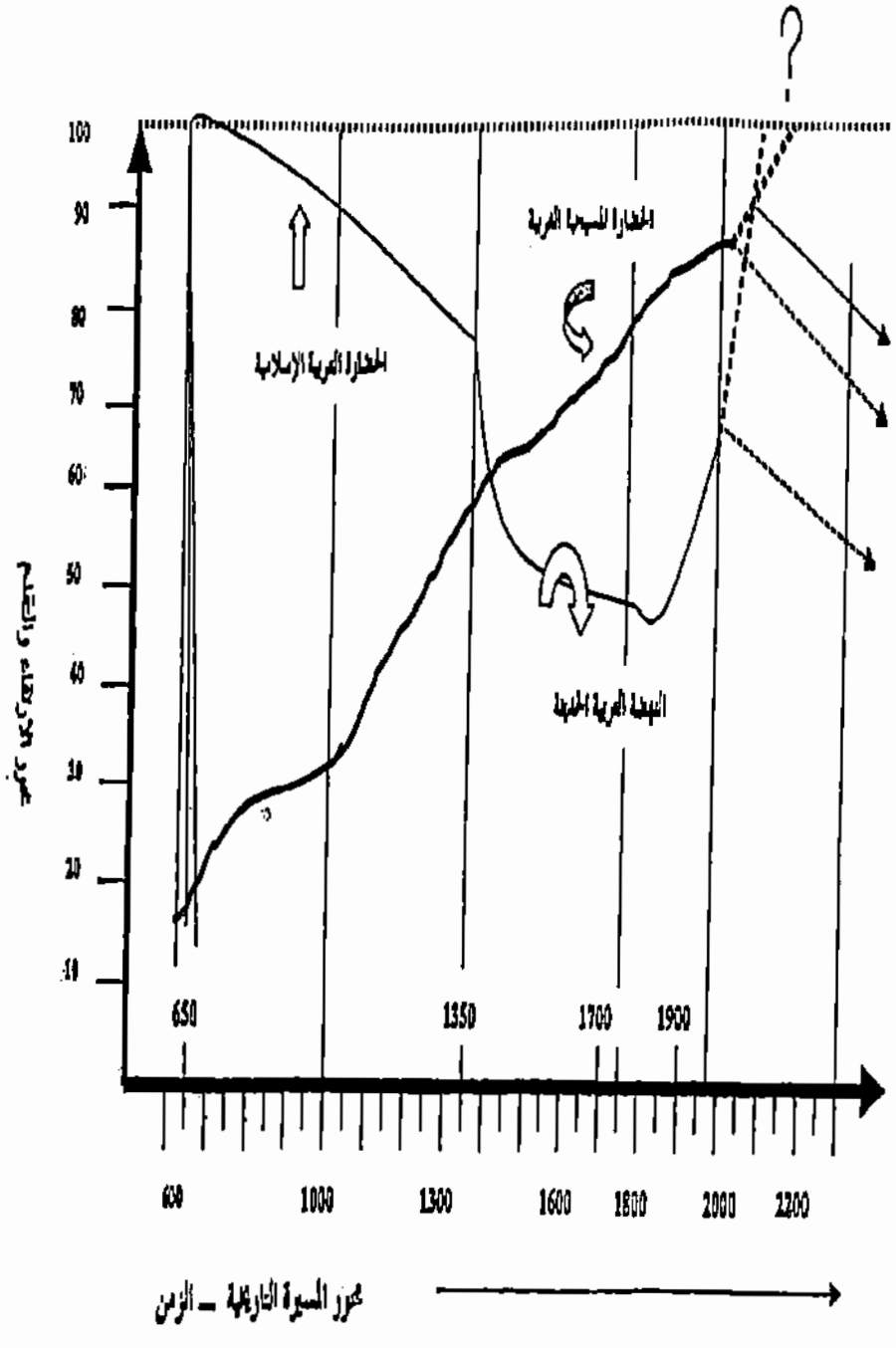
100
90
80
70
60
50
40
30
20
10
650
1350
1700
1900
600
1000
1300
1600
1800
2000
2200
الحضارة العربية الإسلامية
الحضارة المسيحية الغربية
النهضة العربية الحديثة
محور المسيرة التاريخية ـ الزمن

خاتمة

في ما تقدمه رؤيانا من تصحيحات في رؤية التاريخ؟!

← **إن رؤيانا هذه للتاريخ تقدم العديد من التصحيحات لرؤية التاريخ** التي حاول أن يقدمها الذين لا يملكون مثل رؤيانا هذه في المعرفة والتاريخ!!!... فرؤيانا هذه تقوم على نظرية محددة في المعرفة.. ونظرية محددة في التاريخ تحفظ للوحي وتطوره دوره في الوعي الإنساني وتطور هذا الوعي، وتقرن اكتمال الوعي الإنساني بتحقيق الوحي غايته في تطور البشرية ← فاكتمال النبوة والرسالة تعني اكتمال الوعي الإنساني عقلاً وإرادة...

فنشأة التاريخ يوم أن اكتسب آدم المعرفة وعلم الأسماء كلها!... **والنبوات والرسالات تصحيح وتقدم وارتقاء في التاريخ**[1] **ولقد كان للأنبياء والرسل «دور» و«رسالة» في تصحيح وتقدم وارتقاء الوعي الإنساني، وكان اكتمال الرسالة إعلاناً لاستقلال العقل والإرادة.. واكتمال الوعي الإنساني!!!**

... **ثم استدار الزمان ليتحرك الناس - بين محورين**[2]: الزمان والتقدم والارتقاء!!! وبدأ التاريخ الحديث وبدل أن يكون تاريخ حركة الناس.. كل

---

(1) إن التقدم والارتقاء في التاريخ قد تحقق عبر التداخل والتفاعل بين الوقائع والقيم ← وهكذا فان استشفاف هذه العملية المتبادلة هو أساس ومقياس الموضوعية!!!

← وفي هذا المجال قد تندمج الذات في الظواهر موضوع القياس؟

← على انه في مستوى آخر (أي في مجال اصغر) قد يحصل العكس.. فتندمج الظاهرة في محل الذات!!!

(2) وإن عالم الحقيقة التاريخية يقع في مكان ما بين المحورين/ محور الوقائع عبر الزمن، ومحور الأحكام القيمية التي تكافح لتحويل نفسها إلى وقائع!!!

إننا هنا أيضاً في طرح من جديد للعلاقة بين الزمان والمكان، وهو قد يكون زمان الملاحظ ومكانه (أو منظومته المرجعية)!!! وقد نتحدث في مستوى آخر عن مكان لزمان ومكان لموضوع!!!

الناس . . . كان تاريخاً لإرث «يهودي ـ مسيحي» وإرث آخر لتجربة «عربية ـ إسلامية» كانت في جانب من جوانبها تجربة نموذجية قدمت تحققاً للوحي، ولكن للأسف الشديد كما علق بالإرث «اليهودي ـ المسيحي» بقايا الإرث «اليوناني ـ الروماني»[1] !! فقد علق بالإرث «العربي ـ الإسلامي» تحول الوحي من الفكرة إلى الشخص . . ومن تحقق الرسالة في الواقع التاريخي إلى تعظيم الشخص !!! ثم كان ما كان من تحول «إن كل ابن آدم خليفة في الأرض» إلى القول بالخلافة لشخص !!! . . . **وحل بدل الشورى لكل أولئك** ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُواْ لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ (سورة الشورى، الآية: 38) **أن تكون الشورى للبعض** !!! وصار العزم والإجماع ـ وهو إجماع الأمة ـ والذي كان كفيلاً بأن يقدم تحققاً للوحي في التاريخ . . إذا التزم «الشرعة» . . وكان المنهاج مفتوحاً على قاعدة «ما رآه المسلمون حسناً فهو عند الله حسن» !!! ← صار العزم أو الإجماع **للبعض الأقل أيضاً** !!!

---

(1) ومن أول خيط في الفجر الأوربي : حضارة اليونان . . حتى الفترة المعاصرة . . . نكاد لا نجد إلا أوربا الوثنية بأبعاد إنسانية قاصرة . . تكاد أن تكون عنصرية ! . . . تخص أوربا، ولا غير أوربا !!!

وأوربا الميثولوجيا غانية لعوب يحملها ثور أهوج . . يذهب بها كل مذهب ويعربد ما شاء له ولها الجموح !!!

وأوربا لا نجد لديها عناية أو احتفالاً بفطرة الدين أو القيم التي تسمو فوق عبث الطبيعة البشرية أو أهواء الأفراد !!!

ففي حضارة اليونان لا نجد هذا . . حتى في كتاب أفلاطون «الإلهي» !!! ـ كما سموه ـ دع عنك أرسطو العملي أو ديمقريطس المادي .

وفي ظهر التاريخ الأوربي رفعت روما لواء الوثنية إلى ما لم تبلغه أبداً في مجتمع آخر . . وبحيث طبعت المجتمع الأوربي بطابع لم تتخلص منه .

وفي عصر التاريخ الأوربي استهدفت حركة الإحياء والنهضة (الريشانس) بعث الحضارة اليونانية والرومانية بفنونها وأدبها ووحشيتها وشهواتها واستعمارها . . .

واحتفظت أوربا بقشرة رقيقة من المسيحية لدى أوربا هي عقيدة الإله الإنسان، وهي صورة من صور وثنيتها القديمة تجعل المسيح نسخة أخرى من «الاسكندر» أو «قيصر» المؤلهين !! . . فإذا كان تصور المسيح تعقيداً ثيولوجياً غامضاً . . فلن يكون اكثر مما أضفته الميثولوجيا اليونانية على «هرقل» أو «أشيل» أو غيرهما !! ممن كانوا ثمرة تزاوج آلهة ببشر !! واعتبروا آلهة وأنصاف آلهة !! وقد نجد في «بروميثيوس» تصويرا مماثلا لتصور المسيح كإله ؟!.

وهكذا انقضت الشورى.. كما تم الانقضاض على المال.. مال الله... والذي هو مائدة الله المسخرة لعباده أجمعين ← وهم مستخلفون فيها جميعاً... ثم كان ما كان من أمر «التبعيض الأموي» الذي أثار «الشعوبية»!!! والتي صارت تعني بدلاً من ﴿وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ﴾ (سورة الحجرات، الآية: 13) صارت تعني النعرات العنصرية والشوفينية!!!

إن المعارك الأولى في الإرث «العربي ـ الإسلامي» إنما كانت بين من يريدونها شورى وعدالة وقوميات متعايشة، من جهة، وفي مواجهة من يريدونها «جبارية»! أو كسروية أو قيصرية.. ومع الاستغلال.. و«التبعيض» الأموي والشعوبية البغيضة!... من جهة أخرى.

← إن رؤيانا هذه للتاريخ تقدم العديد من التصحيحات للتاريخ فهي:

(1) المحاولة الأولى في حقبتنا المعاصرة لتقديم تفسير لـ «تاريخنا الحضاري» إذْ إنَّه كان خاضعاً لتفسير يقوم على المركزية الغربية.

← وقد استطاع الغرب أن يجعل نفسه مركز التاريخ بأن جعل حركة التاريخ يحكمها بعد هو بعد الامتداد الزمني الذي حدد بدايته وجعل امتداده معياراً للتقدم فكل حقبة تلت ما قبلها هي أكثر تقدماً!! وبالتالي فإن القرن العشرين هو الأكثر تقدماً في كل التاريخ البشري.

وهم في القمة في هذا القرن ← فهم في قمة التاريخ الحضاري؟؟؟.

وهذه المحاولة محاولتنا تقول: إن التاريخ له بعدان أو محوران، بعد الامتداد الزمني وبتحديد مختلف عما حدده الغرب وبعد أو محور هو محور الارتقاء والتقدم ← وحركة التاريخ الحضاري داخل هذين المحورين تحدد في شكل رسم بياني قد لا يعطى صفة الارتقاء والتقدم لكل زمن متأخر منها وقد يكون زمن متقدم له من الفضل ـ إن لم يزد ـ عن المتأخرين.

(2) وهذه المحاولة تقول إن التاريخ الإنساني وصل إلى قمة الارتقاء والتقدم بكمال التوحيد وتمامه فيتخذ من إكمال الدين وإتمام النعمة واختتام

النبوة بداية لمرحلة استقلال العقل مع حفظ المكانة لتلك المرحلة التي قادها الأنبياء والرسل - بدعوة التوحيد . . «خير ما قلت أنا والأنبياء من قبلي كلمة : لا إله إلا الله» وكان ختامها على يد محمد يوم أن تلا قوله عز وجل : ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ (سورة المائدة، الآية : 3) ويومها أعلن انتهاء النسيء والتلاعب بالأشهر واستدارة الزمان كيوم أن خلق الله السماوات والأرض.

(3) وهذه المحاولة توضح أن حركة التاريخ الحضاري لأمتنا، داخل هذين المحورين، قد وصلت إلى القمة بكمال الدين وتمامه واختتام النبوة، وإن ما اعتراها من نقص فيما بعد إنما هو نقص قياساً إلى القمة التي قصرت عنها لا قياساً إلى الإطار التاريخي العام، وهذا يمكن من نقد تاريخي موضوعي لحركة التاريخ الحضاري لأمتنا وذلك بالمقارنة النسبية لحقب تاريخنا العربي الإسلامي بلحظة الكمال «ك» وما بعد الكمال «ب ك» . . ومقارنة هذه الحقب بتاريخ العالم . . التي تحدث وسط الزمان الممتد ← مع تمكيننا من نقد الذات دون تلذذ بإيذائها!!! ومواجهة ما حدث من نقص لأمور الحكم والمال والاجتماع ← تمهيداً لتصحيحها.

وهذه المحاولة توضح أن النقص الذي اعترى استمرارية التجربة الكاملة - وهو نقص بدأ بعد كمال - لم يَعْنِ التدهور منذ أول يوم، بل استمرت مع النقص إلى أن وصلنا إلى نقطة علا فيها معدل النقص على القوة فظهر التدهور . .

(4) وهذه المحاولة توضح الخطأ الذي وقعت فيه محاولات النهضة الحديثة لأمتنا ومازالت واقعة فيه محاولاتنا المعاصرة إذ لم تنتبه إلى أن محاولاتنا يجب أن تكون للارتفاع - وليس العودة . . فالعودة عبر الزمن مستحيلة؟! - إلى المستوى السامق الذي رسمته لحظة الكمال وليس أي مستوى آخر دونه . . وعلى أن يكون على مستوى عصرنا وعالمنا في هذا العصر.

(5) وإن أمتنا لقادرة أن تنقذ نفسها وتنقذ الآخرين باختيار الخير لنفسها . . وإلى الإنسانية كلها . . يوم أن تقدم الاختيار الخير وسط ما تطرحه التكنولوجيا من تساؤلات : فتكنولوجيا الحرب صارت تطرح سؤالاً أحرب أم سلام؟ أفناء أم بقاء؟ . . وتكنولوجيا الزراعة والصناعة صارت تطرح سؤالاً أستمرارٌ لنظام يقوم على الاستغلال وسوء التوزيع أم إقامة نظام عالمي جديد يحقق الكفاية للجميع والعدالة في التوزيع؟ . . وتكنولوجيا المواصلات، وقد صغرت العالم إلى قرية، صارت تطرح سؤالاً استمرار العنصرية والتفرقة أم تعايش وتعارف وتآخ؟ . . وتكنولوجيا الاتصالات والإعلام صارت تطرح سؤالاً أتدفق إعلامي من جانب واحد أم تحاور وتشاور وبحث عن الحق والحقيقة؟ . .

← ومجموع الاختيارات هو اختيار ثقافة عدوانية تؤدى إلى الحروب إذا ما استمر الاستغلال وسوء التوزيع والتجويع والعنصرية . . أم اختيار ثقافة سلام يقوم على الكفاية والعدل والتحاور والتشاور .

وإننا لنملك الاختيار الخير والحل النهائي . . ولقد كان رسول الله ﷺ شهيداً علينا لنكون شهداء على الناس . . .

← إنها الرسالة الخاتمة . . احتواء الماضي . . واستشراف المستقبل . . .

وصلى الله على سيدنا محمد، وعلى أخويه عيسى وموسى . . وسائر الأنبياء والرسل، أفضل صلاة وسلام . . .

الأربعاء الخامس من شوال/ 1414هـ وَمن إكمال الدين واختتام النبوة بوفاة محمد ﷺ

17/ 11/ 1372 من إكمال الدين واختتام النبوّة بوفاة محمد ﷺ

(2004 من ميلاد السيد المسيح عليه السلام)

(إبراهيم بشير الغويل)

من الذين يجتهدون ويجهدون ويجاهدون من أجل مشروع

حضاري عربي/إسلامي/تقدمي

(معاصر ومستقبلي . . وعالمي إنساني . . وللناس كافة . . .)